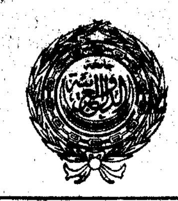


معهد البحوث والدراسات العربية

اليهودية واليهودية المسيحية

تأليف

الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين على

١٩٦٨



معهد البحوث والدراسات العربية

اليهودية واليهودية المسيحية

تأليف

الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين على

١٩٦٨

توطئة

يقينا سيجد كثيرون من القراء الذين يعنون بدراسة الأديان وتاريخها بعض الموضوعات التى عالجتها تتميز بشىء من الحظر وأخرى بالاباحة وذلك لأن طبيعة البحث الذى قمت به وتبلور فى هذا الكتاب يهدف إلى عرض نوع من الثقافة الدينية على طلاب شعبة الدراسات الفلسطينية بمعهد البحوث والدراسات العربية وهؤلاء الطلاب يمثلون خليطا من الثقافة المتباينة فالمحاضر يلقى شيئاً كثيراً من العسر عند عرض المادة محاولا إصلاح أمرها لتحقيق الغاية منها وقد اضطرنى هذا أحيانا إلى السير فى دربين مختلفين الحظر مخافة تشعب المادة والخروج بها عن إطارها المرسوم لها والإباحة رغبة فى الإفصاح والإبانة .

والديانة اليهودية بصفة خاصة ديانة سامية قديمة بعيدة فى القدم عاصرت الحضارات والعقائد الشرقية القديمة جذورها فى مصر حيث ولد موسى وتربى وتثقف وعاش فى أحداث الثورات الدينية المصرية من أمونية يقال أنها مهدت لظهور الفرعون الموحد أخناتون الذى كفر بطيبة وأوثانها فحطمها وشتت سدنتها كما فعل الإسلام بعد عشرات القرون فى مكة واستعاض أخناتون عن طيبة بمدينته التى أقامها « أخيتاتون » حيث اليوم تل العمارنة واتخذها مركزاً للإشعاع الدينى الجديد لعقيدة التوحيد وعبادة الواحد الصمد .

وقد أراد نبى هذه الدعوة إرساء قواعدها على أسس ثابتة قوية فانصرف بعض علماء جامعة « أون = عين شمس » والتى درس فيها موسى إلى فلسفة هذه العقيدة ثم وافته منيته وحدثت ردة بفعل كهنة طيبة فعادت ديانة آمون

إلى الظهور ثانية وأصبحت هى الديانة الرسمية للدولة مما دفع موسى وقد أنار له الوحى طريقه إلى الوحدانية فحدث ما حدث بينه وبين فرعون مصر حامى حمى الديانة الرسمية للدولة فما كان من موسى بعد أن أعيته الحيلة فى الدعوة لعقيدة التوحيد إلا أن انتقل مع بعض أنصاره إلى إقليم آخر من إقاليم مصر إلا وهو سيناء ومن ثم أخذت تتكون الديانة الموسوية تدريجيا متأثرة ولاشك بما جاء به موسى وقومه من عقائد مصر وطقوسها .

فالديانة الموسوية التى تطورت مع الأحداث هى ولاشك مزيج من وثنية قديمة بعضها أسيوى وبعضها أفريقى ومن ثم تزاوجت مع عقائد المجتمع الافريقى الآسيوى عامة فأصبحت كالبحر الذى تتجمع فيه الأنواع المختلفة من الأسماك وغيرها .

وهذا الخليط من العقائد فى اليهودية قبل موسى وبعده هو الذى دفع إلى ظهور عدد كبير جداً من الأنبياء بين الشعب اليهودى وقد حاولوا جاهدين تخليص اليهودية من الدخيل وإرجاعها سيرتها الأولى أعنى إلى الموسوية كما يتصورها كل نبي من أنبيائهم لذلك نجد من بينهم المتشائمين والمتفائلين ، والثائرين والمسالمين ومنهم من اشتغل بالسياسة أو التصوف إلا أنهم يتفقون جميعهم فى التوفيق بين الوجودية والحياتين حياة الدنيا وحياة الآخرة .

وحديثى عن النبوة أسلمنى إلى الوحى اليهودى وطريقة مجيئه ووسيلة استحضاره وكيف أن النبوة كانت وسيلة لكسب العيش ، وبلغ من ولع اليهود بها أن اثرى الأنبياء عن طريق النبوة فى العقيدة اليهودية سواء كانت « يهوية » أو « موسوية » ونشأ ما يعرف باسم عقيدة الأنبياء التى نجدها

فى سفر التثنية والتى هى عبارة عن حركة إصلاح شاملة فى العبادات والطقوس فمثلا فكرة الوحدانية التى هى أهم ركيزة لليهودية لم تظهر فى العهد القديم العبرى والذى هو بين أيدينا إلا بعد السبى البابلى وبفضل أنبياء مثل أشعيا الثانى وذلك بسبب اتصال يهود السبى بالعرب البابليين الذين كانوا سادة العالم فى ذلك العصر ووجهة نظر أشعيا الثانى القائلة أن مستقبل إسرائيل جزء من السياسة العالمية التى عاش فيها فترة ما فى خدمتها إعتقاداً منه أن إهتمام اليهود بالسياسة العالمية شرط لابد منه لدوام قيامها وحياتها .

واستتبعت حياة اليهودى فى بابل واتصاله بعرب مابين النهرين تطوير نظرته إلى «الله» فاليهودى كان ينظر إليه على أنه الـه الإسرائيليين فقط أعنى أنه الـآه قومى وأنه اختار الإسرائيليين شعباً له والله يعنى بمصالح هذا الشعب فقط ولا شأن له بالشعوب الأخرى .

وفى بابل عاش اليهود فى كنف عرب يؤمنون بالله فأدرك الإسرائيليون إن الله يوجد أيضاً خارج فلسطين فأخذوا يؤمنون بالفكرة الجديدة أعنى أن الله ليس الـآه إسرائيل فقط بل الـآه العالمين فظهرت فكرة التعميم وأخذت تحل تدريجياً محل التخصيص ثم عادوا من السبى فدعوا بهذه الفكرة بين اليهود الذين كانوا فى فلسطين وهكذا نجد فكرة الشعب المختار تختفى .

لقد رأى أنبياء عصر السبى الله خارج إسرائيل فالله فى مصر والله فى بابل والله خارج كنعان وسيناء أيضاً كما أن العقيدة أخذت ترجع تاريخ إسرائيل إلى آدم وإلى خلق الوجود أو بمعنى آخر تؤمن بأن أصل إسرائيل يقوم خارج الإسرائيليين وهذه تؤيد أيضاً فكرة التعميم التى أخذت تنتصر تدريجياً على الفكرة القديمة أى فكرة التخصيص أو الاختيار .

ولا أعتقد أن باحثاً يعرض لدراسة العقيدة دون أن يهتم بالصلاة فهى

العنصر المركزى للحياة الدينية كما أنها الوسيلة المباشرة للاتصال بالله فالصلاة ليست مجرد تفكير فى الله كما أنها ليست تعبيراً ظاهرياً مصدره التفكير فى الله بل هى الاتصال الشخصى بالله لذلك كانت الصلاة هى المقياس الروحى لعظمة الدين وحيويته .

والصلاة ولها هذه المكانة من الدين كانت موضع اهتمام الأنبياء والمجددين فى الدين ومنهم من رأى تطويرها فبينما نجد الصلاة عند اليهود القرائين عبارة عن طهارة جسدية وغسل ووضوء واقامتها تتطلب الوقوف والركوع والسجود شأنهم فى ذلك شأن المسلمين تماماً إذ بنا نجد اليهود الربانيين يقعون تحت تأثير الأوربيين والكنيسة الغربية فهم لا يجلسون أرضاً ولا يركعون أو يسجدون بل يقلدون المسيحيين المعاصرين فى الشرق أو الغرب أعنى يجلسون على مقاعد ويركعون ويسجدون بطريقة تكاد تكون رمزية .

وقد أوليت ، فى كتابى هذا ، الحديث عن الصلاة عناية خاصة مقابلا بينها وبين الصلاة فى العقائد الأخرى لأنها جميعها ترجع إلى أصل واحد وطنه الشرق العربى.

وقد عرض لها أنبياء بنى إسرائيل من قبل ووجهوا إليها نقداً قوياً سواء إلى الصلاة التى كانت سائدة قبل عصورهم أو التى يباشرونها أنفسهم وهذا النقد نقل الصلاة إلى عصر جديد يعرف فى اللاهوت الإسرائيلى باسم « فترة الصلوات » وقد امتازت بالتركيز على أن الله لا يحده زمان أو مكان وهو رب العالمين كما تتميز فترة إقامة الصلاة باعتراف المصلى بذنوبه وخطاياه . كما فرض هذا التطور أيضاً تلاوة بعض آيات من العهد القديم مع العناية بترتيلها وتجويد النطق بها مع تحديد مواعيد لإقامة الصلاة وجعلها فى الصباح والظهر والمساء .

وغير الصلاة عرضت للقربان والنذر والقسم والبركة واللعنة والكهنوت ووجهت عناية خاصة للروح حيث تقف اليهودية منها موقفاً يكاد يتفق مع موقف بعض الديانات السماوية الأخرى وبخاصة فيما يتصل بالملائكة والجن .

أما التلمود كتاب اليهود الربانيين المقدس ولا يؤمن به القراءون أو السامرة فقد قدمت له وعرفت القارىء بمحتوياته وتاريخه لأنى أوثر أن اختصه بمؤلف خاص به إذا ما سنحت لى الفرصة ؟ .

فؤاد حسنين على



معهد البحوث والدراسات العربية

اليهودية واليهودية المسيحية

تأليف

الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين على

١٩٦٨

اليهودية

تنسب هـــذه العقيدة إلى مملكة يهوذا كما تدعى أيضاً الموسوية أو الإسرائيلية ، ولم تكن مملكة يهوذا بعد السبي (القرن السادس ق. م.) إذا ما استثنينا عصر المكابيين ، دولة مستقلة إذ خضعت لأمم مختلفة مثل الفرس واليونان والبطالمة والسلاجقة والروم وفي جميع تلك العصور كانت الديانة اليهودية خاضعة لأهواء الحاكمين فكيروش الفارسي أولى العقيدة اليهودية رعاية خاصة وأباح لليهود إعادة بناء معبدهم في أورشليم عام ٥٣٨ ق . م . إلا أن هذه الرغبة لم تحقق إلا أيام داريوس الأول (٥٢١ — ٤٨٦) إذ استطاع « زروبابل » تنفيذ هذه الرغبة بمساعدة كبير الكهنة اليهود ، وكان قد عاد من السبي وهو يشوع وبعض الأنبياء أمثال « حجاى » و « زكريا » . ويعتبر بناء هذا المعبد المحور الذي قامت حوله العقيدة اليهودية وثقافة اليهود وقوميتهم .

وتمضي فترة ويجلس على عرش فارس الملك ارتكسيس الأول لونجيمانوس (٤٦٥ — ٤٢٤) فيتدخل في مصير اليهودية عقيدة وشعبا فأباح لعزرا المقيم في السبي أن يأخذ معه إلى أورشليم كل يهودي يبغي العودة وطالبه الملك أن يكيف اليهودية حسب كتاب الشريعة الذي بيده وقد تكون هذه الشريعة هي تلك المنسوبة إلى الكهنة أو التي جاءتنا في سفر التثنية ، فرحل مع عزرا نحو ستة آلاف يهودي بينهم نفر من الكهنة واللاويين فغيروا العقيدة اليهودية التي كانت قائمة في فلسطين وقتذاك وغذوها بالنبوءات اليهودية الجديدة التي ظهرت في السبي وقد أثر هذا النسيم الجديد الذي جاء من بابل وهب على فلسطين تأثيراً قوياً في العقيدة وأعلن اليهود

الفلسطينيون قبولهم لها ودانت الجماعة بشريعة عزرا[1] وبخاصة ما يتصل منهما بتحريم الزواج بالأجنبيات .

ولم يقف أثر هذا الملك الفارسى فى اليهودية عند العقيدة بل استجاب لرغبة ساقيه اليهودى نحميا الخاصة ببناء سور لأورشليم وتعيينه والياً على المدينة ، ولما هم نحميا بتنفيذ أمنيته هذه اعترضه الوالى الفارسى (سنبلات) والذى كان مقره « سامريا » إلا أن نحميا تغلب عليه وشيد السور فى فترة لم تتجاوز اثنين وخمسين يوماً ، ومن ثم انصرف إلى ترغيب اليهود فى استيطان المدينة فنظم الطقوس الدينية وتقديس السبت وتحريم الزواج من الأجنبيات .

فأعمال عزرا ونحميا حافظت على الديانة اليهودية الحديثة وعلى الجماعة اليهودية من الاندماج فى غيرها وضياعها ، ولعل غرض الملك الفارسى من هذه السياسة العقائدية الاجتماعية التى اختطها لليهود واليهودية خلق جماعة تتمتع بنوع من الحكم الذاتى بتوجيه شيوخ الجماعة من ناحية والكهنة من ناحية أخرى ، وقد تكون من الشيوخ والكهنة مجلس استشارى يرأسه الحاخام الأكبر الذى اعترف بالسيادة الفارسية .

ثم مضت فترة تقرب من قرن لم يصلنا فيها ما يلقى ضوءاً على اليهودية عقيدة وشعباً حتى ورث الاسكندر فارس وخضع اليهود واستسلموا له دون أدنى مقاومة عام (٣٣٢ ق. م.) ثم آلت البلاد إلى البطالمة (٣٠١) وأطلقت الحرية لليهود فى القيام بطقوسهم الدينية حتى جاء (انطيوخوس الرابع ابيفانوس) وحاول (١٧٥ — ١٦٤) نشر الثقافة الهللينية فاصطدم باليهودية فانتقم منها أشد انتقام وحول المعبد اليهودى إلى دار لعبادة زويس كما حرم تقديس السبت والاحتفال بالأعياد ومنع الختان أو حيازة نسخ من التوراة

(١) راجع سفر نحميا ص ٦ــ٨

وجعل جزاء المخالفين الاعدام وأقام كثيراً من المعابد الوثنية واجبر اليهود على تقديم القرابين لها .

وكانت النتيجة المنتظرة لهذا الامتهان العقائدى أن ثار الكاهن «متياس» والتف حوله عدا اولاده كثيرون من اليهود المتدينين وأخيراً كتب النصر لاحد ابنائه يهوذا المكابى على الوثنيين والمارقين على اليهودية ، وفى شتاء عام ١٦٥ ق . م . استطاع يهوذا هذا اعداد المعبد لاقامة الطقوس اليهودية وأن ظل جزء كبير من البلاد فى قبضة الوثنيين . وفى عام ١٦٤ أندحرت قوات يهوذا أمام قوات الحاكم (ليسياس) وان كان قد منح اليهود حرية العبادة واقامة الشعائر الدينية اليهودية عام ١٦٣ ق . م .

حققت هذه الثورة المكابية غايتها اعنى بلوغ الحرية الكاملة فى تأدية الشعائر الدينية ثم ذهبت بعيدا فطمحت فى تحقيق الحرية السياسية ايضاً لذلك استمر القتال ناشبا حتى قتل يهوذا المكابى عام ١٦٠ ق . م . وخلفه اخوه يوناثان وقتل عام ١٤٤ وجاء بعده اخوه سمعان فكتب له التوفيق حتى منحه الشعب اليهودى عام ١٤٠ لقب الامارة والقيادة ورئاسة الحاخاميين .

لكن لم يدم هذا الانتصار العقائدى طويلا وذلك بسبب الاضطرابات السياسية التى تعرض لها اليهود إذ لم يكد يطلع القرن الأول الميلادى حتى انتقل حكم البلاد إلى الرومان وفى عام ٧٠م استطاع «تيتوس» الاستيلاء على اورشليم وحرق المعبد وتعطلت الطقوس الدينية وتحولت ضرائب المعبد إلى روما إلى معبد «جوبيتر» وهكذا أخذت الديانة اليهودية تتلاشى تدريجيا وبخاصة بعد أن اعلنت اورشليم مستعمرة رومانية واطلق عليها اسم «ايليا كابيتولينا» واقام الرومان مكان المعبد اليهودى معبدا لـ «جوبيتر» .

وهكذا تعرضت الديانة منذ بعثها ثانية ، بفضل عطف فارس ، على يد عزرا ونحميا إلى الاضطهاد والانزواء . لكن لم يلبث هذا الوضع طويلا

حتى دبت روح المقاومة فى نفوس المتزمتين من اليهود فقاوموا التدخل الاجنبي كما يتجلى لنا ذلك واضحا فى اسفار المكابيين ودنيال وهذه المقاومة اكسبت الديانة اليهودية صفاتها الخاصة وتوحيدها الخاص واخلاقها الخاصة وطقوسها المختلفة مثل الختان وتقديس السبت وتحريم بعض الاطعمة وهذا مما جعل الديانة اليهودية شاعرة بكينونتها واصبحت ليست فى حاجة الى اقتباس عناصر اجنبية واكتفت بما سبق لها استغلاله فى الترجمة السبعينية بعد أن سبق لها وأخذت عن الفارسية فكرة الحياة الأخرى بعد أن كانت اصلا لاتؤمن إلا بالحياة الدنيا واستتبع هذا التطور الدينى ظهور عقيدة البعث والثواب والعقاب والاعتقاد فى الملائكة إلى جانب افكار دينية أخرى آمنت بها اليهودية حينا وتنكرت لها احيانا فى العصور المتأخرة ولو انها بقيت حية فى الرؤى واسماء الملائكة والسحر والتعاويذ والتعميد كما أن بعض هذه العقائد الدينيه اليهودية ظلت قائمة حتى القرن الثانى ق.م. ومن ثم اعتبرت هرطقة وقاومها رجال الدين وأن بقيت حية فى العقيدة اليهودية الشعبية .

وظلت اليهوديه بين مد وجزر حتى ظهرت المسيحية فاشتد الصراع بين اليهودية المحافظة واليهودية المسيحية المتحررة وظهور امثال « هلليل » اليهودى البابلى احد مؤسسى مذهب التواتر واكبر حجة فى الشريعة اليهودية فى الفترة الواقعة قبيل هدم المعبد صان الدين من الفوضى لما اصبح كبير حاخاميى اليهودية فى الفترة الممتدة بين ٣٠ ق .م. الى ١٠ ميلادية فى اورشليم وهو الجد الاكبر لاسرة الحاخاميين وهو المثل الأعلى للتواضع والتسامح وهو واضع أسس التفسير للعهد القديم والهالاخا وهو صاحب فكرة «حبوا اقرباءكم» و«شماى» معاصر « هلليل » ومعارضه اذ هو يمثل التشدد والتزمت فى فهم الشريعة ونصوصها ويمثل كل من « هلليل » و (شماى) وأنصارهما أهم مدرستين فى الديانة اليهودية لولاهما لتلاشت الديانة اليهودية وبخاصة عندما

تعرضت لاقسى الاختبارات السياسية الاستعمارية على يد الرومان . وإذا ذكرنا مدرستى « هيلليل » و « شماى » وجب علينا الانسى « يوحنان بن زكاى » الذى انصرف بعد خراب المعبد الى دراسة الحياة العقلية الروحية اليهودية يعاونه الفريسيون الذين بلغوا فى العقيدة اليهودية منزلة رفيعة جعلتهم الهيئة الشرعية الدينية التى تشرع لليهود وتفصل فى قضاياهم وهى التى سنت كثيرا من القوانين غير المكتوبة والتى دونت حوالى عام ٢٠٠ م فى المشنا . كذلك شروح بعض عبارات التوراة التشريعية والتى تكون « المدراش » وظلت هذه المدرسة تباشر رسالتها بزعامة امثال « عقيبة » و « يشمعئيل » حتى جاء « هدريان » قيصر روما (١١٧ — ١٣٨) م وقضى عليها الا أن تلاميذ « عقيبه » نجحوا فى تأسيس مدرسة أخرى فى الجليل .

لكن هذه المدرسة لم تقو على مقاومة التيار الرومانى الجارف الذى تفنن فى اضطهاد اليهود والعقيدة اليهودية، وفى عام ٢١٢ م اصبح من حق اليهود ان يصيروا مواطنين رومانيين لكن من الدرجة الثالثة فقد ضربت عليهم الذلة ولم يؤخذ بشهادة اليهودى أمام المحاكم. هكذا كان امر اليهودية داخل حدود الامبراطورية الرومانية أما فى البلاد العربية فقد كان الأمر غير هذا ففى بلاد مابين النهرين كانت تعيش جالية يهودية كبرى تحت رئاسة احد افراد بيت داود واستمر الحال كذلك حتى جاء القرن الخامس الميلادى فتعرض اليهود لبطش الفرس الذين قتلوا امير اليهود وحرموا عليهم تقديس السبت وخربت معابدهم وتسلم المجوس اطفالهم لتربيتهم تربية مجوسية واستمر حال اليهودية كذلك حتى جاء الإسلام وقضى على دولة الفرس فحرر اليهود من اضطهادهم .

لقد احسن الإسلام الى اليهود ففى بلاد العراق عادت الى اليهودية حريتها وطقوسها واخذ اليهود يقبلون على فلسطين ثانية بعد أن حرموا منها قرونا طويلة واستمر حال اليهودية فى الانتعاش تدريجياً بفضل سماحة الاسلام

والمسلمين حتى اختفت الخلافة من بغداد وانقض السلاجقة على شرق العالم الإسلامى فحل الشقاء باليهود واليهودية ثانية .

وهذه النكسة التى نزلت باليهودية فى أسيا بمجىء السلاجقة حلت بها فى شمال افريقيا واسبانيا وأوربا المسيحية فالحرية التى تمتعت بها اليهودية تحت راية الإسلام انقلبت الى اضطهاد وحشى لما آل امر اسبانيا الى المسيحية إذ اضطر مسيحيو اسبانيا اليهود الى اعتناق المسيحية وسامتهم محاكم التفتيش شتى انواع العذاب من حرق وقتل وتعذيب ومطاردة . وما لاقته اليهودية فى اسبانيا عرفته ايضا فى فرنسا وقد انحطت قيمة اليهودى الانسانية حتى ساوت منزلة الرقيق بالرغم من أن البابا جريجور الاكبر قرر حوالى عام ٦٠٠م رفع الاضطهاد عن اليهود واليهودية ومنحهم الحرية الدينية واعتماداً على هذه الوثيقة كان يمنح الباباوات يهود العصور الوسطى رسائل الأمان .

ثم جاء عصر النهضة فغير شيئا كثيراً من تفكير الأوربيين فقد اتصل الغرب بالشرق مسالما أو محاربا فاكتسب الفتوة واحياء العلوم وتطابت الفتوة والعلوم الاعتراف بالفرد وحقوقه فى الحياة وتعارضت هذه التعاليم الاسلامية مع الكنيسة وتعاليمها فى تلك العصور المظلمة لذلك اخذ المسيحيون يشكون فى تعاليم الكنيسة وقراراتها مما اضطرها الى الارتباك والحيرة ونشأ فى غرب اوربا ما يعرف باسم الاعتراف بحرية الضمير متأثرين بالمذاهب الإسلامية لذلك تغير موقف الكنيسة واتباعها تجاه اليهود واليهودية الا ان هذا التسامح المسيحى لم يدم طويلا إذ سرعان ما ثارت ثائرة الكنيسة مستعينة باليسوعيين الذين نكلوا باليهودية شر تنكيل ولم ينقذ اليهودية من هذا البلاء اليسوعى الا التقارب بين مسلمى اسبانيا ومسيحيها مما دعا الى وجوب العنايه بدراسة العهد القديم وتولى الاخوان موسى وداود قمحى (حوالى ١٢٠٠م) نقل هذا التراث العربى الإسلامى اليهودى إلى اللاتينية والعبرية فاقبل بعض مسيحى اوربا على دراسة العبرية والديانة اليهودية فاثرت هذه الحركة فى ظهور الاصلاح الدينى المسيحى فى اوربا وبخاصة فى مارتين لوثر .

وانصرف بعض رجال اللاهوت من اصحاب العقيدتين إلى دراسة التلمود ومثانى التوراة لموسى بن ميمون والقبالا وغيرها من أمهات الكتب الدينية اليهودية ، ومن ثم اخذت الدراسات اللاهوتيةاليهودية تتطور تاركة القديم على قدمه آخذة بسبل البحث الحديث وذلك بفضل النهضة التى بعثها فى اليهودية « موسى مندلسون » (١٧٢٩ — ١٧٨٦) .

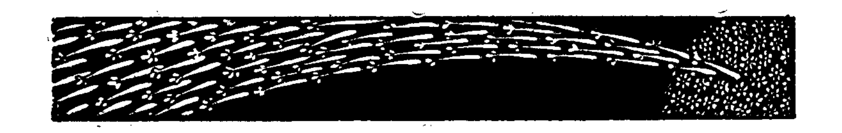
ثار موسى مندلسون على أوضاع اليهود الغارقين فى يهودية متخلفة عجزت عن مسايرة حركات التقدم والتطور التى حمل لواءها الإسلام وفاضت نورا وعرفانا على اوربا فاخرجتها من ظلمات الجهالة إلى نور المعرفة[١] . وقد شرع «موسى مندلسون » فى تطوير العقلية اليهودية الألمانية اولا ومن ثم نجح فى تعميمها فى اقطار اخرى ثانيا وقبيل وفاته قامت الثورة الفرنسية فعجلت بهذه الحركة ودفعت باليهودية خطوات إلى الامام فالثورة قد اعترفت فى اجتماعها الوطنى (٢٧ سبتمبر ١٧٩١) لكل يهودى يقيم بين المواطنين بحقه الكامل كمواطن اجتماعيا وسياسيا وعقائدياً وهذا الاتجاه قد دافع عنه من قبل (ميرابو) (١٧٨٧) و (جريجوار) (١٧٨٩) و (لسينج) (١٧٢٩ — ١٧٨١) صديق مندلسون وغيرهم . لكن الثورة الفرنسية هى التى عجلت بالعمل لصالح اليهود واليهودية ومنح نابليون نفس الحقوق ليهود ايطاليا وهولنده وغرب المانيا ومن ثم نجد هذه الحقوق تنتقل تدريجيا إلى سائر الجهات فنجدها فى بروسيا حيث اعترفت لليهود عام ١٨٠٨ بأن يكونوا مواطنين وذلك بفضل امثال (هردنبرج) و (فلهلم فون هومبلدت) .

لكن ما كادت حرب التحرير فى المانيا تنتهى حتى تنكر الالمان لليهود وسلبوهم جميع الحقوق التى اكتسبوها من قبل وازدادت الحال سوءاً فى عهد بسمارك .

---

(١) راجع فضل العرب على أوربا أو شمس الله على الغرب تأليف سيجريد هونكه وترجمه وحققه ونشره فى العربية فؤاد حسنين على .

واذا تركنا غرب اوربا إلى شرقها إلى روسيا نجد القياصرة وبخاصة اسكندر الثالث يواصلون اضطهاد اليهود واليهودية حتى اضطر كثيرون من اليهود إلى الهجرة إلى انجلترا وامريكا . وهكذا نجد اليهودية كالريشة فى مهب الريح طورا فى يد المحافظين المتزمتين الذين يريدون أن يعيشوا فى الماضى والماضى فقط لا يعبأون بالحاضر أو المستقبل وطورا فى يد طائفة متحررة وقد تسبب هذا الموقف فى خلق طائفتين يهوديتين متخاصمتين محافظة بزعامة « سمسون روفائيل هيرش » ومتحررة يتزعمها امثال « ابراهام جيجر » وأخذ المجددون يوفقون بين القديم والحديث حتى ادخلوا الموسيقى فى المعبد (الاورجول) وجاءت الصهيونية فايدت المجددين واتخذتهم مطية لتحقيق مطامعها العدوانية .



فكرة الله

الاسرائيليون الأولون كانوا قريبين جداً فى تصورهم للخالق من القائلين بمبدأ تعدد الآلهة لذلك كان من السهل جداً على الاسرائيليين الإيمان بتعدد الآلهة سواء كانت هذه المعبودات اسرائيلية أو أجنبية وذلك لسبب جوهرى إلا وهو أن فكرة الوحدانية لم تكن قد شقت بعد طريقها إليهم . ومن الجدير بالملاحظة أيضاً أن لفظى (يهوه) و (الوهيم) يختلفان فيما بينهما لغوياً دلالة وعقيدة فلفظ (يهوه) اسم علم كغيره من أسماء الأعلام التى تستخدمها اللغة عندما تريد أن تميز فرداً بعينه على سائر بنى جنسه فلفظ (يهوه) يفيد أن معبوداً إلى جانب معبودات أخرى عرفها الاسرائيليون قديماً وقدسوها أما لفظ (الوهيم) فيعبر عن النوع لذلك جاءنا فى صورة الجمع للتعبير عن كثرة الآلهة .

وهذه الكائنات المقدسة التى عبدها الاسرائيليون قديماً تختلف فيما بينها حسب العصور المختلفة قوة وضعفاً ، رفعة وضعة ، سماوية وأرضية أو علوية وسفلية إلا أنها تشترك جميعها فى صفة خاصة ميزتها عن البشر فالكائن الإلهى قوى جبار بخلاف الانسان الضعيف الكسير فصفة القوة التى يقف الانسان أمامها حائراً ضعيفاً تشبه الظواهر الطبيعية التى اشتق الفرد منها معنى الربوبية. والرب الجبار القوى هو الذى يخافه الإنسان ويخشاه ويخر له أرضاً عند رؤياه وويل للانسان الذى يحاول أن يتمرد على الله ، فالفرق بين الله والإنسان كالفرق بين الحياة والموت أو الخلود والفناء والخلود من صفات الآلهة بينما الفناء كتب على الإنسان .

عقيدة يهوه

لا شك فى أن أقدم ما جاءنا من عقيدة يهوه فى العصور القديمة جداً عبارة عن مجموعة من القصص التى ترجع إلى ذلك العهد أعنى عهد تقديس « يهوه » والمعروف باسم العهد اليهوى وليس معنى هذا أن هذه القصص اسرائيلية الأصل أو تنبع من الأساطير الاسرائيلية بل معظمها يستمد أصوله من الأساطير المصرية القديمة أو البابلية الأشورية . ومن أشهر القصص اليهوية التى تتحدث عن « يهوه » قصة الخلق القائلة أن «يهوه» خلق البشر وتتكرر نفس الفكرة فى قصة الطوفان وفى أسطورة برج بابل وغيرهما من قصص الآباء الأولين حيث يذكر «يهوه» كأب للأسرة ومع مرور الزمن نجد أن الاسرائيليين يحاولون صقل هذه القصص وإيجاد شيء من التجانس بينها إلا أن بعض العوامل الأساسية لبناء القصة حالت دون تحقيق هذه الرغبة . ومن أمثلة هذه العناصر الشائكة التى تحول دون قيام تجانس بينها ما جاء فى وصف « يهوه » بأنه يتجلى فى ثورة البركان وفى موضع آخر نراه الرحمن الرحيم الذى يسمع بكاء الأطفال [١] كما أن « يهوه » هو الذى يقتص من المسيء لاساءته إلى الأبرياء [٢] وهكذا نجد « يهوه » فى مختلف هذه القصص ينعت بمختلف الصفات التى تحتم على دارس هذه العقيدة أن يستعرض هذه النعوت ليخرج بصورة تكاد تكون كاملة عن «يهوه» .

---

(١) تكوين ص ٢١ ى ١٧

(٢) شموئيل الثانى ص ٣ ى ٣٩ وص ٢٤ ى ١

يهوه

اختلفت أراء الاسرائيليين أنفسهم حول حقيقة هذا المعبود ووطنه الأصلى فمن قائل أنه مصرى[1] كما اعتقد آخرون أن وطن « يهوه » الأصلى كان فى الصحراء الجنوبية ثم اختفت هذه الفكرة وظلت حية عند الشعراء[2]

ولكى نفهم طبيعة هذا المعبود يجب علينا أن نرجع إلى الإسرائيليين الأقدمين لنعرف مدى علاقتهم به فالديانة الاسرائيلية ديانة قومية تقوم على كثير من عناصر « يهوه » فهو الذى ينكل بهم اذا ما اغضبوه وينصرهم اذا أخلصوا له فالعهد قائم بينهم وبينه منذ عهد موسى فالاسرائيلى صديق اصدقاء «يهوه» وعدو اعدائه يقاتلهم حتى يبيدهم انى وجدوا ومتى سنحت له الفرصة، وعاونت هذه الصفة التى يتصف بها « يهوه » ويؤمن بها الإسرائيلى ، أعنى علاقة التبعية على خلق دولة اسرائيلية قومية العقيدة كل همها خدمة هذا الدين القومى ففى عصر القضاة اعتقد الاسرائيليون ان أولئك الابطال الذين ظهروا فى فترات مختلفة واخذوا بيد الشعب الاسرائيلى ضد الاجانب لنصرة «يهوه» قد ارسلهم «يهوه» لتحقيق هذه الرسالة ، ومع مرور الزمن نجد فكرة تبعية الاسرائيلى لمعبوده « يهوه » تتطور حتى أصبح ينظر إلى الملك الذى يحكمه على انه « المسيح » الذى اوحى اليه « يهوه » ابلاغ رسالته ، وتمادى الاسرائيلى فى هذه العقيدة حتى اعتبر هذا المرشد ابنا لله .

و «يهوه» الالــه القومى وصاحب الديانة القومية «بطل محارب»[3] فمن

---

(١) هوشيع ص١٢ ى ١٠ وص١٣ ى ٤ وسفر حزقئيل ص٢٠ ى ٥ وكذلك من الأدب العبرى للدكتور فؤاد حسنين على (مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية) عام ٦٣

(٢) سفر حبقوق ص ٣ ى ٣

(٣) سفر الخروج ص ١٥ ى ٣

صفاته شن الحروب فالحرب لديه شيء مقدس وفى سبيل « يهوه » يسقط كثيرون من ابطال اسرائيل فى حومة الوغى . وصفة حب « يهوه » للقتال تتجلى لنا واضحة فى نعته بلقب « يهوه صباءوت » أى « يهوه قائد الجيوش »[٢].

وقومية « يهوه » وقومية عقيدته وقومية الدولة الاسرائيلية العقائدية صبغتها صبغة خلقية خاصة ، فالعدالة قومية اسرائيلية ، والفضائل قومية اسرائيلية ، والرذائل ، قومية إسرائيلية ، والحقوق قومية إسرائيلية ، ومن هنا نفهم سر التفاوت العظيم بين نظرة الشريعة الإسرائيلية ، سواء كانت مكتوبة كما جاءتنا فى العهد القديم أو مروية شفوية كما هو الحال فى التلمود إلى غير الإسرائيلى نظرة شاذة فكل مايتصل بالمعاملات أو الأحوال الشخصية يبيح للإسرائيلى الحيف والجور مع غير الإسرائيلى[٣]. وينعت « يهوه » أيضا بأنه رب العواصف والأعاصير ، الزلازل والبراكين وكل المصائب والخراب الذى يحل بالعالم انما هو مظهر من مظاهر قوته وعظمته فالاله « يهوه » يتجلى فى الرعد والبرق وانهمار الأمطار وما اليها من المظاهر الطبيعية . ويحرص العهد القديم على اعطاء صورة قاسية مخيفة ثائرة لاله الإسرائيليين القومى إلا وهو « يهوه »[٤].

و « يهوه » هو أيضا اله الخصوبة ويحتفل به لصفته هذه فى الاعياد المقدسة فهو اله مانح الغيث ومنبت الحب وهو مانح الحياة لذلك فالإسرائيلى إذا ما أراد القسم به أمسك بعضو التناسل (٥) كما أن متعة الجماع شيء مقدس. ولا شك فى أن نعت « يهوه » بأنه اله الخصوبة صفة متأخرة ماخوذة عن معبود اجنبي ينتمى إلى بلد خصب بخلاف « يهوه » الصحراوى المخرب وهذا

---

(٢) شموئيل الأول ص ١ ى ٣ وص ٤ ى ٣ ...
(٣) سفر التثنية وبخاصة ص ٢٣ ى ١٩ — ٢٠
(٤) سفر يشعيا ص ٤٠ ى ٧ وسفر نحميا ص ١ ى ٢
(٥) تكوين ص ٢٤ ى ٢

الالـه الأجنبي وهو ولاشك الالـه الـكنعاني «بعل» وقد اقتبس الاسرائيليون منه هذة الصفات عندما انتقلوا من الصحراء إلى أرض كنعان الخصبة الغنية بمياهها .

فهذه الصفات التي يتصف بها « يهوه » وتـكون العناصر الأساسية للعقيدة اليهودية الإسرائيلية تبين أنه الـه شعبي فقط كما أن عبادته قاصرة على الإسرائيليين واماكن عبادته قائمة بينهم فقط وبخاصة فى الصحراء إذ أنه الـه الصحراء والخراب والدمار فى الصحراء، والـه الخصوبة فى كنعان أما القصص التي تتحدث عنه كالـه عالمى فليست إسرائيلية بل بابلية اشورية أو مصرية قديمة كقصة الخلق مثلا أو الطوفان أو برج بابل[1] .

و « يهوه » شأنه شأن آلهة العالم القديم لم يتصوره الإسرائيليون روحا بلا جسد لذلك نقرأ فى العهد القديم كيف يتحدث الإسرائيلي عن الإنسان الذي خلقه « يهوه » على صورته[2] ولم يكتف الإسرائيلي بتجسيد « يهوه » بل خلع عليه سائر صفات الإنسان من خير أو شر إذ هو يغضب فيبطش ويفرح فيثيب إما الصفات الخاصة بالمعبود فقط فلم يعرفها الإسرائيلي لأنه عجز عن أن يتصوره شعوراً واقعياً فهو ليس حاضراً فى كل شيء بل حاضر فى الشيء أو الطقس الذي تقدسه فيه العقيدة ، كما أن « يهوه » ليس ابدياً وبالرغم من ذلك فالعقيدة تعجز عن أن تصوره وله أول أو آخر . ولم يتخذ « يهوه » له أنثى أو ولدا فهو لم يلد ولم يولد وكل الذي صنعه أنه تبنى الملوك فقط . و « يهوه » كما تصورته الإسرائيلية القديمة خليط من مجموعة من العقائد الشرقية السامية .

ولفظ « يهوه » كما وصلنا فى صيغه المختلفة سواء فى العهد القديم أو نقش ميشع أو بردية جزيرة الفيلة أو الآثار الفلسطينية أو النصوص المسمارية أو فى كتابات رأس شمرا حيث نجد (ى ه و ه) و (ى ه) كما نجده صدرا

---

(١) تـكوين ص ٢ ى ٤ ... وص ١١ ى ٥ والملوك الأول ص ٨ ى ١٢

(٢) تـكوين ص ١ ى ٢٦

لبعض أسماء الأعلام حيث جاء (ى ه و) و (ى و) أو عجزا لها كما هو الحال فى (—ى ه) و (— ى و) وقد وردت صيغ أخرى مثل (ى ه و) و (ى ه ه) و (— ى ا) و (— ى ه) ، يعبر عن معانى مختلفة فهو يتصف بكل ما للصحراء من صفات فهو آلـه الرياح والعواصف واستوطن جبل سيناء فهو أيضاً الـه الرعد والبرق والمطر وقد كان هذا الجبل بركانيا فهو رب الزلازل والبراكين وما إلى الزلازل والبراكين من حمم ولهب فلا عجب إذا عرف باسم « قائد الجيوش ».

وإذا عرضنا لفظ « يهوه » فى صيغه المختلفة على مختلف اللغات السامية وجدنا العربية أغناها وأصدقها تعبيراً عن جميع هذه المعانى وتلك الصفات التى يتصف بها هذا المعبود، ففى العربية نجد « هوى يهوى هويانا » إذا سقط بعضهم فى أثر بعض . و « هوت الطعنة » فتحت فاها بالدم . و « هوت العقاب تهوى هوياً » إذا أنقضت على صيد أو غيره . و « الأهواء » التناول باليد والضرب و « هوت الريح » هبت ، و « الهوى » بفتح الهاء إلى أسفل وبضمها إلى فوق . « يهوى » يسرع و «هاوى» سار سيراً شديداً . و«الهوى» هوى النفس . و «تهوى إليهم» ترتفع . و «هوى الرجل» مات . و« الهاوية اسم من أسماء جهنم و « فامه هاوية » مسكنه جهنم ومستقره النار .

وغير « يهوه » عبد الإسرائليون أيضاً الالـه « آل » وهو معبود الساميين قاطبة حيث كثر وروده فى النقوش العربية الشمالية منها والجنوبية ويتصل لفظ (آل) بكثير من الأسماء التى أطلقها الساميون على بعض معبوداتهم(١) ومن هذه الأسماء « الله » و « الوهيم و «اللهم » وقد أكثر العهد القديم من استخدامه وبخاصة فى قصص الآباء الأولين(٢) وأسماء الملائكة وبعض الأعلام مثل « جبرائيل » و « عزرائيل » و « يشمعئل — اسماعيل و « ناثانئيل » .

---

(١) التاريخ العربى القديم . ترجمه واستكمله الدكتور فؤاد حسنين على . ١٩٥٨
(٢) تكوين ص ١٦ ى ١٣ — ١٤ وص ٢١ ى ٣٢

وأخذ الإسرائيليون عن الكنعانيين المعبود « آل شدّاى » وقد تجلى لإبراهيم بهذا الاسم[١] . أما الالـٓه الذى تجلى لموسى فاسمه « يهوه »[٢] وهذه قرينة تؤيد مصرية « يهوه » فقد سأل ربه لما تجلى له قائلا « بماذا أجيب الإسرائيليين إذا سألونى عن اسم الله الذى أرسلنى إليهم ؟ فقال الله لموسى « أهيا أشير أهياه[٣] .

الوهيم

جمع « آلوه » أى « الـٓه » أو « الله » وهو معبود سائر الشعوب السامية . ولفظ « الوهيم » هذا كثيراً ماجاءنا معبرا عن عدد كبير من الآلهة[٤] كما أنه قد ورد معبرا عن الـٓه واحد تعظيما له وهذه الظاهرة ليست قاصرة على هذا اللفظ بل نجد فى العهد القديم ألفاظاً أخرى فى صيغة الجمع تعبر عن المفرد المعظم مثل لفظ « أدونيم » جمع « أدون » أى سيد[٥] كما نجد لفظ « قدوشيم » مع « يهوه »[٦] .

---

(١) تكوين ص ١٧ ى ١
(٢) خروج ص ٦ ى ٢ — ٣
(٣) خروج ص ٣ ى ١٣ — ١٤
(٤) مزمور ٩٦ ى ٤
(٥) اشعيا ص ١٩ ى ٤
(٦) هوشيع ص ١٢ ى ١

النبوة (١)

لا شك فى أن النبوة هى الركن الأساسى فى أى دين من الأديان سواء كان هذا الدين سماويا او أرضيا فالنبوة هى الوساطة بين العابد والمعبود من ناحية وبين العباد انفسهم من ناحية أخرى إذ أن النبوة ترجيح وإدراك الواجبات التى يجب على الإنسان أن ينهض بها فى مجتمعه أولا والعالم ثانياً لا للمعبود فحسب بل لسائر المخلوقات أيضا وهذا الترجيح أوالتنبؤ مصدره الشعور الدينى المرهف والجلاء الروحى الوضاح لأدراك الأمور التى قد تؤدى الى انهيار المجتمع خلقيا وتجنبها .

فالنبؤة إذن عبارة عن عنصر مزدوج دينى ودنيوى سماوى وأرضى فلا يوجد دين بلا أرض ولا يوجد فى عالم الأديان ما لا يوجد فى عالمنا الأرضى وإلا لاصبح الدين عبارة عن أوهام وخيالات لاحقائق ووقائع ونحن عند ما نتحدث عن الدين يجب أن نأخذ الحياة كلها بعين الاعتبار فالأرض هى وطن الـكائنات الحية فلا فائدة للسماء بدون أرض وإن توقف تحقيق أهدافنا الأساسية على السماء .

أن مجىء الانبياء ظاهرة تاريخية الا أنهم غير محدودى الزمن ومن هنا كانت النبؤة ظاهرة عالمية تقع فى مختلف العصور . وفى المجتمع الاسرائيلى نجد النبوة تنتشر انتشارا واسعا لاحدود له وقد ظهر الأنبياء من مختلف الطبقات الاجتماعية الشعبية لذلك فهم يختلفون فيما بينهم فى نبوءاتهم واعمالهم ، فنبوة (دبورا) مثلا بدائية بسيطة تتركز فى الدعوة إلى وحدة الشعب عقائديا بخلاف نبوة (شموئيل) فمتعددة النواحى ، فهو نبي وصوفى يمثل الحب الالـهى تمثيلا صادقا . وفى عصر داود ظهر نوع هادىء من الأنبياء أمثال (ناثان)

---

(١) راجع اسرائيل عبر التاريخ باب النبوة لنفس المؤلف

و (جاد) و (أخيا) و (الياهو) والاخير كان من دعاة تطهير العقيدة اليهودية من الدخيل كما اشتهر بمعارضته القوية للنظام الملكى . ثم جاء بعده النبي (اليشع) فكان شعاره « القضاء على اسرة عمرى الملكية » وفى القرن الثامن ق . م. ظهر امثال « عاموس » و « هوشيع » فى دولة سماريا وأشعيا و« ميكا » فى دولة يهوذا .

وقد خرجت إسرائيل عددا من الأنبياء المتشائمين امثال عاموس وهوشيع ويشعياويرميا وحزقيئل الذين انذروا إسرائيل بالخراب والدمار ولم يبشروا بفكرة خاصة تتصل بالمعبود « يهوه » وذلك لأنهم حرصوا على الدعاية للعقيدة اليهودية القديمة التى حاد عنها الإسرائيليون ، ولا غرابة فى هذا الاتجاه من هؤلاء الانبياء وامثالهم فقد انحدروا من نسل أبناء موسى والياس اؤلئك الثوار على الانحراف العقائدى، والمعبود « يهوه » هو الذى يشبع نزعتهم ويرضى مطامعهم ويحقق اطماعهم فهو « يهوه » رب الحرب والقتال لا « يهوه بعل » الـه الاستقرار الذى تتطلبه الخصوبة .

إن هؤلاء الأنبياء يتحدثون عن « يهوه » فى حماس واعجاب ويترقبون اليوم الذى يتجلى فيه بعظمته الحقيقية عندما يأتى فى العاصفة مطلقا الرعد واللهب محطما قوى الوجود ويخر له البشر سجودا لا راد لقضائه . والانبياء فى احاديثهم عن « يهوه » وعظمته يذكرون ايضا خوفهم منه لذلك نجد الكثير عن مخافة « يهوه » مع تقديسهم اياه فالأنبياء يعتمدون عليه اعتقادا منهم أنه يحمى الذين يؤمنون به والأرض يرثها عباده الصالحون .

ويتميز انبياء إسرائيل بظاهرة مشتركة إلا وهى المثلية اعنى مثلية الصلة بين الحياتين الدنيوية والأخروية أى الصلة بين الوجودية وهدفها . ويقرر هؤلاء الأنبياء ايضا أن حياة الإنسان لاتهدف إلى انه وجد ليعيش ويعيش ليأكل فقط فالأنبياء يحاولون أن يصلوا بين الوجودية وبين الجوهر الالـهى وبلوغ هذه الغاية من عمل الأنبياء ، واليهم يرجع الفضل فى بعث هذه الفكرة .

وهكذا نجد الإنسان يعنى بإنسانيته ومن ثم يذهب بعيداً فيخرج من دائرته الخاصة ليتصل بالله فى الوجود وهذه هى الفكرة الأساسية للنبوة والله هو منظم الحياة وهو ينظمها بحيث يجعل منها هدفاً أو وسيلة للحصول على منافع ، ومنها الأخلاق، وهذه هى الفكرة الرئيسية الثانية للوحدانية .

وهكذا نجد الأنبياء يخضعون الحياة الإنسانية فى كل ألوانها إلى هذه الدعائم التى تقوم عليها الوحدانية فطقوس الوحدانية مثلا يجب أن تبتعد عن الطقوس الوثنية ، اعنى الفصل ولو ظاهريا بين الشعب الإسرائيلى والشعوب الأخرى لكى يظل الإسرائيلى يعتقد انه شعب الله المختار . وإذا نظر الإسرائيلى إلى الله على أنه رب العالمين وأنه رب الجميع فى مختلف البلاد ضاعت فكرة « شعب الله المختار » ويصبح العكس صحيحا لذلك يقول النبى عاموس(١) « اياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض لذلك اعاقبكم على جميع ذنوبكم »

وأثر الأنبياء فى فكرة الله يتجلى لنا فى تفكير الذين جاءوا بعدهم وبخاصة الكهنة فاليهم يرجع الفضل فى ايجاد الشريعة المعروفة باسم شريعة الأنبياء التى نجدها مثلا فى سفر التثنية وهى عبارة عن حركة اصلاح شاملة فى العبادات وتطهيرها من الخرافات والاهتمام بالمسائل الاجتماعية .

كما أن فكرة الشعب اليهودى فى « يهوه » أخذت تتعرض للزوال فعوضا عنه نجد فكرة ملك الهى سماوى يجلس فى السماء البعيدة فى اعلى عليين وعلى عرش عظيم وتختفى الـ[illegible]طرة التى كانت ترى فى الله الإنسان الذى خلق الناس على صورته وتدريجيا بدأ الإنسان يفكر فى الايمان بكائنات هى الوسيلة بينه وبين الله وهذه الوسيلة قد تكون ارواحا أو ملائكة كما أخذ الإنسان يفكر فى « الحكمة » و « الكلمة » ونظريات أخرى تتصل بالوثنية غزت

---

(١) اصحاح ٣ ى ٢

اليهودية بتعدد الآلهة والاثنينية وفكرة الشيطان وغيرها ثم نجد الوحى يخفت صوته ويختفى وتختفى معه النبوة واكتفى المؤمن بالكتاب المقدس لمعرفة الله وإذا استعصى عليه أمر لجأ إلى رجال الدين لتبصرته به .

والآن نتساءل هل تعرضت العقيدة اليهودية لشيء من التطور بعيدة عن العهد القديم والتلمود ؟ أن اليهودية شأنها شأن غيرها من العقائد لا بد وأن تجارى العصر بالرغم من وفاة مؤسسها وقفل كتابها المقدس سواء كان العهد القديم أو التلمود وهكذا نجدها تحرص على تقرير وحدانية الله فهو الواحد الأحد وقد تفضل بخلق العالم وهو يهيمن عليه وفى شعبه إسرائيل أنزل وصيته وأعلن حكمته وهذا الله هو الحى وهو مركز الحياة وتعاليمه تحيط بالفكر والإنسان . وهذه التعاليم اليهودية المستحدثة فيها الكثير من التناقض إذ كيف يكون الله هو الخالق والديان ومخلص العالم . وهذا الله أعلى من الإنسان وأرفع وأخلدوهو القدوس إلا أنه هوالرحمن الرحيم وفى طريق الله يسير الإنسان وإليه يعود الإنسان ليصير قديسا فهو الله ،بينما هو بعيد ومستتر إذ به قريب ويستر فهذه الصفات التى قد تبدو متناقضة أوجدت فى اليهودية بعض المشاكل التى شغلت الفلسفة اليهودية عصرا طوالا . فاستعانت بمختلف أنواع الفلسفة حسب العصور المختلفة فطورا نجد هذه الفلسفة يونانية وفى العصور الوسطى أفلوطينية وأرسطوطالية وإسلامية وحتى التصوف فقد شق طريقه إليها وفى جميع هذه الحالات نجد التوحيد يلازم اليهودية فالله هو الفرد الصمد الخالق الديان .

إلا أن هذه الوحدانية التى تقوم كأصل من أصول اليهودية وتعليم من تعاليمها الدينية وتقول صراحة بوحدانية الله لم تظهر فى العهد القديم إلا بعد السبي البابلي والفضل فى ظهورها فى اليهودية يرجع ولا شك إلى أشعيا الثانى[1]

(١) اشعيا ص ٤٦ ى ٩ وص ٤٨ ى ١٢

مع استثناء بعض العبارات الواردة فى سفر التثنية[١] فاتصال اليهود بالبابليين أصحاب السيادة العالمية فى ذلك الحين[٢] ووجهة نظر أشعيا الثانى القائلة بأن مستقبل إسرائيل جزء من السياسة العالمية التى عاش فيها هو زمنا ما فى خضمها[٣] ثم اعتقاده بأن جميع هذه المظاهر تؤدى ولاشك إلى فائدة كل من إسرائيل ويهوذا[٤] .

كل هذه المظاهر تجلت لنا فى أشعيا الثانى الذى يصور اله إسرائيل وكأنه المهيمن على كل هذه الأمور وهو لا يهيمن عليها فحسب بل يسخرها لفائدة شعبه إسرائيل و « يهوه » وحده هو الذى يستطيع هذا ويحققه[٥] و« يهوه » هو الذى استطاع جمع سائر القوى فى يده وجرد سائر المعبودات الأخرى منها بل طاردها حتى لم يصبح لها مكان « أنا أنا يهوه وليس غيرى مخلص »[٦] وإذا وجدنا فى أشعيا الثانى محاورة بين معبوده وبين آلهة أخرى[٧] فلا يقصد أشعيا الثانى هنا أنه يؤمن بتعدد الآلهة بل يريد أن يقول أن الـها ثانياً لن يستطيع منافسته. هذا التوحيد هو شعار اليهودية وفكرة التوحيد كما يعرضها أشعيا الثانى ليست جديدة بل قد سبقه إليها أنبياء القرنين الثامن والسابع ق . م . وإن كان أشعيا الثانى قد بلغ بها مرتبة الكمال .

والحقيقة التى تجب الإشارة إليها أن الإيمان بالمعبود « يهوه » من آثار العهد الموسوى[٨] لكن هل عبدت الشعوب الأخرى أبان حياة موسى

---

(١) التثنية ص ٤ ى ١٩ وى ٣٥ وص ٦ ى ٤
(٢) اشعيا ص ٤٠ ى ١٥ وص ٤١ ى ١
(٣) اشعيا ص ٤١ ى ٨ وص ٤٤ ى ٢٤ .. وص ٤٩ ى ٢٢
(٤) اشعيا ص ٤٠ ى ٢٧ ... وص ٤٥ ى ١٧ وص ٥١ ى ٢٢
(٥) يشعيا ص ٤١ ى ١٣ وص ٤٨ ى ٣ وص ٥٤ ى ٩ — ١٠
(٦) يشعيا ص ٤٣ ى ١١
(٧) يشعيا ص ٤١ ى ٢١ — ٢٨
(٨) خروج ص ٢٠ ى ٢

مجموعة من الآلهة أم الـٰهاً واحداً ؟ هذا ما لم يصلنا ويرجح أن العبادة التى انتشرت أبان العصر الموسوى كانت توحيدية وثنية وهذا ما دفع بعض مؤرخى الأديان إلى الربط بين توحيدية موسى والتوحيديتين المصرية والبابلية حيث نجد فى المصرية أخناتون وفى البابلية عشتر .(١)

ثم أن الاهتمام الذى وجهه أنبياء بنى إسرائيل إلى محاربة تعدد الآلهة الذى كان منتشراً بين الإسرائيليين يدلنا دلالة صريحة على أن عبادة «يهوه» كانت فى خطر شديد والواقع أن عبادة «يهوه» كما فرضها موسى وارادها لم تكن من القوة بحيث تستولى على الحياة الروحية الإسرائيلية وبخاصة أيام النبى عاموس وذلك لأن الإسرائيليين بمجرد تسللهم إلى أرض كنعان واستقرارهم فيها أقبلوا بكل جوارحهم على العقائد الكنعانية[٢] كما أن معبود الكنعانيين الأول إلا وهو «بعل» أى «سيد» أو «مالك» أى «مالك البلاد» أطلقه الإسرائيليون على «يهوه» الذى أصبحت ديانته معرضة لخطر عظيم إذ انتقلت من الوحدانية إلى عبادة تقدس عدداً من الآلهة وهذا هو السبب الذى دفع عدداً من الأنبياء إلى مهاجمة هذه الظاهرة الجديدة .ولعل أول نبى تنبه إلى أثر «بعل» فى طقوس «يهوه» هو «هوشيع»[٣] .

ومن أشهر المعبودات التى قدسها الإسرائيليون أو الشعوب المجاورة لهم الالـٰه «عزازيل»[٤] والـٰه المو آبين المعروف باسم «كموش»[٥] ولما اضطر شاؤل داود إلى ترك إسرائيل عبد داود آلهة أخرى[٦] .

---

(١) عاموس ص ٥ ى ٥

(٢) شموئيل الأول ١٥ ى ٢٢ . . كذلك الملوك الأول ص ١٩ ى ١٥ . . والملوك الثانى ص ٩ — ١٠

(٣) يرميا ص ٤٤ ويشعيا ص ٣ وص ٥٧ ى ٥ .. وص ٦٥ ى ٣ .. وكذلك وثائق جزيرة الفيلة .

(٤) لاويون ص ١٦ ى ٨

(٥) قضاة ص ١١ ى ٢٤ . .

(٦) شموئيل الأول ص ٢٦ ى ١٩

ونفرق في إسرائيل بين نوعين من الأنبياء نوع لم يترك لنا رسالة مكتوبة ونوع دون نبوءته، ولعل أقدم نبي ترك لنا رسالته هو «عاموس» (منتصف القرن الثامن ق. م.) . ويحدثنا العهد القديم أن الأنبياء الإسرائيليين كانوا يكونون جماعات كثيرة . ففي سفر الملوك الثاني[1] نقرأ عن عدد من الأنبياء يبلغ الخمسين نبياً وفي الملوك الأول[2] نقرأ عن أربعمائة نبي في مكان واحد وجرت العادة إذا تكاثر عدد الأنبياء في مكان ما هاجر فريق منهم إلى جهات أخرى[3] كما أن النبوة لم تتطلب من النبي أن يبلغ من العمر حد الرجال بل نالها الشباب أيضاً[4]

ويتميز الأنبياء بلبس الفراء والتمنطق بمنطقة من الجلد[5] كما كانوا يقصون شعرهم قصاً خاصاً شأنهم شأن رجال الدين اليسوعيين اليوم[6] وكان للنبي الحق في الزواج والتناسل والملكية .

أما مواطنهم فالأماكن التي كانوا يعتقدون أنها مقدسة مثل «جبيع»[7] و«راما»[8] و«بيثل»[9] و«جلجال»[10] و«أريحا»[11].

ويتميز الأنبياء على سائر البشر بحلول روح الله بهم[12] أما كيفية حلول

---

(١) الملوك الثاني ص ٢ ى ٧

(٢) الملوك الأول ص ٢٢ ى ٦

(٣) الملوك الثاني ص ٦ ى ٨

(٤) الملوك الثاني ص ٥ ى ٢٢ وص ٩ ى ٤

(٥) الملوك الثاني ص ١ ى ٨

(٦) الملوك الثاني ص ٢ ى ٢٣

(٧) شموئيل الأول ص ١٠ ى ١٠

(٨) شموئيل الأول ص ١٩ ى ١٨

(٩) الملوك الأول ص ١٣ ى ١١

(١٠) الملوك الثاني ص ٢ ى ١

(١١) الملوك الثاني ص ٢ ى ٥

(١٢) شموئيل الأول ص ١٠ ى ٦ وى ١٠

الوحى أو مجيئه فقد تقفز روح الله على النبى كما يقفز الطير الجارح[1] وكان بعض الأنبياء مثل « اليشع » يجرى طقوساً خاصة لاستقبال روح الله إذ يروى أنه كان يستدعى عازفاً على الأوتار ليعزف له بعض الألحان[2] .

ويرجح أن النبى كان يرقص على أنغام الموسيقى شأنه شأن أنبياء «بعل»[3] أو يقف النبى وقفة هادئة[4] وإذا ماحلت الروح بالنبى انطرح أرضاً طوال النهار والليل فاقداً وعيه وهو فى حالة غيبوبة وقد يظهر فى حالة تشبه حالة المجانين[5] فمرض شاؤل العقلى اعتبر نبوءة والشخص الذى يسخر من نبى يطلق عليه لفظ مجنون(٦) . والنبى كالمجنون غير مسئول عما يفعل فهو يأتى بحركات تريدها الروح كأن ينتقل من مكان إلى آخر مثلا(٧) . وإبان فترة حلول الوحى بالنبى يتفوه بألفاظ وعبارات هامــــة جداً يتلقفها جمهور الحاضرين لأنها نبوءات تتحدث عن المستقبل . لذلك يحرص القوم على تخليدها ، ومن الأنبيـاء من يوحى إليه بالاسم الذى سيسمى به ابنه(٨) وخلاف الألفاظ المفردة نجد أيضاً جملا مركبة(٩) يقصد منها هجاء العدو وتهديده[10] . كما أن النبى كان وقت حلول الوحى به يشاهد الله[11] أحياناً .

وهؤلاء الأنبياء الذين كانوا يقولون عجبا ويصنعون عجبا أصبحوا موضع إحترام وتقديس كثيرين من الناس حتى أنهم كانوا يجدون البركة فى كل

---

(١) شموئيل الأول ص ١٠ ى ١٠
(٢) الملوك الثانى ص ٣ ى ١٥
(٣) الملوك الأول ص ١٨ ى ٢٦
(٤) الملوك الأول ص ١٨ ى ٤٢ . .
(٥) شموئيل الأول ص ١٩ ى ١٨ــ٢٤
(٦) الملوك الثانى ص ٩ ى ١١ ويرميا ص ٢٩ ى ٢٦ وهو شيع ص ٩ ى ٧
(٧) الملوك الأول ص ١٨ ى ١٢
(٨) هو شيع ص ١ ى ٤ وى ٦ وى ٩ ويشعيا ص ٧ ى ٣ وص ٨ ى ٣
(٩) يشعيا ص ٣٠ ى ٧ ويرميا ص ٢٠ ى ٣
(١٠) الملوك الثانى ص ٦ ى ١٢
(١١) الملوك الأول ص ٢٢ ى ١٩ والملوك الثانى ص ٦ ى ١٧

ما يلمس جسد النبي من ملبس وخلافه ، فالعهد القديم يحدثنا أن بردة النبي الياس كانت تقسم مياه الأردن إلى قسمين[١] كما أن عصاه لها عجائب أخرى[٢] ويروى أن ميتا بعث حيا بسببهما[٣] وقد استغل الأنبياء نبوءاتهم لكسب عيشهم فالنبوءة عند أنبياء بنى إسرائيل كانت أيضاً وسيلة غايتها الحياة الرغدة الهنيئة[٤] وتختلف النبوءة أحياناً حسب الهدية أو المنحة أو الأجر الذى يتقاضاه النبي[٥] .

وهناك نفر من الأنبياء اشتغل بالسياسة والقضايا القومية وجعلوا منها موضوعا لنبؤاتهم لذلك نجد بعضهم فى بلاط الملوك أو على رأس الجيوش وويل للملك إذا خالف النبي فالثورة قد تطيح بعرشه . ومن أشهر الأنبياء السياسيين « اليسع » الذى كما يحدثنا سفر الملوك الثانى[٦] أسقط أسرة « عمرى » كما رافق الملك (يهو) فى فتوحاته حتى أنه لقب بعربة إسرائيل وفارسها[٧] ومن الأنبياء السياسيين المشهورين أيضاً « يونا » الذى رافق الملك يروبعام الثانى[٨] .

ويتفق سائر الأنبياء الإسرائيليين فى أنهم سواء فى أن مايصدر عنهم دوّن أو لم يدوّن ، جاءهم من الله لذلك جرت عادة النبي إذا بدأ عظته استهلها بعبارة « خاطبنى الله » ويتطلب النبي من مستمعيه الإيمان برسالته وأن الله

---

(١) الملوك الثانى ص ٢ ى ٨

(٢) الملوك الثانى ص ٦ ى ٦

(٣) الملوك الأول ص ١٧ ى ١٩

(٤) العدد ص ٢٢ ى ٥ وى ٧ والملوك الأول ص ١٤ ى ٣ . . والملوك الثانى ص ٤ ى ٢٢ وص ٥ ى ٢٢

(٥) ميكا ص ٣ ى ٥ — ٨

(٦) الملوك الثانى ص ٩ ى ١ . .

(٧) الملوك الثانى ص ١٣ ى ١٤

(٨) الملوك الثانى ص ١٤ ى ٢٥

محيط بالإنسان والنبي الذى يتكلم من قلبه لا عن طريق وحى هو نبي كذاب[١] كما أن الآراء التى ينطق بها النبي ليست صادرة عن إرادته بل هى من عند الله واضطر النبي إلى تبليغها[٢] ولن تاتى النبوة إلا للشخص الذى يتقبل صوت الله وهذا الشخص إذا ما اختاره الله نبيا تتقد فى داخله نار لا يستطيع إطفاءها لذلك نجد النبي يصيح صارخا هكذا يتحدث أرميا عن نفسه فمثله مثل موسى الذى رفض النبوة عندما جاءته إلا أنه لم يستطع مقاومتها فخضع لها وصار نبيا[٣] وإذا سئل النبي عن طريقة مجيء الوحى حار ولا يذكر إلا لحظات الغيبوبة التى حلت به وكيف أن قوة جبارة استولت عليه وملكت عليه حواسه[٤] . وقد ترك لنا بعض الأنبياء وصفا دقيقا لمجيء الوحى وهو يلخص فى :

أولا : الرؤى وذلك بأن يرى النبي رؤية مصحوبة بكلام فمثلا يرى النبي الله جالسا على عرشه العالى ثم يسمع الأرواح المحيطة به تتحدث اليه[٥] أو يرى النبي رسل الله راكبين ويأتونه بالأخبار[٦] وهنا نرى العنصر الهام المرئى والمسموع وهو الكلام إذ الشيء المهم عند النبي ليس رؤية الله بل ما يقوله الله وليس وصف مظهر الرسول بل ما ينطق به الرسول . فاعتبار المرئيات هنا يأتى فى المرتبة الثانية بعد الكلمات وهذا يدلنا على أن المرئى أقل من الكلم كما أن الغالب هو مجيء الكلم وعدم الاكتراث بطريقة وصوله ويدل أيضاً على أن الأنبياء يهتمون بالأفكار التى تصل إليهم وليس بالطريقة العجيبة ! التى تصل إليهم بها هذه الأفكار فالفكر أقرب

(١) أرميا ص ٢٣ ى ١٦ وحزقيئل ص ١٣ ى ٢
(٢) عاموس ص ٣ ى ٨
(٣) أرميا ص ١ ى ٥ وص ٢٠ ى ٩
(٤) اشعيا ص ٨ ى ١١
(٥) اشعيا ٦ ى ١ . .
(٦) زكريا ص ١ ى ٧ — ١١

إلى الأذن من العين[١] وهذا عنصر هام جداً فى حياة النبي الروحية إذ عن هذا الطريق يستطيع النبي الكشف عن الأسرار وهذا إعداد ولا شك لاستقبال الوحى[٢] .

ثانياً : من وراء حجاب أعنى أن الوحى لا يراه النبي ولا يحتجب عنه بل يكلف النبى بوضع حجاب على عينيه حتى يسمع الأصوات السرية فالنبى هنا لا يرى الوحى بل يصغى إلى الأرواح التى تتحدث فيما بينها[٣] كما أن النبي يسمع العبارات التى ينطق بها فى مجلس الله كما يسمع أصواتاً لا تقع فى الحاضر بل فى المستقبل مثل صوت البرق الذى سيدوى فيما بعد[٤] ، وصهيل خيل الأعداء[٥] وصراخ سكان المدن[٦] كما يتصور هرب الشعب المسبي فى كنعان[٧] .

وهذه الأصوات التى يسمعها النبي قد تكون صاخبة وقد تشبه تلاطم الأمواج أو صراخ الشعوب ، كما قد تتجلى أنوارا ساطعة[٨] ، وقد تدوى وكأنها جلجلة مركبة « يهوه »[٩] .

ثالثاً : يأتى الوحى عن غير طريق الرؤية أو السمع أو الحجاب بل عن طريق المذاق والأكل ، فالنبي يأكل كتاباً حلو المذاق كالعسل(١٠)أو قد يسمع النبي مشياً أو خطى غريبة . وجاء أن الوحى لما أنزل على حزقيئل

---

(١) اشعيا ص ٢١ ى ١ــ١٠
(٢) حبقوق ص ٢ ى ١
(٣) اشعيا ص ٤٠ ى ٣ ..
(٤) ارميا ص ٤ ى ٢١
(٥) ارميا ص ٨ ى ١٦
(٦) ارميا ص ٤ ى ٢١
(٧) ارميا ص ٣١ ى ١٨ــ١٩
(٨) أشعيا ص ١٧ ى ١٢
(٩) حزقيئيل ص ٣ ى ١٢
(١٠) حزقيئيل ص ٣ ى ٣

للمرة الأولى ثم انقطع عنه . ذكر حزقيل أن الروح أخذه ومسكه وكأن النيران قد اشتعلت فى قلبه ووضع « يهوه » يده الثقيلة عليه فجاء حزقيل إلى المنفيين فى تل أبيب[١] ولم يكد النبي يرى هذا الشعب المجنون حتى هام على وجهه .

رابعاً : وقد يأتى الوحى فيجهد الجسد والروح وذلك لأنه قد يوحى إلى النبي وروحه غير مستقرة لأن رسالة الوحى قد تتصل بشدة أو ضيق أو إبادة أو خراب ودمار[٢] ويقرر النبي يرميا كيف أن الإنسان لا يقوى على إستقبال الوحى[٣] وكان النبي إذا ما فرغ من إستقباله الوحى يشعر وكأنه قد ضرب ضربا مبرحا .

خامساً : قد تصحب الوحى أعراض تصيب النبي فتجعله كالمجنون أو من به مس هكذا يحدثنا حزقيئل أنه يذكر كيف كان يشعر بأنه مغلول اليدين والقدمين لا يستطيع الحراك أو الانتقال من مكان إلى آخر[٤] وقد يعجز النبي عن الكلام وبغتة يفتح فاه[٥] ويحدثنا حزقيئل عن كثير من الصور الجنسية والتى قد ترجـــع إلى حياته الخاصة فأحاديثه تصدر فى الواقع عن اللاوعى .

سادساً : ومن دلائل الوحى أيضاً التزام النبي باوامر خاصة فالنبي أشعيا مثلا قضى مرة ثلاثة أعوام عاريا[٦] كما دخل أرميا مرة فناء المعبد حاملا نيرا على كتفه[٧] وحمل حزقيئل مرة بعض أدوات منزله وأنزوى فى

---

(١) حزقيئيل ص ٣ ى ١٤ـ١٥

(٢) اشعيا ٢١ ى ٣ـ٤

(٣) ارميا ص ٤ ى ١٩ـ٢١

(٤) حزقيئيل ص ٤ ى ٨

(٥) حزقيئيل ص ٣ ى ٢٦ وص ٢٤ ى ٢٧

(٦) اشعيا ص ٢٠ ى ٣

(٥) ارميا ص ٢٨ ى ١٠

فجوة بالحائط (١) وهكذا نجد عددا من الأنبياء يأتون بمختلف الأعمال التى يأتيها الأطفال ومن بهم لوثة .

سابعاً — ويتميز الأنبياء الذين تركو لنا كتابات أن النبى كان يأتيه الوحى من قبل فى شكل رؤية تبشره أنه أصبح نبيا(٢) وهؤلاء الأنبياء يعلمون سر الكون ورغبة الله وهم يعتقدون أنهم يتحدثون ويتنبأون بارادة الله لذلك فهم أقوياء(٣) يأمرون الملوك باسم الله وهم لا يخشون الاضطهاد أو السجن أو الموت لأنهم يعتقدون أن الوحى يلازمهم دائما .

ونستطيع أن نفرق بين الأسفار النبوية التى جاء تناحسب موضوعاتها إلى:
أولا : النبوات السياسية .

ثانياً : النبوات الخاصة بالعادات والأخلاق العقائدية .

ثالثاً : نبوات غير سياسية تتصل بمستقبل البلاد والعالم وزواله وظهور عالم آخر . ويتميز النوع الأخير باشتماله على كثير من العناصر الأجنبية الأسطورية التى جاء بها الاسرائيليون من الخارج كأسطورة ياجوج وماجوج.
وقد نجح الأنبياء أصحاب الأسفار فى خلق تفكير جديد فهم لم يهاجموا آلها بعينه ينافس « يهوه » بل هاجموا فكرة تعدد الآلهة كما أنهم لم يقصروا رسالتهم على مسألة بعينها بل عنوا بعدة مسائل اضطرتهم إلى تدوينها فى سفر خاص .

ولم يكن هؤلاء الأنبياء كتاباً بل خطباء فالسفر النبوى المقدس يجب أن ننظر إليه على أنه مجموعة من الخطب أعدت للالقاء وليست كتابات للتدوين . كما أن هذه الخطب أعدت لتلقى على جمهور الشعب فى السوق ولم

---

(١) حزقيئيل ص ١٢ ى ١
(٢) اشعيا ص ٦ وارميا ص ١ وحزقيئيل ص ١
(٣) ميكا ص ٣ ى ٨

توضع لتقرأ والقارىء طبعاً غير السامع[١] كما أن لكل نبي خطيب طريقته الخاصة لإلقاء خطبته فحزقيئل مثلا يذكر[٢] أنه عند الإلقاء كان يضرب الأرض بقدمه ويصفق بكفيه ، وارميا يقارن نفسه عند إلقاء خطبته بسكير[٣] وفى أشعيا[٤] نجد خطباً صدرت عنه وهو فى حالة هيام . وفى حالات كثيرة نجد النبي يخطب أو يتحدث بعد انصراف الوحى عنه بدليل كثرة ورود مثل هذه العبارة « هكذا تكلم « يهوه » إلى » .

وبعد فترة من الزمن أخذ هؤلاء الأنبياء الخطباء يدونون نبوءاتهم ونجد نبيا مثل ارميا الذى ظل قرابة ثلاثة وعشرين عاماً يلقى خطبه على مستمعيه يلجأ إلى تدوين نبوءته لما حيل بينه وبين الخطابة[٥] وعاموس لم يفكر فى الكتابة إلا بعد أن طرد من المملكة الشمالية . فهذه الظروف وغيرها هى التى أوجدت طائفة الأنبياء المؤلفين[٦] .

أما تأليف الأنبياء فقد بدأ صغيراً ومن ثم أخذ يكبر ويزداد تدريجياً حتى بلغ الحالة التى نجده عليها فيما وصلنا من أسفار فقد بدأ بكلمات أو عبارات قليلة[٧] ومن ثم لما نضجت فكرة التدوين والتأليف أخذ يدون النبي او تلميذه أعماله غير مرتبة الترتيب التاريخى أو الموضوعى كما أن الأنبياء لم يراعوا الدقة التامة عند التدوين أعنى أنهم لم يدونوا الأمور كما قيلت من قبل بل حذفوا منها أو أضافوا لها ما شاءوا ولعل خير مثل يستشهد به على مثل هذا التصرف معجزة « شبنا »[٨] والتى استلحق بها أخباراً أخرى وهكذا نشأت

(١) ارميا ص ٧ ى ٢

(٢) حزقيئيل ص ٦ ى ١١

(٣) ارميا ص ٢٣ ى ٩

(٤) اشعيا ص ١١ ى ١ـ١٠

(٥) ارميا ص ٣٦

(٦) اشعيا ص ١٠ ى ١

(٧) اشعيا ص ٢٢ ى ١٥ـ١٩

(٨) اشعيا ص ـ ٢٢ ى ٢٠ـ٢٥

من هذه المجاميع بعد قرون كتب الأنبياء وفيها أشياء كثيرة دخيلة لم يعرفها أصحابها الأنبياء الأصليون حتى أن سفر أشعيا مثلا قبل أن يدلنا على أنه سفر نقرأ فيه النبوة الإسرائيلية هو كتاب أشعيا وليس الوحى الذى أنزل على أشعيا وهذا السفر يخالف مثلا سفر حزقيل هذا الكاهن القانونى الذى اعتاد الدقة والعناية بالألفاظ والعبارات كما أن نبوءاته عن إسرائيل لم تدون إلا بعد مدة طويلة حيث كتب أول سفر للأنبياء فأسلوبه وعباراته مرتبة ترتيباً زمنياً يطابق الحقيقة والواقع .

وقبل التعرض للبحث فى أسلوب الأنبياء يجب علينا أن نتعرف على ضروب الأدب المختلفة التى سلكها هؤلاء الأنبياء إذ أن لكل ضرب وحدته الخاصة أما هذه الوحدة التى يفيض بها أسلوبهم فنتبينها من الآثار الأدبية التى جاءتنا فى العهد القديم .

ولعل أصعب ما يعترضنا عند دراسة هذا الإسلوب هذه النصوص التى تتكون من لفظ أو بعض الألفاظ فنحن لا نعلم من أمرها شيئاً فهل هى نصوص مستقلة أم فاتحة أو خاتمة لنصوص أخرى ضاعت وبقيت منها هذه وقد سجلها أنبياء مثل « هو شيع » فأطلق بعضها على بعض أبنائه(١) فامره «يهوه» أن يسمى ابنه الأول « يزرعيل »(٢) كما سمى ابنته « لو رحمه(٣)» وابنه الثانى « لوعمى(٤) » .

وجاءتنا عبارات غامضة وكأنها الغاز مثل « رهب هم شبت» (٥) و « لمهر شلل حش بز »(٦) وغيرها من العبارات التى تذكرنا بشبيهاتها الواردة فى أوائل بعض السور القرآنية الكريمة.

---

(١) هوشيع ص ١
(٢) هوشيع ص ١ ى ٤
(٣) هوشيع ص ١ ى ٦
(٤) هوشيع ص ١ ى ٩
(٥) اشعيا ص ٣٠ ى ٧
(٦) اشعيا ص ٨ ى ١

فعن طريق تلك المفردات أو العبارات نجد الأنبياء الإسرائيليين فيما أرجح ينتقلون من مرحلة إلى أخرى من مراحل الإتصال بالوحى فالنبي عادة يمر عند إتصاله بالوحى أولا بالهيام أو الوجدان وهو وفى هذه المرحلة يستعين بهذه الألفاظ أو العبارات للربط بين أفكاره وبين الحالة الروحية التى يصل إليها عن طريق الهيام أو التجلى فالأسلوب النبوى يتميز أولا بهذه المفردات أو العبارات التى تأتيه فى هذه الحالة التمهيدية وتتميز هذه عادة باستخدام النبى للأمثال أو الحكم القصيرة والتى لا تكاد تتعدى ثلاث آيات أو أسطر[1]. أما الأمثال والحكم فليست بقايا أو خلاصة أقوال الأنبياء بل هى فى الواقع عبارات كاملة صدرت عن النبي وهو يمر بهذه الحالة من الهيام .

ثم نجد النبوة تتطور فتنتقل من حالة الوجدان إلى الخطابة فبدأ النبى بالخطبة القصيرة ومن ثم أخذت تتطور الخطبة حتى أصبحت إصحاحاً أو سورة وكانت الخطبة عادة عبارة عن مجموعة من الأمثال أو الحكم أو الأقوال وقد لا نجد بين محتويات الخطبة رابطة فكرية توحد بينها إذ أن الخطبة تنتقل من موضوع أو فكرة الى موضوع آخر أو فكرة أخرى وتنتهى الخطبة عندما يعتقد النبي أن الموضوع قد إنتهى وخير مثال نسوقه لهذا الأسلوب النبوى ماجاءنا فى أشعيا[2] وعوضاً عن الوحدة الداخلية للخطبة نجد أحيانا وحدة خارجية وهي التى تعرف اليوم بإسم « القرار » وذلك أن يأتى النبي بآية يكررها بين آيتين أو أكثر[3] ثم أخذ الأسلوب النبوى يتطور فلم يكتف النبي بخطبة واحدة بل جمع عدداً من الخطب وضمها إلى بعضها فكون منها السفر وهذا السفر تنقصه وحدة الموضوع أو الترتيب الزمنى هكذا يلاحظ عند حزقيئل مثلا[4] بينما نجد نبيا مثل أشعيا الثانى يلتزم الطريقة القديمة

(١) اشعيا ص ١ ى ٢ـ٣ وص ٣ ى ١٢ ـ ١٥ وص ١٤ ى ٢٤ ـ ٢٧ وص ١٧ ى ١٢ ـ ١٤

(٢) اشعيا ص ١٣

(٣) عاموس ص ٨ وص ٤ ى ٦ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١

(٤) حزقئيل ص ١ ـ ٨

فى سفره ويخرجه كأنه مذكرات يومية يحرص فيها على إستخدام الألفاظ اليومية دون مراعاةلترتيبها حسب استخدامها .

ومع مضى الزمن نجد الأسلوب النبوى يتطور وينتقل من الشعر أو النثر المسجوع إلى النثر المطلق فالنبي عندما يتحمس لفكرة من الأفكار يندفع معبراً عن هذه الفكرة شعراً أو نثراً مسجوعاً وهو فى أسلوبه هذا يوفق بين حالته النفسية وبين الأسلوب الذى يصب فيه إنفعالاته هذه لكن عندما يعاوده الهدوء ويريد مخاطبة العقل والمنطق يعبر عن أفكاره نثراً ففى العبريةواللغات الساميةعامة نجد الصلة قوية جداً بين أسلوب الخطبة والشعر ونستطيع من دراسة فنون هذا الشعر النبوى الخطابى التمييز بين ضربين من ضروبه ضرب يحافظ على الأسلوب القوى العنيف الذى تتطلب صياغته نغما خاصا ، وضرب فيه شيء من الحرية فهو أقرب إلى الشعر المنثور من الآخر فالأخير لا يلتزم وزناً بعينهبل يقال فى أوزان مختلفة حسب ظروف النبي . ومن أمثلة الضرب الأول ماجاءنا فى أشعيا وأرميا(١)ومن الضرب الثانى أشعيا(٢).

ثم إذا علمنا لن نبوة النبي تمر بمراحل كثيرة مختلفة فبعد أن كان هائماً نجده واعظاً ثم مفكراً دينيا أدركنا أثر هـــذا التطور فى خطبه أو سفره وأسلوبه . هذا هو الأسلوب النبوى من ناحية النص الأدبى أما من ناحية الوحى فنميز أيضاً بين أسلوبين مختلفين أسلوب مرأى وآخر مسموع أعنى أسلوب يعبر عن الوحى وقد شاهده النبي ورآه وأسلوب يعبر عن الوحى وقد بلغ النبي سمعا لارؤية . والعهد القديم يفيض بالأمثلة التى تشير إلى السمع(٣)فقدجاءفى سفرالتكوين مثلا « .. فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه

---

(١) ص ١ ى ١٠ ... وص ٣ ى ١٢ ــ ١٥ وارميا ص ٢ ى ١ ــ ٣ وميكا ص ٤ ى ١ ــ ٣

(٢) اشعيا ص ١ ى ٢ــ٣ وص ٢٩ ى ١ــ٨

(٣) تــكوين ص ٣ ى ٣

لئلا تموتا » وفى موضع آخر من التكوين جاء « وقال الرب لإبرام...»[١] ومن الآيات التى تشير إلى الرؤية ماجاء فى المزامير وزكريا والتثنية وغيرها من الأسفار[٢] وإذا قابلنا بين السمع والرؤية وجدنا الآراء متضاربة بين الأنبياء فمنهم من ينكر الرؤية لقرب الأحلام منها[٣] « قد سمعت ماقالته الأنبياء الذين تنبأوا باسمى بالكذب قائلين حلمت حلمت » أما الإجماع فمنعقد على أن الوحى الذى يبلغ الرسالة كلاما وحى صادق أمين كما أن هذه العبارات التى يأتى بها، من كلام الله فالنبى يشعر أنه رسول الله وكما أن الرسول يبلغ عبارات مرسله كذلك النبى الذى يستخدم أحياناً ضمير المتكلم للإشارة إلى الله أعنى أن النبى يتكلم كما لو أنه « الله » كما قد يبدأ النبى حديثه بقوله « هكذا قال الله » وقد يغير الأسلوب وينتقل إلى حديث آخر يتحدث فيه النبى عن الله فيخاطبه بعبارة الغائب[٤].

ومن اليسير على القارى أن يميز بين الوعد والوعيد وبين القصص التاريخية والخصومات بين النبى ومعارضيه والأمور الدينية والأخرى الدنيوية والأمثال وما إليها . إلا أن هذه العناصر ليست فى الواقع من عمل النبى بل دخلت على النبوة فى عصور متأخرة فالأنبياء أصلا ليسوا شعراء أغانى أو قصاص قصص الا أن رغبتهم الملحة فى كسب الجماهير والسيطرة عليهم وجهتهم إلى هذا الأسلوب فى الدعوة والواقع أن الفن الأدبى الخاص بالأنبياء يتكيف برسالة النبى وما أوحى إليه به وقد يستخدم النبى العبارات الغامضة فى الوقت الذى ينتظر منه الافصاح فالنبى « هو شيع » مثلا يحدثنا عن امرأة زانية ويتعمد عدم ذكر اسمها ولو أنه يقصد امرأته بالذات[٥] كذلك قد يلجأ النبى إلى الرموز والكنايات فالحصاد الفناء، والنير

---

(١) تكوين ص ١٣ ى ١٤

(٢) مزمور ٥٩ ى ١١ وزكريا ص ٢ ى ٣ والتثنية ص ٣٤ ى ١

(٣) ارميا ص ٢٣ ى ٢٥

(٤) اشعيا ص ٢١ ى ٦

(٥) هوشيع ص ٣ ى ١

الاستعبادلذلك نجده احيانا يقفز من فكرة إلى أخرى وخاصة عندما ينتقل النبي من الوعد إلى الوعيد أو العكس .

ولعل أقوى ظاهرة يتميز بها الأسلوب النبوى هي العاطفة فانبياء الوعد أو الوعيد يعوصون وراء أقسى العبارات وعيدا وأرقها وأجملها وأروعه وعدا . ويميل النبي عادة إلى استخدام صيغة الأمر وذلك لأن للنبي الحق أن يتحدث باسم الله[١] .

وغير المسائل الدينية عنى النبي ايضا بالمسائل الدنيوية فقال شعرا فى الحراسة[٢] وفى الشراب[٣] والسخرية[٤] والمراثى[٥] كما نجد أغانى كثيرة فى الدين وطقوسه(٦) والآداب العامة(٧) حتى اننا نجداسفارا كاملةلا تشتمل الا على القذف والتهديد مثل سفر عاموس حيث وجد الأنبياء وسيلة مكنتهم من رياضة أنفسهم على التحدث عن الأخلاق والدين . ومن كل هذا نشأ مايعرف بفلسفة الدين حيث أعلن الأنبياء رأيهم فى حكمة الوجود ومكانة الله منه(٧) .

وهكذا نرى من دراسة كل هذه العناصر الأدبية كيف نشأ أسلوب الأنبياء والضروب الأدبية المختلفة التى طرقوها ورأينا كيف أن بعض هذه الضروب خاصة الشعر العاطفى استمر وتطور ولعب دورا هاما فى العالم سواء أدبيا أو دينيا .

---

(١) ارميا ص ١ ى ١٠
(٢) اشعيا ص ٢١ ى ١١–١٢
(٣) اشعيا ص ٢١ ى ١٥ وص ٢٢ ى ١٣
(٤) اشعيا ص ٢٣ ى ١٦
(٥) اشعيا ص ١٤ ى ٤ ..
(٦) اشعيا ص ٢ ى ١ ..: وميكا ٤ ى ١ ..
(٧) صفانيا ص ٢ ى ١٠ وارميا ص ٢ ى ١٧

دين الانبياء

ظاهرة عجيبة تتميز بها العقيدة الاسرائيلية الا وهى أن الدين ليس خاصا بنبي أو رسول بعينه كما هو الحال فى الاسلام مثلا اذ اختص الله به محمدا صلى عليه وسلم بل نتاج عدد من الأنبياء ظهروا فى عصور مختلفة فضلا عن أن هؤلاء الأنبياء يختلفون فيما بينهم وبين العقيدة الاسرائيلية كما يمارسها الاسرائيليون أنفسهم ، هناك فرق فى العصر الواحد بين العقيدة الشعبية وبين العقيدة التى يدعو إليها النبي ومن ثم نجد حتى هذه العقيدة الاسرائيلية الشعبية تتطور وتتغير زمانا ومكانا مسايرة للاحداث التى تعرض لها الاسرائيليون فى تاريخهم الطويل . والمقابلة بين العقيدتين الشعبية والنبوية تقدم لنا نتائج غاية فى الاهمية ففى العقيدة الشعبية نجد عناصر تنتمى إلى « يهوه » وأخرى إلى « بعل» إلى جانب عقائد أخرى من رواسب العصور الغابرة بينما العقيدة النبوية تحاول جاهدة ارساء قواعد العقيدة اليهوية كما انتهت إليهم وموقف كل نبي اسرائيلى منها يختلف عن موقف النبي الاخر الذى قد يعاصره أو يأتى بعده وذلك لأن العقيدة اليهوية لم تدون منذ ظهورها، لتكن على عهد موسى ' وما دون منها لم يقدر له من يحفظه من التحريف أو الزوال وذلك نظرا للكوارث العظيمة التى تعرض لها الاسرائيليون شعبا وعقيدة ولغة ووطنا فحتى هذه العقيدة التى أدعى أنبياء اسرائيل أنها عقيدة « يهوه » وانهم جاءوا للتبشير بها ليست فى الحقيقة يهوية موسى أن صح أنها التى أنزلت عليه . أن الاسرائيليين يعتقدون أن موسى هو الذى بذر البذرة الدينية اليهوية الأولى الا أن بعض الأنبياء مثل شموئيل وناثان واحيا والياس واليشع تجلت لهم هذه الفكرة، ايضا الا أنهم اعتقدوا فقط وآمنوا واطاعوا اله سيناء والدين الذى ظهر هناك ووضعت أسسه ورفضوا كل ماعدا ذلك من المعتقدات الشعبية التى ظهرت واختلطت بالعقيدة الأصلية التى نما فيها الشعب الاسرائيلى ونمت هى معه . وحدث

فى الفترة الممتدة بين القرنين الثامن والسادس ق.م. عندما قاربت الشخصية الاسرائيلية والعقيدة الاسرائيلية من الزوال أن ظهرت حركة تطهير عقائدية قوية رمت إلى تطهير العقيدة من الدخيل وظهر فى القرن الخامس ق.م. أمثال عزرا ونحميا وتبعهما نفر من الغيورين على العقيدة وواضعوا دستورا عقائديا كفل تطهيرها وتثبيتها الا أن أفراد هذه الجماعة القيادية وأن اتفقوا فى الخطوط العريضة للعقيدة الا أنهم اختلفوا فيما بينهم فى العناصر الاساسية فمنهم من اهتم بالناحية الاخلاقية وآخرون بالحياة الاجتماعية وطائفة بالدين وتعاليمه. وهناك نفر ينتظر الفناء لاسرائيل لكفرها بالله وتعاليمه وآخر يرجو للاسرائيليين العفو والتوبة وثالث يقف من رجال الدين وعقيدة الشعب موقفا سلبيا ورابع يقتبس من الشعب أو الكهنة بعض العقائد والطقوس. ومن دراسة مخلفات أولئك الأنبياء نستطيع فهم مذهب كل نبى على حدة فمثلا النبى «عاموس» درع المساكين وعدو الأغنياء والمرابين والوصوليين والظالمين و«يهوه» هو القوى الديان العادل يتطلب العدل ويحميه(١) كما أن «يهوه» يرفض سائر العبادات الاخرى الموجودة فى «بيثئل» وغيرها(٢) وهذا الله لا يريد الا الخير(٣) وهو المهيمن على سائر الشعوب وسيدين اسرائيل(٤) ويحطمها وعباداتها ويوجد فى فلسطين الذى سيجعلها جنة الأرض دولة داود الجديدة(٥).

أما النبى «هوشيع» فيرى فى «يهوه» والداً لإسرائيل يغار على الإسرائيليين ويحبهم جداً(٦) وكان يقاوم التصوير والقرابين والزناء والهيام ويعتبرها دخيلة على عقيدة يهوه وجاءتها من الكنعانية كما حارب أيضاً عبادة

---

(١) عاموس ص ٥ ى ٢٤ وص ٦ ى ١٢
(٢) ... ص ٤ ى ٤ ... وص ٥ ى ٤ ... وى ٢١
(٣) .... ص ٥ ى ١٤
(٤) .... ص ٥ ى ١٨—١٩
(٥) .... ص ٩ ى ١١—١٥
(٦) هوشيع ص ٣ ى ١ وص ١١ ى ١ وى ٨—٩

بعل والنظام الملكي والسياسة الدولية والكهنة والجيش[١] وهو يقول ان « يهوه » لا يريد القرابين وأحب وسيلة للتقرب اليه حب الأقربين من ناحية والفناء فى الله من ناحية أخرى[٢] ويتنبأ هذا النبي بأن « يهوه » سيحول فلسطين الى صحراء جرداء ويقود بقية الشعب الإسرائيلي الى الصحراء ثانية حيث تتحسن العلاقات بين الإسرائيليين ويهوه ثانية[٣] ويرى النبي « أشعياء » فى « يهوه » أنه الرب الذى يستطيع أن يحطم كل الوجود[٤] كما يتطلب الإيمان الأعمى[٥] وهو يحارب فى سبيل الحق والعدالة[٦] والأخلاق . وينتظر أشعيا عودة دولة داود كما يؤمن بصهيون وسيكون هذا الجبل مقر « يهوه »[٧] وهو يقول أن دولة داود الجديدة ستقوم على العدالة والحق وستشمل كل العالم[٨] .

ثم نجد نبياً آخر كان معاصراً لاشعياً الا وهو « ميكا » وكان معارضاً لحد ما لاشعياً اذ هو يعتقد أن المدن الكبرى أوكار للأشرار وبيوت الرذيلة وبخاصة أورشليم بمعبدها الذى تنبأ بخرابه[٩] كما تنبأ أيضا بمجيء داود الثاني والذى سيخرج من بيت لحم ويعيد العدالة والحق الى سائر العالم[١٠] . أما النبي صفانيا فمثله مثل عاموس وميكا نصير المستضعفين وخصم المستبدين

---

(١) هوشيع ص ٤ ى ٤٠٠ وص ٧ ى ٣ وص ٨ ى ٤ وص ١٠ ى ٣ وص ١٢ ى ١٠ ـ ١١

(٢) هوشيع ص ٦ ى ٦

(٣) هوشيع ص ٢ ى ١٦ وص ١٢ ى ١٠ وص ١٤ ى ٢

(٤) اشعيا ص ٢

(٥) اشعيا ص ٢٨ وص ٢٠

(٦) اشعيا ص ١ وص ٣ ى ١٦ ـ ٢٦

(٧) اشعيا ص ٢ وص ٨ ى ١١ وص ٣١ ى ٤ ـ ٥ وى ٩

(٨) اشعيا ص ٩ وص ١١

(٩) ميكا ـ ص ١ وص ٣ وص ٦

(١٠) ميكا ـ ص ٥ ى ١ ـ ٣

وسادة أورشليم[١] وسيخلق « يهوه » من الفقراء والمستضعفين شعباً آخر متديناً طاهر الشفتين يحترم «يهوه» ويقدسه[٢] ناحوم وحقبوق أولهما مؤلف ترانيم العيد احتفالا بسقوط نينوى وثانيهما هو صاحب ترنيمة اخرى ليوم دعاء وتوسل لليهود بسبب الشدة التي واجهوها فى بابل . وناحوم وحبقوق نبيان شعبيان ينصب جام غضبهما على البابليين او الأشوريين اصحاب السلطان العظيم والملك الكبير وقد تنبأ النبيان للدولتين بابل واشور بالزوال كما نادى كل من النبيين بوجوب تنظيم العالم تنظيما جديداً يعتمد على الأخلاق والمبادىء العالية كما يتمسك النبيان بتقديس يهوه وعبادته .

ارميا به تبلغ ديانة الأنبياء اوج عظمتها فهو يعتقد مثل هوشيع أن ديانة بعل الكنعانية طغت على ديانة يهوه وأثرت فيها تأثيراً عظيما لذلك انصرف الإسرائيليون عن يهوه[٣] وأن يهوه لا يريد قربانا بل طاعة[٤] لذلك لا يرى النبي إلا السقوط والخطيئة وبخاصة خطيئة الكهنة وغيرهم .

ويتفق مع أشعيا فى أرائه الدينية النبي حزقئيل فهو يرى فى يهوه الإله الواحد الأحد كما تقبل بعض العناصر اللاهوتية الواردة فى عقيدة الكهنة وبخاصة الفكرة القائلة بإعادة بعث الشعب الإسرائيلي وقيام مملكة جديدة يرأسها يهوه وممثلونه .

أما أشعيا الثانى فقد عنى بنبوات السابقين واستنتج منها ما ينتظر العقيدة من تطور والشعب من مقدرات وانتهى من نبوته إلى الاعتقاد فى أن اسرائيل ستصبح دولة عالمية كما أن يهوه هو الواحد الاحد الذى خلق الوجود لذلك يطيعه سائر البشر ويأتمر الملوك بأمره كما تسع رحمة يهوه العالم[٥] وبالغ فى رسالة

---

(١) ميكا ص ١ ى ٩–١٣ وص ٣ ى ١–٥

(٢) ميكا ص ٢ ى ٣ وص ٣ ى ٩–١٩

(٣) ارميا ص ٢ ى ١–١١

(٤) ارميا ص ٦ ى ٢٠ وص ٧ ى ٢١ ...

(٥) اشعيا ص ٤٩ ى ١٥ وص ٥٥ ى ٨

اسرائيل والدور الذى سيلعبه هـذا الشعب[١] ويبشر أشعيا الثانى فى أغانيه بمجىء عبد الله(٢) الذى ينشر العدالة بين البشر وينقذ العالم من طغيان الطغاة وعلى يد عبد الله تسود العدالة الإلهية العالم وهكذا نجد اشعيا الثانى يحرص على دعوة العالم إلى التمسك بالمثل العليا ، وفى انتظار مجىء عبد الله هذا أخذ يعمل الأنبيـاء وعبد الله هو الذى سيصبح ملك العدالة ويهدى النـاس إلى سراط مستقيم وذلك عن طريق موته ودفنه[٣] .

وبالنبيين حجاى وزكريا تبدا فترة خلفاء الأنبيـاء فاسرائيل فى انتظار مجىء عبد الله ليخلصه من المصائب والنكبات التى حلت به[٤] كما أن الشعب الاسرائيلى اخذ يترقب انتشار الدين الاسرائيلى بحيث يصبح دين العالم أجمع مع الحرص على اتصال العالم بمعبد أورشليم(٥) .

أما اشعيا الثالث وملاخى فقد كانا قاضيين فاصدرا حكما عادلا وان كان قاسيا على شعبهما كما أشارا أحيانا الى أن العقيدة الاسرائيلية ستخرج وتنتشر خارج أورشليم بحدودها الضيقة[٦] كما نلاحظ فى اشعيا الثالث هذا أن انتظار الخلاص اخذ يتطور تدريجيا ويتحول الى خلاص مادى[٧]. أما النبى يوئيل فيوصم عصره بأنه عصر تدهور دين الأنبياء وذلك بسبب الكارثة التى حلت بالبلاد من جراء غارات الجراد لذلك أخذ يوئيل يدعو الى وجوب العودة الى ديانة يهوه القديمة[٨] كما دعا الى الصيام والبكاء والعويل وهو يعلل

---

(١) اشعيا ص ٤٥ ى ١٤ وص ٤٩ ى ٢٢

(٢) اشعيا ص٤٢ ى ١٠٠

(٣) اشعيا ص ٥٣ ى ١١ — ١٢

(٤) حجاى ص ٢ ى ٢٣ وزكريا ص ٦ ى ١٢

(٥) زكريا ص ٢ ى ١٥ وص ٦ ى ١٣ وص ٨ ى ٢٠ . . .

(٦) اشعيا ص ٦٠ ى ١ وص ٦٦ ى ١٩ وملاخى ص ١ ى ١١

(٧) اشعيا ص ٦٠ ى ١٦ ...

(٨) يوئيل ص ٢

هذه الكوارث التى نزلت بالشعب ببعده عن عبادة يهوه الحقيقية وانحرافه عن الحق والعدالة .

أما النصف الثانى من السفر فيحدثنا عن القضاء على عصر الأنبياء والنبوة كما أخذت رغبة التبشير بنشر عبادة يهوه فى العالم تموت .

هذه هى فكرة موجزة عن دين الأنبياء وكلها مع اختلاف وجهات نظر الأنبياء تدعو الى مجىء وقيام مملكة الله الواحد الأحد وشمول هذه المملكة لكل العالم . والآن نتساءل مامصدر هذه الفكرة التى بشر بها الأنبياء أنها لا شك فى قدمها الا أن بلورتها والدعوة لها من عمل مختلف الأنبياء الذين لم يدر بخلدهم أن موسى هو الذى بذر البذرة الأولى . أما متابعة تطور هذه الفكرة حتى النهاية فمن الصعب على الباحث الاهتداء إليها وإن كان من اليسير اقتفاء أثرها منذ عهد الملك « يوشيا » ملك يهوذا (٦٣٩ — ٦٠٩ ق . م .) والذى جلس على العرش طفلا بسبب قتل والده «أمون» فى أورشليم وكان عمره إذ ذاك ثمانية أعوام تحت الوصاية[1] ولما بلغ سن الرشد تسلم مقاليد الملك وقرر القيام بعدة اجراءات منها : —

١ — تحرير بلاده من أشور .

٢ — ضم الولايات التى كانت خاضعة لأشور وتحررت منها مثل (سماريا) إلى مملكته وكذلك أقليم الجليل[2] .

٣ — إعادة مملكة داود إلى سيرتها الأولى مع اجراء عدة اصلاحات اجتماعية داخلية[3] .

---

(١) الملوك الثانى ص ٢١ ى ٢٣ — ٢٤

(٢) الملوك الثانى ص ٢٣ ى ١٥ وأخبار الأيام الثانى ص ٣٤ ى ٦

(٣) ارميا ص ٢٢ ى ١٥ — ١٦

ثم راوده غروره إلى مواجهة مصر والوقوف فى وجهها فلاقاه فرعون مصر (نيخو) عام ٦٠٩ عند « مجدو » ودحره وسقط يوشيا قتيلا فانتهت بهزيمته جميع أعماله وأحلامه(١) .

ويحدثنا سفر الملوك الثانى أيضا(٢) أن يوشيا اعتمد منذ العام الثامن عشر من ملكه على سفر الشريعة الذى عثر عليه فى معبد أورشليم فقرر اعتمادا عليه ادخال بعض الاصلاحات على عبادة «يهوه» وقد اقتضى اجراء هذا الاصلاح القضاء على كل ما هو أجنبى دخيل على الطقوس اليهوية كما حرم القيام بالطقوس الدينية وتأديتها خارج معبد أورشليم والاحتفال بعيد الفصح احتفالا لم يتبع منذ انتهاء عصر القضاة .

أما السفر الذى عثر عليه فيهدف فى الواقع الى تنفيذ شريعة سفر التثنية(٣) لذلك أثارت هذه المسألة جدالا عنيفاً حول وحدة السفر وتاريخيته فالسفر حقيقة لم يصلنا كاملا دون وقوع تلاعب فيه، ففى نبوءة « خلدة » هذه النبية التى سبق أن استشارها «يوشيا» بخصوص هذا السفر(٤) ، وامتدت الى هذه النبوة يد أخرى(٥) خطت فيها كثيراً كما نلاحظ فى سفر الملوك الثانى أيضاً(٦) بعض الفجوات بين الاجراءات التى يجب اتباعها ضد الطقوس والعبادات الأجنبية ووقوع بعض الاضطرابات فى ترتيب بعض الآيات(٧) .

---

(١) الملوك الثانى ص ٢٣ ى ٢٩ — ٣٠ وأخبار الأيام الثانى ص ٣٥ ى ٢٠ ..

(٢) الملوك الثانى ص ٢٢ — ٢٣

(٣) قارن الملوك الثانى ص ٢٣ ى ٩ مع التثنية ص ١٨ ى ٧

(٤) الملوك الثانى ص ٢٢

(٥) الملوك الثانى ص ٢٣ ى ٤ ..

(٦) . . . . ص ٢٣ ى ٨ — ٩

(٧) ماجاء فى اصحاح ٢٣ ى ٨ — ٩ يتبع فى الواقع التقرير الأصلى الوارد فى ص ٢٢ — ٢٣ ى ٣ وى ٢١ — ٢٤ بينما ص ٢٣ ى ٤ — ٧ وى ١٠ — ١٥ — ٢٠ تقدم بعضها

أما تاريخية سفر الشريعة فنستطيع أن نعرض لها من ناحيتين الأولى نبوءة النبية « خلدة » ومدى صدق تبعيتها لهذا السفر اذ من الثابت أن هذا السفر يرجع فى الواقع الى عصر يوشيا والمتوفى عام ٦٠٩ ق ٠ م .[١] ولو صحت نسبة النبوة والنبية خلدة الى سفر الشريعة لأصبح هذا السفر خاصاً بسفر الملوك الثانى[٢] فالنصان يتفقان فى الحديث عن السلطان المطلق للملك فى المعبد وتصرفه فى دخله لنفع الكهنة وسؤال النبية « خلدة » وتجاوز كبير الكهنة يشير الى فتور العلاقات بين الملك وكبير الكهنة .

ثم أن سفر الشريعة لو كان معتمداً على سفر التثنية فقط لكان اصلاح يوشيا اصلاحا دينياً فقط وليس اجتماعياً كما اشتهر عن يوشيا واصلاحاته التى يحدثنا عنها ارميا[٣] ولو صحت لسفر الشريعة ناحية اصلاحية دينية واحدة ما انتقصت هذه الحالة من القول بصحته التاريخية .

والواقع أن سفر الشريعة الذى قام عليه الاصلاحان الدينى والاجتماعى هو فيما يرجح من وضع كهنة معبد اورشليم وقد وضعوه معتمدين على سفر التثنية وبعض الرغبات النبوية الاصلاحية الأخرى التى سبق لبعض الأنبياء أن دعوا لها وقد عرف أولئك الكهنة الفرصة المواتية لتقديمه لكبيرهم الذى عرضه بدوره على الملك .

واذا ذكرنا اصلاح يوشيا سواء كان دينياً أو اجتماعياً وجب علينا أن نعرض للعقيدة الاسرائيلية وقد امتدت اليها يد عزرا وهو كما تحدثنا أسفار العهد القديم أن عزراً هذا هو ابن سرايا[٤] وهو من الجيل الثانى والعشرين

---

(١) قارن الملوك الثانى ص ٢٢ ى ٢٠ وص ٢٣ ى ٢٩

(٢) الملوك الثانى ص ١٢ ى ٥ ...

(٣) ص ٢٢ ى ١٥ ...

(٤) ارميا ص ٥٢ ى ٢٤.

من نسل هرون[١] وقد عاد عزرا الى اورشليم من السبي ومعه نحو ١٨٠٠ من يهود السبي من بينهم بعض خدام المعبد وكهنته وقد تم ذلك فى العام السابع من حكم الملك الفارسى «ارتكسركيس[٢]» وذلك لكى ينفذ عزرا شريعة يهوه ويقرها بين الاسرائيليين[٣] وقد أيد الملك النبي عزرا بخطاب فى اللغة الارامية[٤] يخوله لافرض هـــذه الشريعة على اليهود فقط بل على الفرس أيضاً .

وقد تبين لعزرا[٥] أن الجماعة الاسرائيلية فى اورشليم تختلط بسائر سكان المدينة من كنعانيين وأمونيين وموابيين ومصريين وغيرهم كما علم عزرا أيضاً أن الكهنة شأنهم شأن العامة يتأهلون بأجنبيات فغضب عزرا غضباً شديداً وصلى صلاة التوبة ليغفر يهوه للاسرائيليين هـذه الخطـايا[٦] لذلك قرر عزرا محاربة هذا الانحراف أعنى الزواج بالأجنبيات ، كما قرر طردهن[٧] تطبيقاً لشريعة يوشيا وما جاء فى سفر التثنية[٨] كما عقد فى ٢٠ من شهر كسيليف اجتماعاً هاماً أمام المعبد انتهى فيه الى تشكيل مجلس برئاسته[٩] وبعد معارضة ضعيفة تمكن عزرا فى مدة شهرين إدخال وتعميم إصلاحاته المطلوبة[١٠] وقد جاءنا فى سفر عزرا[١١] ميثاق هذا الإصلاح .

---

(١) عزراً ص ٧ ى ٢ — ٥

(٢) عزراً ص ٧ ى ٧

(٣) عزراً ص ٧ ى ١٠

(٤) عزراً ص ٧ ى ١٢ — ٢٦

(٥) عزراً ص ٩ ى ٢

(٦) عزراً ص ٩ ى ٦ — ١٥

(٧) عزراً ص ١٠ ى ١ـ٨

(٨) التثنية ص ٧ ى ٣ عص ٢٣ ى ٤

(٩) عزراً ص ١٠ ى ٧ـ٩

(١٠) عزراً ص١٠ ى٩ـ١٧

(١١) عزراً ص ١٠ ى١٨ـ٤٦

فقد أصلح عزرا شريعة الزواج ثم أردفها بإصلاح الطقوس[١] وفى العام التالى فى اليوم الأول من الشهر السابع (تشرى) عقدت الهيئة اجتماعاً عند باب المـاء وطالبت عزرا أن يقرأ عليهـا شريعة موسى التى وضعها يهوه لإسرائيل[٢] وأخذ اللاويون الواقفون إلى جوارها يشرحونها ، ولما فرغ عزرا من تلاوتها بكى الحضور متأثرين بما سمعوا تأثر القوم بشريعة يوشيا . واستغل عزرا هذا الموقف وجعل منه عيداً[٣] وأقيمت المظال على سطوح المنازل وفى الميادين ، ولم تكن هذه المظال معروفة أيام يوشيا[٤] وفرضها عزرا[٥] وشريعة عزرا[٦] التى تلاها فى الميدان عند باب الماء ، وبناء على أمر الملك ارتكسركيس الأول فى أول تشرى عام ٤٣٣ ق . م . لا تشتمل على تعاليم قديمة ضاعت مع تطور الزمن بل هى تشريع إصلاحى جديد وقد قبلها الشعب لأنه قيل له إنها من وضع موسى أولا ومساندة ملك الفرس لعزرا ثانياً . ونحن نجد بعض عناصر هذا التشريع فى العهد القديم كما وجد تشريع يوشيا فى سفر التثنية . وفى شريعة عزرا القصيرة نجد مثلا عيد المظال ، وهذا وارد فى توراة قديمة[٧] كما أضيفت إلى شريعة عزرا مع الزمن أمور كثيرة .

ومؤلف هذه الشريعة كما فهم من خطاب الملك هو عزرا[٨] أما نسبتها إلى موسى فمتأخرة[٩] .

---

(١) نحميا ص ٧ ى ٧٣ إلى ص ٩ ى ٢٠

(٢) نحميا ص ٨ ى ٣ــ٨

(٣) نحميا ص ٨ ى ٩ــ١٢

(٤) تثنية ص ١٤ ى ١٣

(٥) لاويون ص ٢٣ ونحميا ص ٨ ى ١٣ــ١٨

(٦) عزراً ص ٧ ى ٢٩

(٧) تثنية ص ١٧ــ٢٦

(٨) عزراً ص ٧ ى ١٢

(٩) عزراً ص ٧ ى ١١ ونحميا ص ٨ ى ١ وى ٤ وى ٩ وى ١٣ وكذلك راجع سفرى عزراً ونحمياً .

التعميم والتخصيص فى العهد القديم

أعنى بالتعميم و التخصيص هنا فكرة عبادة « يهوه » هل هى قاصرة على الاسرائيليين فقط أم تشمل سائر البشر وهل « يهوه » الـه العالمين أم الـه هذه الفئة من البشر فقط ؟ . أن العهد القديم أو التوراة والأنبياء والكتب لا تقدم لنا الرد الشافى حول هـذا الموضوع وذلك لأن العقيدة اليهودية تطلع علينا أول ماتطلع على أنها عقيدة الاسرائيليين والاسرائيليين فقط كما أن « يهوه » هو الـه الاسرائيليين فقط فالاسرائيليون هم شعب يهوه الخاص ويهوه هو الذى يعنى بمصالح هذا الشعب فقط ولا شأن له بالشعوب الأخرى. وفى موضع آخر من العهـد القديم نقرأ كيف أن هذه الفكرة قد تطورت وأصبح « يهوه » الـه سائر الشعوب وليس له شعب خاص به .

وفكرة التعميم هذه جاءتنا لأول مرة وفى عبارة واضحة وكرسالة نبوية على لسان أشعيا الثانى مع الاقرار بوحدانية الله السابقة لفكرة التعميم. وفكرة التوحيد هذه هى التى بشر بهـا أنبياء كثيرون من قبل وبخاصة أرميا وقـد عاون على نشر هذه الفكرة بين الاسرائيليين السبى البابلى . وذلك لأن العرب البابليين كانوا موحدين فأخذ عنهم يهود السبى فى بابل هذه الفكرة تقرباً إلى البابليين وجمعاً لشمل المغلوبين وإزالة للحواجز العقائدية بين الإسرائيليين والبابليين . ومن ثم تعمقت هذه الفكرة فى العقيدة الإسرائيلية لا فى بابل فحسب بل فى فلسطين أيضاً بعد عودة من عاد منهم إلى أورشليم . ولم يثمر اختلاط الإسرائيليين بالبابليين هذه الثمرة فقط بل تطورت عقلية الإسرائيليين الذين عاشوا من قبل فى عزلة بعيدين عن العالم فى فلسطين معتقدين أنهم شعب الله المختار ، وفى بابل أتيحت لهم الفرصة للاختلاط بشعوب الشرق الأدنى فرأى الإسرائيليون عبادات أخرى وطقوساً أخرى وحضارات أخرى فظهرت بين الإسرائيليين جماعة رأت فى الطبيعة وحياً ومظهراً من

مظاهر الله وقوته وجبروته[1] فهذه المظاهر الطبيعية التى شاهدها الإسرائيليون خارج فلسطين هذه المظاهر التى تعبر عن القوى الإلهية اضطرت الإسرائيليين القادمين من فلسطين إلى الإيمان بأن الله خارج فلسطين أيضاً .

ولما جاء أشعيا الثانى وأعلن عفو الله وغفرانه قصد أن هذا العفو وذلك الغفران سيأتيان لغير اليهود أيضاً وليسا قاصرين على الاسرائيليين فقط[3] وذهب أشعيا الثانى بعيداً فاعتقد أن (كيروش) الوثنى ملك الفرس من خلق يهوه وأنه آلة فى يد يهوه وأن هذه الآلة هى الوسيلة التى عن طريقها يأتى عفو يهوه وغفرانه إلى الاسرائيليين[4] لذلك انتهى أشعيا الثانى إلى قوله « وحق أثبته نورا للشعوب »[5] كذلك فى أغانى « عبد الله » أنه لا يساعد يهوذا فقط بل سائر الشعوب[6] .

وأشعيا الثانى فى أفكاره هذه لم يأت بجديد فقد ختم فقط تلك الأفكار التى رددتها ألسنة الأنبياء من قبل ولو أن أحداً من هؤلاء الأنبياء لم يعبر عنها فى صراحة ووضوح أشعيا فنبوات أرميا تطلق على « يهوه » أنه الـه القريب والبعيد الـه السماء والأرض وأنه يملأهما[7] ويرى أشعيا فى أشور ومصر اداتين فى يد الله يسخرهما لينفذا رغباته وتعلنا إرادته[8] ويرى عاموس أن عدالة « يهوه » تتعدى إسرائيل إلى شعوب أخـــرى قريبة

---

(١) اشعيا ص ٤٠ ى ٢١ — ٣١
(٢) اشعيا ٤٠ ى ١ — ٢
(٣) اشعيا ص ٤٢ ى ١٠ — ١١
(٤) اشعيا ص ٤١ ى ٢ ... وص ٤٥ ى ١ـ٧
(٥) اشعيا ص ٥١ ى ٤
(٦) اشعيا ض ٤٢ ى ١ — ٢ وص ٢ وص٥ ى ١٣ .. وص ٥٣ وى ١٠ ..
(٧) ارميا ص ٢٣ ى ٣٣ — ٢٤
(٨) اشعيا ص ٥ ى ٢٦ وص ٧ ى ١٨ .. وص ٨ ى ٧ وص ٩ — ١٠ — ١١ وص — ١٠ ى ٥ـ٦ وص ٢٨ ى ١١

وبعيدة[١] ويذهب عاموس بعيداً فيقول أن « يهوه » سيختار الكوشيين شعبا له عوضا عن إسرائيل[٢] .

فجميع هذه النبوات تدلنا صراحة أن هؤلاء الأنبياء رأوا الله خارج إسرائيل أيضاً أو أنه كان الـها عاما لا خاصا . وهذه الأفكار لانجدها عند هذا النوع من الأنبياء فقط أعنى أولئك الأنبياء أصحاب الأسفار بل نجدها أيضاً عند غيرهم من أنبياء القرن التاسع ق . م . حيث لمحوا إليها تلميحا[٣] والذى يؤمن بيهوه يجب أن يعتقد أيضاً بأن يهوه يستطيع أن يعمل فى مصر وليس فى كنعان أو سيناء فقط[٤] .

كذلك العقيدة التى ترجع تاريخ إسرائيل إلى آدم وإلى خلق الوجود[٥] والأساطير التى يؤرخ بها الإسرائيلى تاريخه تنتهى جميعها إلى أن أصل إسرائيل يقوم خارج الإسرائيليين وهى تؤيد كلها فكرة التعميم[٦] لكن ليس معنى هذا أن التعميم هو الظاهرة السائدة والوحيدة عند الإسرائيليين فهناك أيضاً تخصيص وقد يكون التخصيص قاعدة وقد عبر عنه بدقة واضحة فى سفر القضاة[٧] حيث جاء « والآن الرب الـه إسرائيل قد طرد الأموريين من أمام شعبه إسرائيل أفأنت تمتلكه أليس ما يملكك إياه كموش الـهك تمتلكه وجميع الذين طردهم الرب الـهنا من أمامنا فأياهم نمتلك » . كذلك لا يستطيع إنسان أن يعبد « يهوه » إلا فى أرضه أو وطنه[٨] كذلك الخروج من كنعان

(١) عاموس — ص ١ — ٢
(٢) عاموس — ص ٦ ى ٢ وص ٩ ى ٧
(٣) الملوك الأول ص ١٧ ى ٨...
(٤) تكوين ص ١٢ وص ٣٩ — ٥٠ وخروج ص ٧ ى ١٤ الى ص ١١ وص ١٣
(٥) تكوين ص ٢ ى ٥ الى ص ٣
(٦) تكوين ص ١ — ١١
(٧) القضاة ص ١١ ى ٢٣ — ٢٤
(٨) الملوك الثانى ص ٥ ى ١٧

يعنى الإبتعاد عن « يهوه »[١] وهذا التخصيص نجده أيضاً عند كثيرين من الأنبياء. فالنبي أشعيا أحب أورشليم وركز فيها آماله كما جعلها كعبة العالم أجمع التي يحج إليها[٢]. وأشعيا الثانى يعتبر سائر الشعوب غير الاسرائيلية شعوباً فى المرتبة الثانية وهى تأتى لخدمة إسرائيل ويهوداً[٣] وكما أننا وجدنا التعميم فى الأسطورة فأننا نجد التخصيص فى التوراة حيث خص إسرائيل بالكهنة كما أن شريعة يوشيا تعتمد على فكرة جاءت فى سفر هوشيع[٤] تقضى الفصل بين الاسرائيليين وغيرهم من الشعوب أعنى الفصل بين أولئك الذين يعبدون يهوه والآخرين الذين لا يدينون بدينه[٥] وعند النبي حزقيئيل نجد إستخدام لفظ « بلاد » يشير إلى بلاد الاسرائيليين[٦].

وبعد عصر السبى قامت مشكلة للتوفيق بين التعميم والتخصيص فالتعميم كان شعار الأنبياء بينما التخصيص قالت به الشريعة وللتغلب على هذه المشكلة رأى زكريا مثلاً[٧] تهويد غير اليهود وحاول غير الاسرائيلى ولوج هذا الباب فعلاً[٨]. وإنحاز الأنبياء المتأخرون مثل أشعيا الثالث وملاخى إلى فكرة التعميم[٩]. ولو أنهما لم ينجحا نهائياً فى القضاء على مذهب التخصيص[١٠] أما فى سفر يونس فنجد فكرة التعميم تنتصر وتسود وأصبحنا مع مرور

---

(١) صموئيل الأول ص ٢٦ ى ١٩ وتكوين ص ٤ ى ١٤
(٢) اشيعا ص ٢ ى ٢ — ٤
(٣) اشعيا ص ٤٣ ى ٣ وص ٤٥ ى ١٤ وص ٤٩ ى ٢٢ — ٢٣
(٤) هوشيع ص ٩ ى ١
(٥) تثنية ص ٧ ى ١ — ٦
(٦) حزقيئيل ص ٥ ى ٥ ..
(٧) زكريا ص ٨ ى ٢٠ ..
(٨) عدد ص ١٥ ى ١٤ ..
(٩) اشعيا ص ٥٦ ى ٦ .. وملاخى ص ١ ى ١٠ ...
(١٠) اشعيا ص ٦٠ ى ١ — ٢ وص ٦١ ى ٥ — ٦ وص ٦٦ ى ١٥ ... وملاخى ص ١ ى ٢ — ٤

الزمن نجد كثيراً من الحكم والأمثال وشعر العاطفة تنادى بالانسانية العالمية لا الاسرائيليه فقط . وفى العصر الهلليني خاف بعض اليهود من التعميم لأنه قد يقضى على كيانهم لذلك آثروا التخصيص عليه وهذا من أهم الأسباب التى بعثت الحركة المكابية التى نجحت مع فريق من الاسرائيليين وأخفقت مع آخرين حتى جاءت المسيحية فإنتهت إلى تخصيص اليهود هذا التخصيص الذى أصبح من أكبر خصائص اليهود فى يومنا هذا .

الطقوس

القرابين وذبح الحيوان وتقديم الدم وأكل اللحوم وتكريم الالوهية عرفها الإسرائيليون قبل النزوح إلى كنعان وقد استخدمو فى جميع هذا المذابح الطينية أو الحجرية . أما الخيمة المقدسة فهى المكان الذى يكشف فيه يهوه للرجال المختارين عن الأشياء التى يريد أن يوحى بها إلى بنى إسرائيل كما اعتقد أيضاً أن تابوت العهد هو المكان الذى يحل فيه يهوه قائد الجنود عند الهجرات أو الحروب .

وظل الإسرائيليون محتفظين بهذه الطقوس حتى بعد نزوحهم إلى أرض كنعان . ففى أورشليم نجد الخيمة و التابوت إلا أن الطقوس الأخرى والعبادات الإسرائيلية أخذت تتأثر فى أرض كنعان بطقوس الديانة الكنعانية إذ أخذ الإسرائيليون عن أماكن العبادة الكنعانية التى كانت قائمة فى « سيشم » و « بيت ائل » كثيراً من الأنماط المعمارية والطقوس الكنعانية مثل بناء المعابد والمذابح الحجرية والأعمدة التى استخدمت نصباً للصبيم أو الآلهة الخصوبة «عسترت» «أشيرا» كما اقتبس الإسرائيليون أيضاً عن الكنعانيين كثيراً من قرابين الحيوان التى كانت تحرق جميعها أو بعضها كذلك تقديم النباتات واقتباس الموسيقى واستخدامها فى العبادات وغير ذلك وظلت العقيدة اليهودية تقتبس من الكنعانية الشىء الكثير حتى القرن التاسع ق. م. فشعر الإسرائيليون بالأخطار التى تهدد عقيدتهم وتزعم حركة المقاومة هذه الأنبياء مثل هوشيع وعاموس. وفى القرن السابع ق. م. شقت العقائد والطقوس الأشورية طريقها إلى الإسرائيليين وتغلغل الدخيل فى الإسرئيلية حتى أصدر

الملك يوشيا إصلاحه الدينى رغبة منه فى تطهير العقيدة اليهودية واكتفى بمعبد واحد فى أورشيم ولما جاء السبى قضى على مختلف أماكن العبادة القديمة .

أما يهود السبى فقد كانوا أكثر استعداداً للتطور الذى لحق بالعقيدة اليهودية من غيرهم كما أن الطقوس الدينية المستعملة الآن عند اليهود تكاد تتفق وتلك التى جاء بها يهود السبى إلى فلسطين. وذلك لأننا نعلم أنه عند العودة من السبى بزعامة عزرا ونحميا نشطوا لوضع الأسس التى شيدت عليها طقوس وعبادات الجماعة اليهودية الجديدة مع ملاحظة الفرق البعيد بين الطقوس الجديدة والقديمة التى كانت سائدة بين الإسرائيليين من قبل فالقربان ليس شيئاً دينياً ساذجاً بل عبارة عن تقليد مقدس قصد به تأدية واجب دينى كما أنه دليل على الطاعة والخضوع . ومن ثم نجد فيما بعد موت فكرة القرابين فى[1] اليهودية وأصبحت الحالة تمهد لقيام المعابد وقد كان ذلك فى القرن الثالث أو الثانى ق.م. ففى الكنيس لا توجد قرابين ويكتفى بالقراءة والصلوات والبركة وحلت هذه المعابد محل معبد أورشيم الذى خرب عام ٧٠ م .

الاماكن المقدسة

من العسير علينا أن نتحدث عن الأماكن الإسرائيلية المقدسة قبل نزوحهم إلى كنعان وتكاد المصادر التى وصلتنا تركز اهتماماً عن الحديث عنها بعد استقرار الإسرائيليين فى كنعان .

ونستطيع أن نقرر مما وصلنا أن من أشهر الأماكن الإسرائيلية المقدسة ابان إقامة الإسرائيليين فى الصحراء «قادش» والتى اتخذتها قبيلة لاوى مستقراً لها ويروى أن فى ذلك المكان نزلت الشريعة[2] لذلك كثيراً ما عرفت فى العهد القديم على أنها مكان هام[3] ومكان مقدس[4] .

---

(١) مزمور ٤٠ ى ٧ ومزمور ٥٠ ى ٨ .. ومزمور ٥١ ى ١٨–١٩

(٢) خروج ص ١٥ ى ٢٥

(٣) عدد ص ١٣ ى ٢٦ وص ٣٢ ى ٨ وتثنية ص ١ ى ١٩ وص ٩ ى ٢٣ ويشوع ص ١٤ ى ٦–٧

(٤) تكوين ص ١٤ ص ٧ وص ١٦ ى ١٣–١٤ وتثنية ص ٣٣

وغير هذا المكان « قادش » نجد أيضاً «سيناء» فهذا المكان يتصل بفجر تاريخ الإسرائيليين ثم أنه المكان الذى تجلى فيه « يهوه[1] » . إلا أن الإسرائيليين ليسوا هم أول من قدس هذه الأماكن إذ أن من المرجح أنها كانت مقدسة من قبل أن يعرفها الإسرائيليون كما هو واضح جلى من قادش[2].

وعرف الإسرائيليون غير الأماكن المقدسة الثابتة أخرى متنقلة مثل « تابوت العهد » و « الخيمة » ولو أنهما ضما فيما بعد إلى شيء مقدس واحد تشبيها بالمعبد وكلاهما يعتبران مسكنا للإلـه «يهوه» فالخيمة أطلق عليها لفظ « مشكن » أى « مسكن » أو « أوهل موعد » أى « خيمة أو مكان الاجتماع » بين « يهوه » والإنسان أو الناس .وإطلاق الاسمين على الخيمة يدلنا على كيفية مجيء الوحى فطورا عن طريق « يهوه » وهو مقيم وساكن فى الخيمة حيث نزلت أيضاً التوراة أو يأتى « يهوه » من مكان آخر ويخرج من باب الخيمة ويتم الاجتماع أمام الباب ويبلغ الرسول مايريد .

الطقوس منذ الهجرة إلى كنعان حتى السبى

يمتاز هذا العصر بانتصار « يهوه » على « بعل » وهذا النصر قد دارت معاركه ولا شك فى الأماكن المقدسة إذ لما تسلل الإسرائيليون إلى كنعان وجدوا البلاد غنية بالأماكن المقدسة وكانت أسماء المعبودات من آلهة وشياطين متعددة ولم يفكر الإسرائيليون فى أول نزولهم البلاد فى تخريب هذه الأماكن المقدسة وذلك لاعتقادهم فى صعوبة التفرقة بين المعبود والمكان وقد ظل هذا الرأى قائماً زمناً طويلا كما يتبين لنا هذا من مواضع كثيرة

---

(١) تثنية ق س ٣٣ ى ٢ وقضاة س ٥ ى ٤ـ٥ والملوك الأول س ١٩

(٢) تـكوين س ١٦ ى ١٣ـ١٤

جاءتنا فى العهد القديم[١] لذلك قدس الإسرائيليون أنفسهم هـذه الأماكن طوراً باعتبارها أماكن للالـه «يهوه» وطوراً لاعتبارها هى بذاتها أماكن مقدسة ومن ثم أخـذت الديانة الـكنعانية تؤثر فى الإسرائيلية حتى اعتقدت الإسرائيلية أن كل مـكان مقدس يجب أن يقع على جبل أو تحت شجرة دائمة الخضرة أو عند منابع المياه وكذلك حيث الأحجار والـكهوف وأن كان معظمها يقع فى الأماكن المرتفعة كما تدل التسمية « باماه » أى جبل أو تل أو ذروة .

محتويات الاماكن المقدسة

قد تختلف محتويات كل باماة عن الأخرى وغالباً ما يوجد بـكل باماه أوانى حجرية لها قيمة دنيوية وأخرى دينية فقد يـكون الغرض منها حفظ القرابين من السوائل أو تشبيها للرحم وقد تستخدم للغرضين . أما العهد القديم فيشير إلى أنها كانت تستخدم لحفظ القرابين فقط[٢] . وقد نجد أيضاً فى الاماكن المقدسة الأعمدة المعروفة باسم المصبيم وقد تعنى عضو التناسل للرجل وطقوسه واستخدام هـذه الطقوس فى هذه المعانى لم يرد له ذكر فى العهد القديم وإن كان قد ورد فى أرميا ما معناه « قائلين للعود أنت أبى وللحجر أنت ولدتنى[٣] . أما المصيب فقد نشأ عن تطور تقديس الأحجار التى ترمز إلى مقعد المعبود أو أن هذا الحجر كان يشير إلى مكان مقدس[٤] ولعل من أشهر الإحجار المقدسة الباقية هى صخرة القدس ولو أنها لم تذكر كمقدسة فى العهد القديم وأن تـكن العبارات الواردة فى المزمور أو التثنية[٥] تحتمل الإشارة إلى تقديس الصخرة كذلك هناك صنف آخر من الأحجار المقدسة

(١) شموئيل الأول ص ٢٦ ى ٢٠ والملوك الثانى ص ٥ ى ١٧ وص ١٧ ى ٢٦ ..

(٢) قضاة ص ٦ ى ٢٠ وص ١٣ ى ١٩

(٣) ارميا ص ٢ ى ٢٧

(٤) تـكوين ص ٢٨ ى ١٠ ... وص ٣١ ى ٤٥ .. ويشوع ص ٤ ى ٥ .. وص ٢٤ ى ٢٦ـ٢٧ وقضاة ص ٦ ى ٢٠ـ٢١

(٥) المزمور ٢٧ ى ٥ـ٦ والتثنية ص ٣٢

تعـد صناعياً خصيصاً لمـكان العبادة(١) وقد يـكون سر تقديس هذا النوع من الأحجار أنه أعد أصلا للذبح(٢) وفى عصور متأخرة نجد بعض المصبيم من عمل الإنسان(٣) .

ومن أهم الأشياء التى كانت توجد فى المـكان المقدس أيضا المذبح لوضع القرابين عليه وهـذه المذابح ليست على وتيرة واحدة بل مختلفة فهى حيناً موضوعة فى الحائط وغالباً ما تـكون لها قرون وهذه المذابح قد تصنع من مادة بسيطة أى من الطين أو الحجر . والنوع من المذابح المبنى فى الحائط كان أكثرها انتشاراً وهى من النوع المعروف باسم النوع السورى الفلسطينى . وفيما بعد استخدم المعبد مذبحين مختلفين أحدهما للقرابين والثانى للبخور وإلى جوار المذبح يوجـد أيضاً حوض مياه للغسل والطهارة الدينية وقديماً كان الحوض يحفر فى الصخر .

وفى المـكان المقدس نجد أيضاً مكاناً معداً لتناول الطعام ويعرف باسم « لشكاه » وذلك لأن العادة جرت قديماً أن يتناول القوم الطعام عقب تقديم القرابين(٤) كما نجد أيضاً فى المكان أعمدة خشبية(٥) وال «أشيرا» وهى ضرورية للشجرة المقدسة ضرروة المصبيم للحجر المقدس . وهذه الموجودات ضرورة لإقامة طقوس عبادة يهوه وقد وجدت فى سماريا(٦) وفى أورشليم(٧) .

أما المعبد « كنيس » فلم يوجد إلا فى الأماكن المقدسة الهامة فنحن نعلم

---

(١) تـكوين ص ٢٨ ى ١٨ وى ٢٢ وص ٣١ ى ٤٥ وى ٥١ وص ٣٥ ى ١٤ وى ٢٠ ويشوع ص ٢٤ ى ٤٦

(٢) شموئيل الأول ص ١٤ ى ٣٣ـ٣٥

(٣) هوشيع ص ١٠ ى ١

(٤) شموئيل الأول ص ٩ ى ٢٢

(٥) خروج ص ٣٤ ى ١٣ وتثنية ص ١٢ ى ٣ والملوك الثانى ص ١٨ ى ٤ وص ٢٣ ى ٦ وى ١٥

(٦) الملوك الثانى ص ١٣ ى ٦

(٧) الملوك الثانى ص ١٨ ى ٤ وص ٢١ ى ٧ وص ٢٣ ى ٦ وى ١٥

أن واحداً وجد أورشليم وآخر فى (سيلو)[1] كذلك فى (نوب)[2] وفى (بيت‌ائيل)[3] وفى (سيشيم)[4] وفى (دان)[5] وفى (أوفرا)[6] وفى المصفاة[7]

أما الأشياء الأخرى التى وجدت فى بعض الأماكن المقدسة مثل العجل الذهبي والأفود فكنعانية الأصل . أما الكهنة فكانوا عادة يسكنون بالقرب من المعبد . كما أقام الاسرائيليون مدناً مقدسة خاصة بالكهنة . وقد تركت هذه المدن المقدسة أثراً بعيداً فى حياة الاسرائيليين فقد جمعت بين طبقات الشعب أولا فى العبادة وثانياً فى المسائل الأخرى الدنيوية كما أوجدت للكهنة منزلة خاصة . وهذه الأماكن المقدسة هى الوطن الذى ازدهر فيه شعر المزامير والغناء عامة ومختلف ضروب الأدب وفنونه وفى هذه الأماكن المقدسة حفظت القصص الخاصة بالعقيدة وطقوسها ومن ثم انحدرت إلى الأجيال المتعاقبة وبخاصة قصة الخلق أو سفر التكوين وغيره من الأسفار التى جمعت فى تلك الأماكن التى تجمعت فيها الجيوش أيضاً هكذا حدث فى (بيت ائيل)[8] وفى (جلجال)[9] و (بازق)[10] و (مصفاة)[11] .

---

(١) قضاة ص ١٨ ى ٣١ وشموئيل الأول ص ١ ى ٩

(٢) شموئيل الأول ص ٢١ ى ٧

(٣) عاموس ص ٧ ى ١٣ و ص ٩ ى ١ والملوك الأول ص ١٢ ى ٢٨ ..

(٤) قضاة ص ٩ ى ٤

(٥) قضاة ص١٨ ى ٣٠ — ٣١ والملوك الأول ص ١٢ ى ٢٩

(٦) قضاة ص ٨ ى ٢٧

(٧) ارميا ص ٤١ ى ٦ وقضاة ص ٢٠ ى ١ وص ٢١ ى٥ وشموئيل الأول ص٧ ى ٥ .. وص ١٠ ى ١٧ ...

(٨) قضاة ص ٢٠ — ٢١

(٩) شموئيل الأول ص ١٣ ى ٧ — ٨

(١٠) شموئيل الأول ص ١١ ى ٨

(١١) شموئيل الأول ص ٧

وفى الأماكن المقدسة كان يجرى أيضاً انتخاب الملوك[١] وتعيين الحدود مثل « دان » و « بئر شبع » و « بيت ائيل »[٢] . لذلك نجد المحاولات تبذل لربط هذه الأماكن بتاريخ الاسرائيليين وخاصة الآباء الأولين مثلا (بيت ائيل)[٣] و (زيشيم)[٤] و (حبرون)[٥] وأورشليم[٦] .

وإلى جانب الأماكن المقدسة الصغرى نجد أخرى كبرى مثل (زشيم) وقد اختص بها سبط أفرايم و (تابور) حيث نجد منسى وشبولون وازخار ونفتالى . وفى (دان) نجد سبط دان وهكذا حتى نجد حبرون وقد اختص بها يهوذا ثم أورشليم التى سيطرت على الجميع حتى بنى بها سليمان المعبد فكان هذا العمل انتصاراً لأورشليم فأصبحت مركزاً للأنبياء أما سائر الأماكن الأخرى فقد أصبحت ميادين مشاحنات وحروب بين الأسباط الإسرائيلية المختلفة وعلى هذه الحروب توقف قيام معبد أورشليم أو زواله وقد انتصرت أورشليم وعاونها على إحراز هذا النصر إخلاص أسرة داود للمعبد والحرص على المحافظة على أورشليم أبان الغارات الأشورية وربط المعبد بالطقوس الموسوية ونظام الكهنة وجاء الأنبياء بعد ذلك فعاونوا بادىء ذى بدء على ذلك . وجاء حزقيئيل فايد وضع أورشليم وقواه وأخذت الجماعة اليهودية تتكون والأماكن المقدسة الأخرى تختفى تدريجيا واتخذت اليهودية أورشليم مكانها المقدس الرئيسى ومعبدها هو المعبد الأول وأن لم يحل ذلك دون إقامة معابد أخرى فى البلاد الأجنبية البعيدة عن فلسطين .

---

(١) شموئيل الأول ص ١٠ ى ١٧ ... وص ١١ ى ١٤ — ١٥ وص ١٦ ى ١ .. والملوك الأول ص ١ ى ٣٨ — ٣٩ وص ١٢ ى ١

(٢) الملوك الأول ص ١٢ ى ٢٩

(٣) تكوين ص ١٢ ى ١ وص ٢٨ ى ١٠ .. وص ٤١ ى ٣ — ٤

(٤) تكوين ص ١٢ ى ٦

(٥) تكوين ص ١٣ ى ١٨ وص ١٨ ى ١ .. وص ٣٥ ى ٢٧

(٦) تكوين ص ١٤ ى ١٧ .. وص ٢٢ و...

خيمة الاجتماع

ويطلق عليها (أو هل موعيد) أى خيمة الاجتماع أو خيمة الله وقد تعرض لها سفر الخروج[١] فوصفها فهى بيت خشبى سقفه من السجاد والجوانب مغطاة وهى تشبه فى الواقع معبد سليمان والثابت أن هذا الوصف للخيمة متأخر جدا ويعتقد أنها فى الأصل مكان عبادة صحراوى وأصلها خيمة[٢] والرواية الحديثة تربط هذه الخيمة بالتابوت ولو أنه يعتقد أنهما أصلا شيئان منفصلان وفيما بعد لما أقيم المعبد الواحد انضم الاثنان إلى بعضهما . ألا الخيمة التى أنشأها داود لأجل التابوت[٣] فهى خيمة أخرى وليست خيمة الاجتماع التى يصعب على الباحث تاريخ إستخدامها فى فلسطين . كما أن أحدا لا يستطيع تاريخ عصر اختفائها وهى تعتبر السكن الأرضى للإله يهوه .

التابوت

إختلفت النصوص وتعارضت الآراء الخاصة بأصل التابوت وتاريخه والفكرة المقصودة منه فهناك رأى يقول أن التابوت عبارة عن صندوق خشبى طوله ذراعين ونصف ذراع وعرضه ذراع ونصف ذراع وكذا إرتفاعه وتغطيه من الداخل والخارج صفائح من الذهب النقى ويحيط به أكليل من الذهب وبه أربع حلقات من الذهب فى قوائمه الأربع ...[٤] وفى نصوص قديمة لم يرد ذكر لهذه الطبقة الذهبية أو الحلقات والقوائم وفى شموئيل الثانى[٥] جاء ذكر حاملى التابوت وفى المسافات البعيدة كان يحمل التابوت

---

(١) خروج ص ٢٦ — ٢٧
(٢) خروج ص ٣٣
(٣) شموئيل الثانى ص ٦ ى ١٧
(٤) خروج ص ٢٥ ى ١٠ ...
(٥) شموئيل الثانى ص ٦ ى ١٣

على عربة[١] وأبان الحروب التى نشبت بين الاسرائيليين والفلسطينيين كان التابوت فى مقدمة الجيش وفى العصور المتأخرة حفظ التابوت فى قدس الأقداس بمعبد سليمان[٢] ونقرأ فى الخروج[٣] أيضا علاوة على ماتقدم من وصف للتابوت ذكر غطاء من ذهب نقى طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف كما جاء ذكر كروبين من الذهب ومن الخروج[٤] يفهم أن هذا الغطاء شىء مستقل غير التابوت .

ويوصف التابوت بأوصاف عديدة مثل « تابوت الله » و « تابوت يهوه » و « وتابوت يهوه صباؤت » أى رب الجنود و « تابوت العهد » و « تابوت الشهادة » .. ألخ . وظل الاسرائيليون زمنا طويلا يقدسون التابوت ويستخدمونه مجلبة لخير فقط ومن ثم اكتفوا بهذا وأن إستخدموه قديما أيضا فى كبرى أعيادهم .

معبد سليمان

وجاء فى الخبر الصادق أن داود فكر فى إقامة معبد ليهوه فى عاصمة ملكه وعاصمة أسرته أورشليم حتى يكون هذا المعبد عاملا من عوامل اتحاد الأمة وجمع شمل البلاد إلا أن معارضة بعض المحافظين من رجال الدين وعلى رأسهم النبى ناثان عرقل تنفيذ الفكرة[٥] التى نجحت أيام خليفته إبنه سليمان الذى بنى المعبد فى أورشليم بعد أن قدم له الملك «حيرام» ملك صور مشاهير البنائين وجميع الأدوات اللازمة للبناء من خشب أرو وخلافه[٦] وقد سخر سليمان كثيرين من الاسرائليين فى قطع الأخشاب ونقل مختلف مواد البناء

---

(١) شموئيل الأول ص ٦ ى ٧
(٢) الملوك الأول ص ٨ ى ٨
(٣) خروج ص ٢٥ ى ١٧ ...
(٤) خروج ص ٢٦ ى ٣٣ — ٣٤
(٥) شموئيل الثانى ص ٧
(٦) الملوك الأول ص ٧ ى ١٣ :

ومقابل ذلك قدم سليمان لصور كثيرا من الحبوب والزيت كما تنازل عن جزء من مملكته لصور[٣] ووصف المعبد كما جاءنا فى العهد القديم[٤] يذكرنا بوصف المعبد المصرى خاصة ذلك النوع الذى وجد فى تل العمارنه بصعيد مصر

وكان المعبد السليمانى يتجه شرقا ويبلغ طوله ثلاثين مترا وعرضه عشرة أمتار وإرتفاعه خمسة عشر مترا وهو ينقسم إلى مكانين مكان يعرف باسم « دبير » وآخر « هيكل » . وفى الجهة الغربية يقوم قدس الأقداس وكان مكعبا تبلغ مساحته نحو عشرة أمتار مكعبة وفى قدس الأقداس هذا يوجد التابوت وعليه كروبيان وكل هذا الجزء من المعبد هو الذى يطلق عليه إسم « دبير » .

أما الجزء الثانى فهو الهيكل وقد كان طوله عشرين مترا وعرضه عشرة أمتار وإرتفاعه خمسة عشر مترا[٥] وكانت توجد به ردهه أمامية عند المدخل طولها ستة أمتار وعرضها إثنا عشر مترا وإرتفاعها عشرة أمتار وهى مخصصة لجلوس الملك[٦] .

وفيما يتصل بموقف الملك يوشيا وإصلاحه من هذا المعبد السليمانى فقد اعترف به الملك واعتبره المعبد الرسمى الوحيد إلا أن نبوخذ نصر هدمه لما استولى على أورشليم وبعد العودة من السبي نجح النبيان حجاى وزكريا فى دعوتهما الخاصه باعادة بناء المعبد. وفى عام ١٦٨ خربه انطيوخوس ابيفانوس وبعد مضى ثلاثة أعوام من هدمه نجح يهوذا المكابى فى إعادة بنائه .

معبد هيردوس

هو تاج المبانى الحديثة التى أقامها هيردوس الأكبر (٤٠ — ٤ ق٠م٠) فى أورشليم .

---

(١) الملوك الأول ص ٥ ى ٢٥ وص ٩ ى ١١

(٢) الملوك الأول ص ٦ — ٧

(٣) الملوك الأول ص ٨ ى ٨

(٤) الملوك الثانى ص ١١ ى ١٤ وص ٢٣ ى ٣

الافراح والاعياد

يقتصر حديثنا هنا على الأفراح والأعياد التى مازالت باقية حتى اليوم أو وصلتنا أخبارها وذلك لأن المصادر التى بأيدينا ناقصة وما ذكرته عنها لايسد حاجتنا . ونستطيع أن نميز بين نوعين من الأفراح والأعياد نوع دنيوى وآخر دينى فمن أعياد الإسرائيليين الدنيوية تلك التى كانوا يقيمونها عند تتويج الملوك أو عند النصر ومما يؤسف له حقاً أننا لانعرف الكثير عن تفاصيل هذه الأعياد ودقائقها . أما الأعياد الدينية فمنها الأعياد المحلية الخاصة وهذه قد ضاعت وكل ما جاءنا من أخبار فالأفراح والأعياد الشعبية العامة ولعل السبب الرئيسى الذى قضى على الأفراح والأعياد الخاصة النكبات التى نزلت بالإسرائيليين وبخاصة فى السبيين الأشورى والبابلى أعنى عامى ٧٢٢ ، ٥٨٦ق. م. أما الأعياد الكبرى فقد حرصت الشريعة على الاحتفاظ بها حتى أبان السبي وبعد العودة ولم يكتف الإسرائيليون بها بل أضافوا إليها أعياداً أخرى والحقيقة التى يجب تقريرها هنا أن هـــذه الأعياد التى حرص الإسرائيليون على الاحتفال بهـا تلك المتصلة بالعقيدة اليهودية أما أعياد المعبودات الأخرى والتى لم تترك أثراً يذكر فى الإسرائيليين فقد اختفت(١) أما أعياد الأفراد والأسرة فقليل منها ما جاءنا شيء عنها وجلها يتعلق بالزواج أو الحزن على الموتى(٢) أو فطام الطفل(٣) والختان(٤) وجز الأغنام(٥) وما إليها .

---

(١) أشعيا ص ١ ى ٢٩ .. وص ١٧ ى ١٠ .. وحزقيئيل ص ٨ ى ١٤ — ١٥ وزكريا ص١٢ ى ١١

(٢) قضاة ص ١٤ ى ١٠ .. وشموئيل الأول ص ١ ى١٧ .. وشموئيل الثانى ص ٣ ى ٣١ .. ونشيد الأناشيد

(٣) تكوين ص ٢١ ى ٨

(٤) تكوين ص ١٧

(٥) شموئيل الأول ص ٢٥ ى ٢ .. وشموئيل الثانى ١٣ ى ٢٣ ..

أما الأعياد الدينية العامه التى سنعرض لها هنا فمعظمها قد نشأ بعد السبي وسنراعى ترتيبها التاريخى حسب ظهورها عند الإسرائيليين .

١ — ظهور الهلال : وهو عيد إسرائيلى قديم عرفه الإسرائيليين قبل تسللهم إلى كنعان وربما يعلل هذا العيد باعتبار الهلال الـها . وفى عصور متأخرة اعتبر الهلال كوسيلة لتوقيت عيد « يهوه » ويوم ظهور الهلال كانت عادة تقام وليمة فى قصر الملك[1] كما كانت العائلات والبطون والأسباط تختار هذا اليوم لاجتماعهم[2] وتقدم القرابين فى الأماكن المقدسة من الملك والشعب[3] . وقد نص العهد القديم على تقديس هذا اليوم إذ جاء « وفى رؤوس شهوركم تقربون محرقة للرب ثورين ابنى بقر وكبشاً واحداً وسبعة خراف حولية صحيحة[4]. ويدعو المصلون » « الـهنا والـه آبائنا جدد لنا هذا الشهر بخير وبركة وفرح ومرور وخلاص وتعزية وقوت وإعالة وغفران الخطيئة وعفو عن الإثم وليكن هذا الشهر نهاية واحد لكل ضيقاتنا وابتداء وأول فداء أنفسنا لأنك اخترت شعبك إسرائيل من بين جميع الأمم وفرضت عليهم فرائض رؤس شهور » .

ولا يكتفى الإسرائيليون بتقديس الهلال بل القمر أيضاً ففى إحدى ليالى الأسبوع الثانى من كل شهر تتلى الصلاة الآتية :

هللويا . مبارك أنت يارب الـهنا ملك العالم الذى خلق السموات بكلمته وكل جنودها بنسمة من فيه قد وضع لها نظاما وزماماً فلا تتعدى فريضتها تسر وتفرح لتعمل مشيئة مالكها صانعها حق فإن عمله حق أمر القمر أن يتجدد تاج بهاء المحمولين فى البطن لأنهم أيضاً سيجدون فى المستقبل مثله ليمجدوا

(١) شموئيل الأول ص ٢٠ ى ٥

(٢) شموئيل الأول ص ٢٠ ى ٦

(٣) حزقيئيل ص ٤٦ ى ١٠ والعدد ٢٨ ى ١١

(٤) العدد ص ٢٨ ى ١١ وص ٢٩ ى ١٠٠

خالقهم لأجل اسم مجد ملكوته مبارك وأنت يارب مجدد الشهور . لتكن طالعاً سعيداً لنا ولكل إسرائيل . لتكن طالعاً سعيداً لنا ولكل إسرائيل لتكن طالعاً سعيداً لنا ولكل إسرائيل .

مبارك مصورك . مبارك صانعك . مبارك مالكك . مبارك خالقك .

(ثم يرتفع المصلون كأنهم يقصدون أن يقفزوا ويقولون) :

« كما أننا نحاول أن نقفز نحوك ولا يمكننا أن نلمسك هكذا ليت كل الذين يقفزون نحونا ليضروابنا لا يقدرون أن يلمسونا . لتقع عليهم الهيبة والرعب بعظمة ذراعك . يصمتون كالحجر كالحجر يصمتون بعظمة ذراعك الرعب والهيبة عليهم تقع

٢ — الفصح : عيد قديم عرفه الإسرائيليون فى البادية وتذكر بعض المصادر التى وصلتنا تعليلا آخر لهذا العيد واحتفال الإسرائيليين به الاوهو الخروج من مصر[1] وكان الإسرائيليون يحتفلون به أبان إقامتهم فى مصر بذبح حمل أو ماعز ودهن الأعتاب وقوائم الأبواب بالدم إبعاداً للأرواح الشريرة النجسة . وهناك رواية أخرى فى التوراة تقول أن الاحتفال بهذا العيد كان يقع فى فصل الربيع إذ يختار يوم اكتمال القمر وينحرون الضحايا ليلا وتشوى الأضحية وتؤكل لوقتها مع الفطير أما ما يتبقى من الأضحية فيحرق[2] إلا أن العادات المتبعة عند الاحتفال بهذا العيد لا تشير إلى الخروج من مصر بتاتاً كما أن صفات العيد ليست تاريخية بل متصلة بالطبيعة وبخاصة فصل الربيع واكتمال القمر وتضحية بعض أغنام فصل الربيع وقاية للماشية من الأوبئة التى كانت تنتشر فى ذلك الفصل من السنة لذلك تذبح الأضاحى ويؤتى بدمها تهدأة لغضب الأرواح الشريرة .

---

(١) خروج ص ١٢ ى ٢١ - ٢٠

(٢) خروج ص ١٢ ى ١ - ٢٠ وتثنية ص ١٦ ى ١ - ٢٠

ونستطيع أن نقول أن عيد الفصح عرفه الإسرائيليون قبل « يهوه » أعنى فى عهد كانوا يقدسون فيه الأرواح الشريرة ولما جاءهم موسى بالمعبود «يهوه» وطلب إلى الإسرائيليين تقديسه احتفظ موسى والإسرائيليون بعيد الفصح أيضاً ثم حاول القوم فيما بعد ربط هذا العيد بالمعبود «يهوه» ولم يستمر الاحتفال بالعيد على وتيرة واحدة بل أخذ يتطور مع تطور العقيدة والحياة الاجتماعية للإسرائيليين فبعد السبى مثلا لما استأثر معبد أورشليم بالقداسة دون سائر المعابد الأخرى أصبح الاحتفال بعيد الفصح قاصراً على معبد أورشليم ولما ضاق المعبد بالمحتفلين اقتصر على الذبح بالمعبد بينما يتم الأكل فى البيوت أعنى بيوت أورشليم وهكذا كان يحتفل بعيد الفصح أيام المسيح . أما المزمور المختص بعيد الفصح فهو المزمور ١٠٧ ويبتدأ الإسرائيلى فى تلاوته فى صلاة المساء .

السبت : كثيراً ما يذكر السبت مع ظهور الهلال[١] كما لو أن هذا العيد أيضاً يرجع إل ما قبل العصر الكنعانى إلا أن تعاليل مشاركة السبت لأول الشهر القمرى فتكرار مجىء السبت أبان الشهر القمرى بخلاف الأعياد الأخرى التى يحتفل بها مرة كل عام ومنذ القرنين التاسع والثامن ق. م. كان السبت يوم راحة[٢] ، وليس معنى الراحة هنا عدم الحركة والقيام بل كان عادة يخصص للأسفار والرحلات[٣] فالغاية إذن من السبت كانت الرياضة[٤].

وبعد السبى أخرجت اليهودية يوم السبت من معناه الأصلى ونظرت إليه نظرة دينية خالصة[٥] . إذ كان يوجد من اليهود من يفضل أن يقتل من أن

---

(٣) عاموس ص ٨ ى ٤ ، والملوك الثانى ص ٤ ى ٢٣

(٤) خروج ص ٢٣ ى ١٢ وص ٣٤ ى ٢٦

(٥) الملوك الثانى ص ٤ ى ٢٣

(٦) خروج ص ٢٣ ى ١٢ وتثنية ص ٥ ى ١٢ ..

(٧) أشعيا ص ٥٦ ى ٢٠٠ وحزقيئيل ص ٢٠ ى ١٦

يدافع عن نفسه يوم السبت وحتى الأناجيل تحدثنا كثيراً عن أمثال هذا التدين الأعمى[١]. وكما تقدم القرابين يوم ظهور الهلال كذلك الحال يوم السبت[٢]. وفى قصة الخلق نقرأ أن الله استراح بعد ستة أيام أى فى اليوم السابع ومن هنا اعتبر يوم السبت يوم راحة . وتقول القصة الواردة فى سفر الخروج[٣] « فقال موسى كلوه لأن للرب اليوم سبتاً اليوم لاتجدونه فى الحقل ستة أيام تلتقطونه وأما اليوم السابع ففيه سبت لا يوجد فيه» لذلك فالسبت من وصايا سيناء . والواقع أن الاحتفال بالسبت أخذه الإسرائيليون بعد نزوحهم إلى أرض كنعان عن البابليين عن طريق الكنعانيين ففى بابل وأشور نجد فى الألف الثالث ق. م. كيف أنهم كانوا يقدسون اليوم الأول من الشهر القمرى ثم اليوم السابع ربع القمر ثم الخامس عشر (بدر) وكان يطلق عليه فى الأكدية « شبتو » سبت كما احتفل البابليون الأشوريون أيضاً باليوم الثامن والعشرين (المحاق) .

وكما احتفل الأسرائيليون باليوم السابع كذلك بالسنة السابعة وتسمى سنة السبت وكذلك ٧ × ٧ = ٤٩ ويسمى عام العيد .

وأخذ الإسرائيليون عن الكنعانيين كثيراً من أعيادهم الزراعية ويحاول الإسرائيليون إرجاعها إلى تاريخهم القديم ويذهبون بعيداً ويقولون أنها أعياد يهودية سينائية ومن هذه الأعياد عيد جمع الشعير حيث سيصنع منه الفطير وبعد هذا العيد بنحو سبعة أسابيع نجد عيد الحصاد أو عيد الأسابيع والعيد الثالث عيد جمع العنب والفواكه ويسمى عيد المظال أو العيد فقط. وجميع هذه الأعياد تعتبر من أهم الأعياد الإسرائيلية لذلك يتحتم على

---

(١) متى ١٢ ى ١ ... ومرقس ص ٢ ى ٢٣ ... ولوقا ص ١٣ ى ١٠ ...
(٢) حزقيئيل ص ٤٦ ى ١ ... وعدد ٢٨ ى ٩ .
(٣) خروج ص ١٦ ى ٢٥ — ٢٦

الإسرائيليين الحج إلى مكان مقدس كبير الا أن صفتها الزراعية[1] جعلتها مقيدة بمواسم حصاد المحاصيل ومن مميزاتها تقديس ابكار الحيوان والنبات والفواكه[2] ومن أغصان تلك الفواكه تصنع المظال[3] .

ومن أشهر الأعياد الإسرائيلية والتي ترجع إلى السبي عيد رأس السنة وهو عيد الخريف وذلك لأن السنة الإسرائيلية في ذلك الوقت كانت تبدأ بأول الخريف مثلها في ذلك مثل السنة البابلية والتقويم البابلي هو الذي أثر تأثيراً بعيداً في التقويم الإسرائيلي قبل السبي وفي حزقيئيل[4] نجد الإسرائيليين يعيدون عيدين لرأس السنة عيداً في أول السنة (أبيب أو نيسان) وعيداً في الشهر السابع (تشرى) وتعليل هذا أن رأس السنة احتفل به في الخريف واستمر الحالى كذلك وإلى جانبه الاحتفال برأس السنة الربيعي .

وفي ١٠ تشرين يحتفل اليهود بعيد الغفران أو التوبة[5] وجرت العادة أن يأتي الكاهن الأكبر ويذبح الفداء ويأتي بالبخور إلى قدس الأقداس والفداء عادة عبارة عن جدى كفارة عن خطايا الشعب وذلك بأن يضع الكاهن الأكبر يديه على رأس الجدى فتنتقل خطايا الشعب إلى الجدى ولا نعرف عن هذا العيد قبل السبي وأبانه شيئاً ويرجح انه يرجع إلى عصر متأخر بعد السبي أعني بعد عصر عزراً .

« كل ندرى » كل الوعود أو النذور

تفتتح صلاة العشاء ليلة الاحتفال بعيد الغفران « يوم كفور » بالصلاة المعروفة باسم « كل ندرى » وهي تتصل بالاستغفار من جميع الوعود التي

---

(١) خروج ص ٣٤ ى ١٨ ، ٠ وتثنية ص ١٦ ى ٨ ، ٠
(٢) لاويون ص ٢٣
(٣) نحميا ص ٨ ى ١٥ ، ٠ وقضاة ص ٩ ى ٢٧
(٤) حزقيئيل ص ٤٥ ى ١٨ ، ٠
(٥) لاويون ص ١٦

قطعها الإسرائيلى على نفسه طوال العام المنصرم والعام القادم ولم يف بها ويرجو المستغفر العفو والمغفرة .

وبالرغم من المعارضة الشديدة التى صادفها « كل ندرى » إلا أنه نجح أخيراً فى فرض نفسه على المعبد الإسرائيلى . وترجع هذه الصلاة إلى عصور تعرض فيها الإسرائيليون إلى مختلف أنواع الإضطهادات ومنها اضطرار الكثيرين من اليهود إلى اعتناق المسيحية ورفض اليهودية لهذا فاليهودى مضطر متى سنحت له الفرصة للعودة إلى دينه الأصلى إلى التخلص من هذه الوعود والعهود التى قطعها على نفسه يوم أضطر إلى اعتناق المسيحية . وجرت العادة أن اليهودى عند تلاوته « كل ندرى » يقوم إلى جواره اثنان من علية الإسرائيليين وينطقان كما لو أنهما فى محكمة الأحوال الشخصية « بيت دين » بالقسم الذى وقع . وهذا الاعتراف يبيح للمستغفر الإشتراك فى الاحتفال بعيد الغفران أو التكفير بعد أن طرد من الطائفة الإسرائيلية

وبعد السبى ظهر عيد الفوريم وكان ذلك فى ١٤ و ١٥ اذار (فبراير مارس) اعتماداً على القصة الواردة فى سفر استير وهو احتفال بذكرى القضاء على اعداء اليهود فى فارس أيام الملك (كزرسيس) (احشورش).

أما لفظ (فوريم) فدخيل على اللغة العبرية مما يفيد أن العيد دخيل أيضاً . ويرى الباحثون فى هذا السفر أنه صدى لقصة بابلية قديمة فاستير هى (عشتر) وهامان آله العيلميين ومردوخاى عبارة عن مردوك فتكون القصة عبارة عن ملحمة حربية بين الآلهة البابليين والعيلميين .

أما قيمة هذا السفر الذى يعتمد عليه عيد الفوريم أو الاقتراع فما زالت الى اليوم غير معترف بها .

وغير فوريم فارس نجد كذلك فوريم مصرايم وهو يتصل بواقعة

وقعت فى مصر أيام السلطان سليمان الثانى اذ ولى على مصر والياً يدعى أحمد باشا الشركسى فافتتح عصره بالرشوة وظلم المصريين وساعده على ذلك الشراكسة المقيمون بمصر ثم سولت له نفسه الاستقلال بحكم مصر فجمع خلقاً كثيراً من مصر ورتب الرواتب لألفى جندى شركسى . ثم بعد ذلك أمر بإحضار « ابراهيم كاسترو » وكان وكيل الضربخانة وقال له أنى أريد أن تضرب العملة باسمى لأنى الآن الحاكم المستقل بأرض مصر . فلما سمع ابراهيم كاستر وهذا الأمر خاف خوفاً شديداً وأسرع بالهرب إلى الاستانة وبلغ السلطان سليمان جميع ما حصـل بمصر . وعقب هرب ابراهيم كاسترو هرب سائر موظفى

الضربخانه وكانوا من اليهود واختفوا فى حارة اليهود فغضب أحمـد باشا وأرسل المنادين ينادون أن كل من وجد عنده ابراهيم كاسترو أو أحد معاونيه ولا يبلغ عنهم فى مدة ثلاثة أيام يشنق على باب منزله . ومضت الأيام ولم يظهر أحد فاغتاظ أحمد باشا غيظاً شديداً إلا أن جواسيسه نجحوا فى القبض على الموجودين منهم فى مصر وكانوا ثلاثة وهم يهوداً وشموئيل خميس وموسى ابن ندبباه فأمر بشنقهم على باب حارة زويلة فافتدى يهوداً وموسى بن ندبباه أنفسهما كلا منهما بخمسة آلاف شريفى فعفى عنهما . أما شموئيل خميس فكان فقيراً فقطعوه بحد السيف . وبعـد ذلك دارت معارك بين عسكر السلطان سليمان وعسكر أحمـد باشا فسار عسكر السلطان إلى القلعة وتحصنوا فيها وأغلقوا أبوابها عليهم مـدة ثمانية أيام إلا أن أحمد باشا نجح فى الاستيلاء عليها وأمر بالمناداة فى طرق مصر بأن يعيش سلطان مصر وزاد فى الضرائب والمكوس حتى أثقلت كواهل الأهالى .

ولمـا بلغ أهل الأرياف عصيان أحمد باشا واستقلاله بالسلطان توقفوا هم أيضاً عن دفع الأموال المقررة . ولما علم اليهود بهذا الخبر حزنوا الحزن الشديد وخافوا خوفاً عظيما جداً .

وطالب عسكر الشراكسة أعداء اليهود من أحمـــد باشا أن يهب لهم الضريبة المفروضة على حارة اليهود فأجاب طلبهم فجاءوا إلى حارة اليهود وجعلوا يسلبون وينهبون ويقتلون ومن بين المقتولين كان موسى ميلان وجماعته وغيرهم من أعيان الإسرائيليين .

فرفع اليهود أصواتهم مبتهلين إلى المولى القدير وصام الرجال والنساء والأطفال وكان اجتماع رهيب يتلو فيه الصلاة والدعاء الفاضل شموئيل سيديليو وصحبته أولاد الكتاتيب وسيفر توراة موضوع فوقه الرماد فسمع الله دعاءهم وذكر لهم عهد آبائهم إبراهيم وإسحق ويعقوب ومن عليهم بالخلاص من الشراكسة ، وبعـــد عدة معارك استطاع جنود السلطان والسلاجق الانتصار على أحمد باشا وقتلوه وأتوا برأسه على مزراق إلى القاهرة فعلقوه على باب زويلة .

وأتم الله سرور اليهود بقدوم إبراهيم كاسترو من الآستانة معززاً مكرماً موصى له من السلطان بأن يكون له الرأى الأول ففرح جميع أهل مصر بقدومه حيث كان مقامه عالياً فى أرض مصر ومقبولا عند إخوانه يبحث لشعبه بالخير ويطالب لنا بالسلام .

وتعاهد إذ ذاك اليهود على أنفسهم أن يجعلوا يومى ٢٧ ، ٢٨ اذار من كل سنة عيداً يتهادون بعضهم بعضاً ويتصدقون فيه على الفقراء كما يفعلون بمناسبة خلاصهم من يد هامان الهندى (كذا) وزير الملك احشويروش الذى قصد اعدام اليهود كذلك كان قصد أحمد باشا والحق سبحانه وتعالى جل جلاله أهلكهم وأعدمهم من الدنيا كقول النص « أن يباد جميع أعدائك » ونحن وأنتم نحمد الله من الأبد الى الأبد آمين .

« ليكن لليهود نور وفرح وسرور ووقار »

وفى الختام نطلب منه تعالى أن يجعل حياتنا لها حياة مرضية وبين يديه

وأن يقطع السوء والشر عن جميع شعبه اسرائيل المحبوب لديه . . ويرحمنا ويحيينا ويزكينا بأن ننظر بأعيننا المشيح المنتظر المطلوب ويجمعنا من أربع أقطار العالم الى الأرض المقدسة الطاهرة كما أوعد وقال . . [١]

ومن الأعياد الأخرى التى ظهرت لمناسبات قومية أعياد تطهير المعبد من الطقوس الوثنية عقب انتصار المكابيين على انطيوخوس ابيفانوس ويحتفل بهذا العيد ٢٥ كيسليف (نوفمبر/ديسمبر) وشرع فى اقامة هذا العيد منذ عام ١٦٥ ق . م. ومدة هذا العيد ثمانية أيام[٢]. ويحتفل الإسرائيليون أيضاً بذكرى انتصار يهوذا على (نيكانور) فى ١٣ اذار (فبراير/ مارس) عام ١٦٢ ق. م. ويطلق على هذا العيد اسم عيد نيكانور[٣] وهناك احتفال بعيد آخر وهو استيلاء شمعون على قلعة عكا فى ٢٣ ايار (ابريل / مايو) عام ١٤٢ ق. م.[٤]

---

(١) مجلة فوريم مصرايم لناقله نسيم إبراهام عنانى . مطبعة شموئيل رحيم بمصر

(٢) المكابيون الأول ص ٤ ى ٣٦ ٠٠٠ والمكابيون الثانى ص ١ ى ٣ ٠٠ وأنجيل يوحنا ص ١٠ ى ٢٢

(٣) المكابيون الأول ص ٧ ى ٤٣ ٠٠٠ والمكابيون الثانى ص ١٥

(٤) المكابيون الأول ص ١٣ ى ٥١

الصـــلاة

لا شك فى أن الصلاة هى العنصر المركزى للحياة الدينية كما أنها الوسيلة المباشرة للاتصال بالله . الصلاة ليست مجرد تفكير فى الله كما أنها ليست تعبيراً ظاهرياً مصدره التفكير فى الله بل عبارة عن الاتصال الشخصى بالله لذلك كانت الصلاة هى المقياس الذى تقاس به عظمة الدين وحيويته .

والصلاة فى العهد القديم موجهة دائما إلى المعبود «يهوه» ويعتقد المصلى أن الصلاة وسيلة ملزمة لله لتأدية عمل من الأعمال وهذه الظاهرة نتبينها فى العهد القديم من الطريقة التى يعبر بها المصلى عن احترامه لله[1] فهى لاشك من بقايا عصور السحر والتعاويذ والنظر الى الخالق نظرة الساحر . وهنا لا يقصد من الصلاة الحب والتودد بل الوصول الى القوة الكامنة فى المعبود أى الوصول الى القوة .

ومظهر آخر من مظاهر الصلاة أن المصلى يصلى عادة فى مكان يعتقد وجود الله فيه مجسداً جسداً وروحا اعتقاداً من المصلى فى أن جسده يلمس جسد المعبود[2] . وهذه الظاهرة تبدو واضحة عند ما نتأمل أماكن الصلاة فنحن نعلم أن داود لما هرب من وجه ابشالوم سجد لله على قمة جبل وليس فى الطريق العادى[3] وفى العصور المتأخرة لما شيد المعبد فى أورشليم واعتبر هو المكان المقدس الوحيد أخذ الناس يتجهون اليه عند الصلاة[4]، ثم نجد

---

(١) العدد ص ٦ ى ٢٦ وتكوين ص ٣٢ ى ٣٠ والقضاة ص ١٣ ى ١٨

(٢) تكوين ص ١٢ ى ٧ وص٢٨ ى١٦ والملوك الثانى ٥ ى١٧ ومزمور ٥ ى٨

(٣) شموئيل الثانى ص ١٥ ى ٣٢ ويوديث ٩ ى ١

(٤) الملوك الأول ص ٨ ى ٣٨ ودنيال ص ٦ ى ١١ وطوبيث ص ٣ ى ١١ وأخبار الأيام الثانى ص ٦ ى ٣٤

فيما بعد الاستعاضة عن لمس جسد الله بتقبيل اليدين مع الاتجاه الى السماء[١١]

وآخر مظهر من المظاهر الدالة على النظر للصلاة كنوع من أنواع السحر الحركات والسكنات التي يقوم بها المصلى فمن تلك المظاهر صلاة الياس بوضع الرأس بين الركبتين[٢] كذلك رفع اليدين إلى أعلى[٣] ورمى السهام فى اتجاه خاص والدق بالهاون على الأرض[٤] ثم جرح الإنسان نفسه[٥] .

وأوضح ماتتجلى فكرة محاولة التأثير على القوة الالهيه فى العهد القديم عند طلب البركة أو اللعنة فهنا نجد المبالغة فى ابداء القداسة والتدين ففى الوصايا العشر نجد تحذيرا حتى من النطق بلفظ « يهوه » حتى لا يتعرض الإنسان للاذى[٦] . أما طلب البركة فيتقدم به الكاهن وبواسطة صلاة[٧] وحتى رجل الله فقوته ليست فى الكلمات التى يتفوه بها بل فى دعائه ورجائه[٨] والاخلاق الخاصة التى يتحلى بها[٩] .

والآن نرى الصلاة الاسرائيلية تبتعد تدريجيا عن السحر والتعاويذ فالمصلى يدعو « يهوه » وقد تجاب صلاته أو ترفض[١٠] أما فكرة رفع المصلى صوته عند يدعو « يهوه » فهى ترجع إلى العصر الذى كان يتصور فيه الإنسان « يهوه » إنسانا . وقد اعتبر العهد القديم « يهوه » سيدا لذلك عامله معاملة السيد

---

(١) أيوب ص ٣١ ى ٢٧
(٢) الملوك الأول ص ١٨ ى ٤٢
(٣) خروج ص ١٧ ى ١١
(٤) الملوك الثانى ص ١٣ ى ١٦ — ١٩
(٥) الملوك الأول ص ١٨ ى ٢٨
(٦) خروج ص ٢٠ ى ٧ وتثنية ص ٥ ى ١١
(٧) شموئيل الأول ص ١ ى ١٧ وعدد ص ٦ ى ٢٤ — ٣٦
(٨) خروج ص ٣٢ ى ٣٢ وأرميا ص ١٥ ى ١ وزكريا ص ٣ ى ٧
(٩) ملاخى ص ٢ ى ٢
(١٠) مزمور ٢٧ ى ٨ ومزمور ٦٥ ى ٣ ومزمور ١٤٥ ى ١٨
(١١) شموئيل الأول ص ١ ى ١٣ ومزمور ٢٢ ى ٢ ومزمور ٣٨ ى ٩

الدنيوى فكان الانسان عند صلاته يقدم نفس المراسيم والتقاليد التى يؤديها عند ما يمثل أمام سيده الارضى فهو يخلع نعليه[١] ثم يركع[٢] ثم يرفع يديه شريطة أن تكون الكفان تجاه المكان المقدس[٣] أو تجاه السماء[٤] وبعد ذلك يسجد[٥] على أن تلمس كفاه وجبينه التراب وجميعها اجراءات كان يقوم بها العبد تجاه سيده أو الفرد لمليكه وجميعها تشير الى عظمة المعبود وضآلة العبد أو المصلى .

ومن الألفاظ الأخرى التى تعبر عن الصلاة فى العبرية لفظ « عتر » فهذا اللفظ يدلنا إلى جانب صلى أيضا على معنى « رجا » أو « التمس » أعنى قدم قربانا مما يدل على أن الصلاة كانت أصلا طقسا من الطقوس الوثنية .

وقد وجه كبار الأنبياء قديما كثيرا من الاهتمام بالصلاة ووجوب العناية بها على ألا تكون بعيدة عن الشعور الدينى العميق كما يشير إلى ذلك أشعيا[٦] حيث يقول : فقال السيد لأن هذا الشعب قد اقترب إلىّ بفمه وأكرمنى بشفتيه وأما قلبه فابعده عنى وصارت مخافته منى وصية الناس معلمة » وهذا النقد الموجه من أشعيا وغيره لا ينفى أن الأنبياء أنفسهم كانوا يصلون صلاة صادرة من قلوبهم[٧] فهؤلاء الأنبياء كانوا فى الوقت الذى فيه يعتمدون على الله وينتظرون توجيهه منغمسين فى الله إلا أن صلواتهم لم تنطق ولم تسمع على درج المذبح كغيرهم من البشر أن صلواتهم صادرة من الروح لا من

---

(١) خروج ص ٣ ى ٢

(٢) أشعيا ص ٤٥ ى ٢٣ وأخبار الايام الثانى ص ٦ ى ١٣

(٣) مزمور ٢٨ ى ٢ ومزمور ١٣٤ ى ٢

(٤) خروج ص ٩ ى ٢٩ والملوك الاول ص ٨ ى ٢٢ وى ٥٤ وعزرا ص ٥ ى ٥ والمراثى ص ٢٢ ى ١٩

(٥) مزمور ٥ ى ٨ وتكوين ص ٢٤ ى ٢١ وأيوب ص ١ ى ٢٠ وأخبار الأيام الثانى ص ٢٩ ى ٢٩

(٦) أشعيا ص ٢٩ ى ١٣ وص ١ ى ١٥ وهاموس ص ٥ ى ٣٥

(٧) الملوك الاول ص ١٩ ى ٤

اللسان وهي صادرة من أكواخهم المتواضعة أو المعابد الصغيره بعيدين عن كل مظاهر الترف أو الرياء وما سجله هؤلاء الأنبياء هو بعينـه ما أرادوا إعلانه وتبليغه للشعب وهو ما يتصل برغبة الله التى يريد اعلانها للشعب . أما حياتهم الدينية أما خواطرهم ونزعاتهم ومشاعرهم الدينية فقد بقيت لهم وحدهم » وقد شذ عنهم أرميا وتحدث عما يخالجه وعن شعوره[١] لذلك عند أرميا فقط نشعر وللمرة الأولى بنوع الصلاة الباطنية التى كان يفيض بهـا شعوره وتتوارد أفكاره وخواطره ففيها الأفكار الهادئة والأخرى الثائرة وتشتمل على مختلف الآراء المتصلة بالرجاء والدعاء إلى غيرها[٢] وعند أرميا كذلك نجد نوعا من الصلاة خاصا به وهي على نمط المراثى والمزموز الحادى عشر .

وهذه الصلوات تخالف ولا شك القديمة فصلوات قدماء الإسرائيليين كانت تتسم بمظاهر الأنانية فهى صلوات تشتمل على كثير من الأدعية التى يتطلب تنفيذها قوى فوق قوى البشر فالإسرائيلى القديم يتطلب مطر السماء وخصوبة الأرض والمحصول الوفير من الحبوب والأعنـاب وبركة تفيض من الثدى وأحضان الأمهات[٣] وإلى جانب هذا كله يطالب الإسرائيلى القديم النصر فى الحرب والشفاء من الأمراض والنجاة من عدوه والسلامة عنـد السفر والوقاية من المصائب وحول هذه الأمور جميعها كانت تدور صلاة الفرد والجماعة . إلا أن تحقق مثل هذه الرغبات لا يتوقف على الله وحده بل على سلوك الإنسان أيضا لذلك نجد الفرد أخـذ يفـكر فيما يصنعه من فروض وواجبات وصلوات لذلك كثيرا ما نجد فى الصلوات التى جاءتنا فى المزامير عبارات تنم عن الاعتراف بالذنب والخطيئة والرغبة الملحة فى طلب العفو ورجاء الغفران .

---

(١) أرميا ص ٨ ى ١٨ وى ٢٣ وص ١١ ى ١٨
(٢) أرميا ص ١٧ ى ١٤ وص ٢٠ ى ٧ .. وص ٦ ى ١١ وص ١٥ ى ١٥ ...
(٣) تـكوين ص ٢٧ ى ٢٨ وص ٤٩ ى ٢٥

ونستطيع القول أن كبار الأنبياء بموقفهم من الصلاة ونقدهم اياها[١] سواء تلك التى كانت سائدة فى عصرهم أو التى يباشرونها هم أنفسهم نقل الصلاة إلى عصر جديد يعرف فى تاريخ اللاهوت الإسرائيلى باسم «فترة الصلوات» وقد امتازت بالتركيز على أن الله لا يحده زمان أومكان وهو الـه جميع الشعوب لا الإسرائيلى فقط[٢] كما تتميز فترة صلوات أيضاً باعتراف المصلى بذنوبه وخطاياه(٢) .

ولم يقف التطور فى الصلاة عند هذا بل نجده يمتد إلى الطقوس الملازمة لها أيضا فالطقوس القديمة اختفت تدريجيا وحلت محلها الطقوس الجديدة وهى عبارة عن تلاوة بعض آيات العهد القديم مع العناية بترتيلها وتجويد النطق بها[٤] مع تحديد مواعيد لإقامة الصلاة وجعلتها فى الصباح والظهر والمساء(٥) .

إلا أن هـذا التشريع الذى استنه كبار الأنبياء خاصا بالصلاة انحرف فى العصور المتأخرة وأقحمت عليه تعديلات أخرى مثل الـ «صيصت» أى «الجدائل» وهى عادة تتدلى من الزوايا الأربع للمعطف سواء كان كبيرا أو صغيرا أو «الطليت» أما المعطف الكبير فرداء أبيض بلا اكمام يتعطف به الإسرائيلى على الاكتاف وقت الصلاة كل يوم صباحا. أما الصغير أو أربع كنفوت فهو على شكل قميص صغير بدون أكمام ويلبس تحت الثياب والطليت شال أبيض أو أزرق . وكل جديلة تشتمل على عدد من العقد تقوم مقام السبحـة فى الإسلام أى يسبح عن طريقها(٦) .

---

(١) مزمور ٥٠ ى ٨ — ١٥ و ٥١ ى ١٨ — ١٩
(٢) مزمور ١٣٩ ى ٧٧...
(٣) دنيال ص ٩ ى ٧ وطوبيت ص ٣ ى٢ — ٣
(٤) مزمور ٥٠ ى ١٥
(٥) أخبار الأيام الأول ص ٢٣ ى ٣٠ ودنيال ص ٦ ى ١٠ ومزمور ٥٥ ى ١٧
(٦) العدد ص ١٥ ى ٣٧... وتثنية ص ٢٢ ى ١٢ وأنجيل متى ص ٢٣ ى ٥

كذلك أوجد المتأخرون من رباني اليهود العصابة المعروفه باسم « تفليم » وهى تلف بسير من الجلد على الذراع الأيسر والجبهة وبها علبتان صغيرتان بداخل كل منهما بعض الآيات المكتوبة على الجلد [١] . والتفليم عبارة عن قطعتين من رق مكتوب فى كل منهما بعض آيات من التوراة داخل علبتين صغيرتين من جلد الواحدة فوق الذراع الأيسر مقابل القلب وتثبت بسير من جلد يلف على الذراع ثم على الساعد سبع لفات ثم على اليد . وتثبت الثانية بسير أيضاً كعصابة حول الرأس فوق أعلى الجبهة فى الوسط مقابل المخ ثم يعود ويتم لف السير الأول ثلاث لفات على الأصبع الوسطى ويقول المصلى الآيتين « وأخطبك لنفسى إلى الأبد وأخطبك لنفسى بالعدل والحق والاحسان والمرام وأخطبك لنفسى بالأماة وتعرفين الله »[٢] .

كما يقول المصلى البركة الأولى عند وضـــع حافظة الذراع : « مبارك انت يا الله آلهنا ملك العالم الذى قدسنا بوصاياه وأوصانا بوضع التفليم ثم يقول عند وضع حافظة الرأس : » مبارك أنت يالله آلهنا ملك العالم الذى قدسنا بوصاياه وأوصانا بوصية التفليم . ويقول المصلى فى أول مرة « بركة الذى أحيانا » . ويراعى أن يوضع التفليم وقوفا والا يكون شىء فاصل بينهما وبين الجسم كخاتم أوساعة وأن يلزم السكوت وقت وضعها والا تغطى حافظة الرأس ولا مانع من تغطية حافظة الذراع بكم القميص . وبعد انتهاء الصلاة يزال التفليم حسب ترتيب الوضع فتفك لفات الأصبع أولا ثم تفليم الرأس ثم لفات الساعد والذراع ثم الحافظة والمعطف الكبير . ولا يوضع التفليم فى أيام السبوت والأعياد الرئيسية أو يوم الغفران .

---

(٧) الخروج ص ١٣ ى ١ ١٦ وتثنية ص ٦ ى ٤ — ٩ وص ١١ ى ١٣ — ٢١ وأنجيل متى ص ٢٣ ى ٥

(٨) خروج ص ١٣ ى ٩ و١٦ وتثنية ص ٦ ى ٦

القربان

كما أن الديانة الإسرائيليه هي ظاهرة اجتماعية احتاجت الى فترات طويلة من التاريخ لتتطور وتصل إلى ما وصلت اليه كذلك الحال مع القربان ونتبين من التثنية وشريعة الكهنة الكثير من شريعة القرابين قبل السبى وإبانه وبعده كما ندرك الشوط البعيد الذى قطعته القرابين فى مضمار التطور قبل أن تدون شريعة التثنية أو الكهنة كما يظهر لنا ذلك من بعض العبارات الواردة فى الأسفار التاريخية أو الخاصة بالأنبياء إذ نحن نقرأ عنها فى الوصايا العشر (١) وفى كتاب العهد كما نتبين هذا التطور عند مقارنتها بالقرابين التى كانت منتشرة ومعروفة عند الشعوب السامية الأخرى خاصة عند العرب الجاهليين أو الكنعانيين . ويمدنا العهد القديم بالكثير من البيانات عن نوع هذه القرابين ومقدميها وطريقة تقديمها .

ما الفكرة الرئيسية التى ترمى إليها القرابين والتى إستخدمها الاسرائيليون قبل تسللهم إلى كنعان فالجمع بين الله والإنسان وأهم قربان يحقق هذا الهدف « الحيوان »(٢) أعنى إعداد الطعام فالطعام هو الذى يجمع بين الإنسان والله والطعام هنا عبارة عن اللحم والدم . وفيما بعد نجد الله يختص بالدم (٣) ولعل الطريقة التى إستخدمها شاؤل عند تقديم القربان هى الطريقه البدوية حيث نقرأ ذكرا لحجر خاص تذبح عليه العجول والضأن والماعز ويترك الدم نصيبا للمعبود لذلك يترك الدم يجرى على الحجر أو على الأرض ، أما مقدمو القربان فنصيبهم اللحم ويلاحظ أننا لا نقرأ هنا شيئا عن حرق الحيوان أو الدهن . وتظل هذه الفكرة قائمة فى العقيدة الإسرائيلية حتى

---

(١) خروج ص ٣٤

(٢) خروج ص ٢٠ ى ٢٢ إلى ص ٢٣ ى ٣٣

(٣) شموئيل الأول ص ١٤ ى ٣٣ ...

أطلقت على موضع تقديم القرابين « مذبحا » ولو أن المؤمنين كانوا يقدمون القربان ويحرقونه ولا يذبحونه .

ولما اتصل الاسرائيليون بالكنعانيين أخذوا عنهم فكرة أخرى جديدة عن القربان والغاية منه فالقربان ليس للجمع بين الإنسان والله عن طريق الطعام بل القربان عطية للمعبود لذلك اصبح القربان يحرق ولا يذبح أو يحرق دهنه فقط فيصعد الدخان إلى السماء حيث يقيم هذا الاله الذى خصص له القربان .

ويمضى الزمن على الإسرائيليين وعقيدة القربان وتتطور الفكرة وأخذت تدل على أن الغاية من القربان « إطعام المعبود » فى الأصل كانت الفكرة واقعية ومن ثم أصبحت رمزية[1]. وتطورت الفكرة أيضا إلى أن القربان كفارة عن عمل ارتكبه العبد وأغضب المعبود[2] وكان يعتقد قديما أن الغضب من طبيعة المعبود ثم أصبح سبب غضب المعبود أعمال العبد والقربان الذى يقدم لهذه الغاية أعنى افتداء العبد من غضب المعبود لخطيئة ارتكبها يعرف باسم « فداء » وهذا الفداء يلعب دوراً هاماً فى هذه الحالة فهنا نجد الحيوان « الفداء » يتحمل العقوبة التى يستحقها الإنسان الخاطىء وهى فكرة قديمة جداً[3] وبينما نجد لقربان الفداء هنا قيمة إيجابية أعنى أن شيئاً له قيمته يقدم للمعبود إذ بنا نجد فى حالات أخرى أن القربان الفداء شىء سلبى فقط أى أن الإنسان مقدم الفداء يكتفى بحرمان نفسه من شىء أو أشياء عزيزة جداً فقيمة الفداء هنا فى استغناء الإنسان عن أشياء ضرورية له ومن هذا النوع تقديم الأطفال أو الابن البكر أو الابن الوحيد فداء[4].

---

(١) لاويون ص ٢١ ى ٦

(٢) شموئيل الأول ص ٣ ى ١٤ وص ٢٦ ى ١٩

(٣) أشعيا ص ٥٣ ى ١٠ ولاويون ص ١٦ ى ٢١ ..

(٤) تكوين ص ٢٢ ى ٢ وقضاه ص ١١ ى ٣٤ وميخا ص ٦ ى ٧

وبالرغم من قدم القربان فى العقيدة الإسرائيلية فإننا نجد تياراً ينكره[١] أو يقلل من شأنه[٢] إلا أن جميع هذه المحاولات لم تنجح فى القضاء عليه بل بالعكس عقب السبي نجده يتبوأ مكانة ملحوظة فى العقيدة الإسرائيلية وذلك لأن الدين نظر إلى القربان كوصية من وصايا « يهوه » واحترام هذه الوصية خير دليل على طاعته .

ولم تقف فكرة القربان على الحيوان بل امتدت حتى شملت عناصر أخرى مثل الدقيق والزيت والخمر[٣] كما ظهرت قرابين من البخور . أما العقيدة المعروفة باسم عقيدة (مولوخ) وهى التى تقدم الأطفال قرباناً للمعبود ، فقد ظهرت بين الإسرائيليين فى القرن الثامن أو السابع ق. م. وقد استمرت قائمة قروناً عديدة. وكما امتدت يد رجال الدين إلى كثير من الطقوس كذلك الحال مع القرابين فلم يتركها الكهنة تفلت من أيديهم فبعد أن كان رب الأسرة هو الذى يقدم القربان إذ بنا نجد الكهنة يوثرون بها أنفسهم كما عينوا مكان التقدمة فقصروه على كل مكان مقدس فنحن نعلم أن يشوع ركز عام ٦٢١ ق . م . العبادة فى أورشليم وقضى على سائر المذابح الأخرى وقد أدى هذا التطور فى طقوس القرابين إلى قصرها على أبكار الحيوان أو النبات أو غيرهما[٤].

ولم يقتصر تقديم القرابين على المعبودات الإسرائيلة بل قدمت أيضاً إلى المعبودات الأجنبية إلى « بعل » و « عشترت »[٥] كذلك قدمت فى عهد سليمان إلى « كموش » إله المو آبيين و« مولك » اله العمونيين[٦] كما قدم الملك «أخاب»

---

(١) عاموس ص ٥ ى ٢١ .. وأشعيا ص ١ ى ١٠ ..
(٢) مزمور ٥١ ى ١٧ ...
(٣) هوشيع ص ٢
(٤) تثنية ص ١٥ ى ١٩ .. وص ١٤ ى ٢٢ .. والعدد ص١٨ ى ١٥ .. وى٢٥
(٥) هوشيع ص ٢ ى ١٥ والقضاة ص ٢ ى ١٣ وص ١٠ ى ٦
(٦) الملوك الأول ص ١١ ى ٧

قرابين وأقام معابد لمعبودات صور[1] أغاظة لرب إسرائيل . وفى القرنين السابع والسادس ق . م . نقرأ عن قرابين قدمت لآلـه بابلية أشورية ومصرية قديمة[2] ومثل هذه القرابين إستتبعت التأثير حتى فى تشييد المعبد الإسرائيلى الذى هو طراز مصرى فينيقى ومذبح « أخاب » قد شيد أيضاً على طريقة أجنبية[3] .

هذا وقد تفنن الإسرائيلى أو رجال الكنوت فى تنويع القربان الحيوانى فأصبحنا نجد أنفسنا أمام أربعة أنواع :—

١ — القربان الجزئى
٢ — القربان الكلى
٣ — قربان الفداء
٤ — قربان الديون

أما الأول فيسمى أيضاً (ذبح) وهو أكثر القرابين إنتشاراً لأنه يقدم فى مختلف المناسبات خاصة الأفراح فهو قربان شكر (توداه)[4] أو وفاء بالنذر[5] أو لمجرد إشباع رغبة[6] .

وجرت العادة أن مقـــدمى القرابين يأكلون اللحم أو يوزعونه على الفقراء أما الدم والدهن فللمعبود ويتناول الكهنة أجزاء خاصة من القربان[7] .

---

(١) الملوك الأول ص ١٦ ى ٣١ — ٣٢ وص ١٨ ى ٢٠ ..
(٢) الملوك الثانى ص ٢١ ى ٣ .. وص ٢٣ ى ١١ .. وأرميا ص٧ ى ١٨ وص١٩ ى ١٣ وص ٤٤ ى ١٥ ..
(٣) الملوك الثانى ص ١٦ ى ١٠ ..
(٤) لاويون ص ٧ ى ١١ ..
(٥) لاويون ص ٧ ى ١٦
(٦) عاموس ص ٤ ى ٥ ولايون ص ٧ ى ١٦
(٧) شموئيل الاول ص ٢ ى ١٣ .. وتثنية ١٨ ى٣٠٠ ولاويون ص٧ ى٣٠٠٠ ولاويون ص ٣٧ ى ١١...

أما قربان المحرقات(عولاه) أو (كاليل) فيتم بحرق جميع الأجزاء الصالحة للطعام من الحيوان . أما الفرو فمن نصيب الكهنة[١].

أما القرابين العامة فكانت تقدم عادة قبل بدء المعركة[٢]أو عند تدشين المعبد[٣]وهي عادة ذبائح ومحرقات . أما القرابين التي كان يقدمها الملك وفيها بعد الشعب في المعبد وتسمى « تاميد » فقد كانت محرقات والقربان عبارة عن خروف أو خروفين وفي أيام السبت والأعياد الأخرى كانت تقدم إلى جانب الخروف حيوانات أخرى[٤].

والآن نتساءل ماالهدف من تقديم أبكار الحيوان أو النبات أو الفاكهة؟ لاشك في أن الغاية من هذا تقديم أول الأشياء قربانا أو بمعنى آخر أحسنها أو أول ماينضج منها[٥]وهناك نص يقول أن الفاكهه التي تقدم ليست سنوية بل تلك التي تنتجها الشجرة بعد أربعة أعوام من غرسها كذلك الحال مع الحنطة إذ يقدم أول محصول من القمح وعصير التفاح والزيت[٦]ومن مواد أخرى[٧]وتقدم هذه القرابين عادة للكهنة أو الفقراء هكذا كانت في أول الأمر ثم إقتصرت على الكهنة كما أنها تقدم في الأعياد المتصلة بالزراعة وهي ثلاثة[٨]كما تقدم في أيام السبت أيضاً[٩]

---

(١) لاويون ص ٧ ى ٨

(٢) شموئيل الاول ص ١٣ ى ٨...

(٣) الملوك الاول ص ٨ ى ٦٢..:

(٤) عدد ص ٢٨ ى ٩..

(٥) خروج ٢٣ ى ١٩ وص ٣٤ ى ٢٦ وحزقيئيل ص ٤٤ ى ٣٠ ولاويون ص ١٩ ى ٢٣ ..

(٦) تثنية ص ١٨ ى ٤ وعدد ص ١٨ ى ١٢ — ١٣

(٧) عدد ص ١٥ ى ٢٠ — ٢١ وحزقيئيل ص ٤٤ ى ٣٠ ونحميا ص ١٠ ى ٣٨

(٨) لاويون ص ٢٣ ى ٩ .. وى ١٥ .. وى ٣٩ .. وشموئيل الاول ص ٢١ ى ٥..

(٩) لاويون ص ٢٤ ى ٥.. وخروج ص ٢٥ ى ٢٣..

وهناك قربان نباتى آخر يعرف بقربان العاشر وهو خاص بأهم المحاصيل مثل القمح والخمر والزيت[١] وفى عصور متأخرة عمم على كل الأشياء[٢].

وغير هذه القرابين نجد الدقيق والفطائر وذلك لأنها تشتمل على زيت وملح وبعض العطور . أما الأشربة فأهما الخمر[٣] كما نجد قرابين أخرى من الزيت والخمر والماء[٤]. كما قدم الإسرائيلى البخور والعطور قربانا[٥] للمعبود أسوة بالإنسان الذى يتطيب .

كذلك أهدى الاسرائيليون لمعبودهم الهدايا المختلفة من أسلحة وغنائم حرب والذهب والفضة والأقمشة وخلافها[٦].

كذلك جرت العادة أن تفرض ضرائب لتأدية الطقوس[٧].

النذر

عهد يقطعه الإنسان على نفسه لأمر ما ويقيد نفسه به وهو يشبه القسم وبخاصة فهو يمتد إلى المستقبل اعنى أن تحقيقه يقع عادة فى المستقبل كالقسم تماماً . ويتجلى النذر فى صورتين شرطى وغير شرطى ومعنى شرطى هنا أن الوعد بتنفيذ شىء يتوقف على تحقيق رغبة تحققها قوة فوق قوة البشر .

---

(١) خروج ص ٢٢ ى ٢٨ وعاموس ص ٤ ى ٤ وتثنية ص ١٤ ى ٢٢ ٠٠ وص٢٦ ى ١٢ ٠٠ وعدد ص ١٨ ى٢١ ٠

(٢) متى ص ٢٣ ى ٢٣ ولاويون ص ٢٧ ى ٣٢ ٠٠ وتثنية ص ١٤ ى ٢٢ ٠٠

(٣) عدد ص ٢٨ — ٢٩

(٤) تكوين ص ٢٨ ى ١٨ وص ٣٥ ى ١٤ وشموئيل الاول ص٧ ى٦ وشموئيل الثانى ص ٢٣ ى ١٣ ٠٠

(٥) أمثال ص ٢٧ ى ٩ وعدد ص ٢٧ ى ١١ ٠٠ ولاويون ص ١٠ ى ١ ٠٠ وعدد ص ١٦ ى ٥ ٠٠ وص ١٧

(٦) شموئيل الأول ص ٢١ ى ١٠ ويشوع ص ٦ ى ٢٤ وشموئيل الثانى ص ٨ ى ١٠ — ١١ والملوك الثانى ص ١٢ ى ١٩ وقضاه ص ١٧ ى ٣ وخروج ص ٢٥ ى١

(٧) نحميا ص ١٠ ى ٣٣ وخروج ص ٣٠ ى ١١ ٠٠

بينما الصورة الثانية لا ترتبط بشرط أو زمن معين كأن يتعرض مسافر لخطر ما غير متوقع وينجو منه فينذر نذراً وفى مصر تقدم النذور للأولياء أو أو القديسين لأجل المحاصيل أو المواشى أو الشفاء من مرض أو لقضاء الحوائج أو الضرر بالأعداء وتختلف النذور باختلاف مستوى الناس فقد يكون النذر شعراً كأن يطلق شعر الطفل ينمو « قطية » ولا يقص إلا عند الوفاء بذبيحة تنحر عند الولى أو القديس ويوزع لحمها على الفقراء أو الحضور

وفى العهد القديم نفرق بين نوعين من النذور أيضاً نوع فى حالة قبول المعبود لصلاة من الصلوات تقدم للمعبود عطايا خاصة أو إقامة معبد[1] أو طفل لخدمة المعبد . أما النوع الثانى فالحرمان من الطعام[2] أو عدم النوم على السرير[3] أو مضاجعة النساء[4] .

القسم

جرت العادة أن الشخص كان يصدق كل ما يسمع سواء كان صدقا أو كذباً لذلك كثر الكذب مما اضطر المتكلم إلى استخدام ألفاظ وعبارات فيها تأكيد وقسم بصحتها وقد كثر ورود مثل هذه العبارات فى العهد القديم حيث نجد اليمين والحلف واللعن فاذا أراد شخص أن يؤكد صحة كلامه قدم رهناً او تعهداً كما يروى فى شموئيل الثانى[5] « وجاء جميع الشعب ليطعموا داود خبزاً وكان بعد نهار فحلف داود قائلا هكذا يفعل بى الله وهكذا يريد أن

---

(١) تكوين ص ٢٨ وشموئيل الاوو ص ١
(٢) شموئيل الاول ص ١٤
(٣) مزمور ١٣٢
(٤) شموئيل الاول ص ٢١
(٥) ص ٣ ى ٣٥

كنت أذق خبزاً أو شيئاً آخر قبل غروب الشمس » ويذكر أيوب[١] « حى هو الله الذى نزع حقى والقدير الذى أمر نفسى أنه ما دامت نسمتى فى ونفحة الله فى أنفى لن تتكلم شفتاى اثما ولا يلفظ لسانى غشا » وادى استخدام اليمين بكثرة إلى إساءة استخدامه حتى نهى الدين عن الحلف بالباطل(٢) .

وكما استخدم اليمين فى الدين كذلك فى القضاء للاستعانة به على الوصول إلى الحقيقة(٣) وكثيراً ما استخدم الإنسان عوضاً عن القسم بالله وسائل أخرى وجعلها موضوع قسمه مثل الأرض والسماء والمعبد واورشليم أو مثل عضو من أعضاء جسم الإنسان(٤) .

وكأداة للقسم يستخدم الإنسان منذ قديم الزمن « اليد » فى كثير من مسائل العقيدة والتفكير ونظر الإنسان إليها قديماً كعضو مستقل عن الإنسان كما يتبين لنا هذا من التشريع الحيثى « إذا أخطأت يده[٥] كما أنها تعتبر أحياناً جزءاً من الجسد وفى هذه الحالة نجد اليد اليمنى خاصة مجلبة للقوة أو البركة أو الضرر وذلك عند عقد الاتفاقات والسلام والتحية والقسم اذ توضع اليد على الشيء المقدس ومختلف المناسبات مثل البيع والشراء .

واستخدام اليد ليس قاصراً على الأفراد العاديين بل يستخدمها كذلك الأولياء والأنبياء ويد الله مع الجماعة .

وغير اليد يقدس الإسرائيلى أيضاً « الإسم » وكثيراً ما نجده فى العهد القديم وبخاصة اسم « يهوه » يرد مستقلا(٦) عن الاله ذاته . كذلك نجده

---

(١) ص ٢٧ ى ٢ — ٤
(٢) لاويون ص ١٩ ى ١٢
(٣) عدد ص ٥ ى ١١ — ٢٨
(٤) أنجيل متى ص ٥ ى ٣٣ — ٣٦
(٥) خروج ص ٢١ ى ١٣
(٦) أشعيا ص ٣٠ ى ٢٧ وخروج ص ٢٣ ى ٢٠ — ٢١ ومزمور ٧٥ ى ٢

أحياناً يذكر كالمخاطب أو الشخص الثانى المخيف للالـه كما نجد اسم يهوه يرد كملاك يرسله يهوه فهو روحه .

واسم يهوه فى العهد القـديم له وظائف خاصة تتجلى فيها قوته(١) حيث نجده لا يشير إلى يهوه فقط بل هو موضوع النداء أو المنادى والمساعد والمدمر وحيث ينطق باسم يهوه فهو حاضر لذلك ليس المعبد لأجل يهوه بل لاسمه أعنى أن يهوه يترك اسمه يقطن هذا البيت(٢) .

لذلك حرص الإسرائيلى على معرفة اسم يهوه ليستخدمه للتغلب على عدوه(٣) لـكن محرم عليه استخدامه للاضرار بالناس عامة(٤) لذلك يتجنب الإسرائيلى المعاصر النطق حتى باسمه .

البركه واللعنة

تلعب البركة واللعنة فى حياة الاسرائيليين دورا هاما ويشعر الفرد بقوة البركة وخطورة اللعنة حتى أنه يلجأ إلى الله متوسلا ليمنحه البركة ويجنبه اللعنة(٥) وتتحقق البركة عادة بوضع اليد اليمنى على رأس الشخص الطالب البركة(٦) أو بواسطة مد المزراق(٧) أو الأصبع(٨) على الشىء المطلوب أو

---

(١) مزمور ٢٠ ى ٢ أمثال ص ١٨ ى ١٠ ومزمور ٤٤ ٦ ومزمور ١٢٤ ى ٨ وأشعيا ص ٥٠ ى ١٠ وصفنيا ص ٣ ى ١٢ وشموئيل الاول ص ١٧ ى ٤٥ وأخبار الايام الثانى ص ١٤ ى ١٠

(٢) شموئيل الثانى ص ٧ ى ١٣ وخروج ص ٢ ى ٢٤ وأرميا ص ٧ ى ١٢ وأشعيا ص ١٨ ى ٧ . .

(٣) أشعيا ص ٤٧ ى ٤ والملوك الثانى ص ٢ ى ٢٤

(٤) خروج ص ٢٠ ى ٧ وتثنية ص ٥ ى ١١

(٥) تـكوين ص ٢٧

(٦) تـكوين ص ٤٨ ولاويون ص ١٦

(٧) يشوع ص ٨

(٨) أشعيا ص ٥٨ والأمثال ص ٦

عن طريق البصق لجلب اللعنة[١] .

وقد يسلك الإسرائيلى طرقا أخرى لتحقيق البركة أو اللعنة مثل تقديم هدية[٢] أو دفن وثيقة اللعنة أو القائها فى اليم[٣] والذى يباركه يهوه يصير بركة[٤] ومنه تنتشر البركة إلى حقله ومواشيه وسائر ممتلكاته[٥] لكن الذى يلعنه الله تحل به النقمة وكذلك ممتلكاته وشعبه ويعلل القوم النكبات والمصائب التى حلت وتحل ببعض الناس أو الأمم بلعنات قديمة وهكذا نجد البركة و اللعنة تصيران قوة من القوى المستقلة التى تلازم الإنسان . والبركة واللعنة تخضعان لإرادة الله وفى الطقوس والمراسيم الدينية نجد الملك يبارك الحاضرين فى الأماكن المقدسة[٦] كما يقدم الكاهن اسم الله إلى الشعب وهو الذى يبارك القرابين . والفرد الذى يلعن الله يلعن وذلك لأن[٧] لعن الله يضعفه ويترتب على ذلك أن يهوه لا يستطيع مساعدة شعبه ضد إعدائه والشخص الذى يلعن الله يرتكب جريمة ضد سيد الشعب والملك وحتى اللفظ الذى يراد به لعن الله لا يذكر فى النص[٨] أو يستدل بلفظ آخر يعبر عن معنى آخر عكس اللفظ المحذوف وقد حفظ لنا العهد القديم بعض الأمثلة[٣] .

---

(١) تثنية ص ٢٥

(٢) تكوين ص ٣٣ وشموئيل الاول ص ٢٥ وص ٣٠ والملوك الثانى ص ٥ ويشوع ص ١٥

(٣) أرميا ص ٥١

(٤) تكوين ص ١٢ وعزمور ٢١

(٥) تثنية ص ٢٨

(٦) شموئيل الثانى ص ٦ والملوك الاول ص ٨

(٧) لاويون ص ٢٤ وأيوب ص ٢

(٨) شموئيل الاول ص ٣ ومزمور ٣٧

(٩) الملوك الاول ص ٢١ ومزمور ١٠

الكهنوت

لا نعلم عن الكهنوت شيئا عند الإسرائيليين قبل موسى وذلك لنقص المصادر التى يمكن الاعتماد عليها وما جاءنا من قصص الاباء الأولين لا يمكن الاعتماد عليها لأنها كما هى بين أيدينا متأخرة .

أما موسى فتقول المصادر القديمة التى وصلتنا أنه « لاوى » ويعتقد أنه كان يقوم بدور الكاهن إذ كان يفصل فى المسائل القضائية عن طريق استخارة الله[١] وكان يتصل موسى مباشرة بالله فى الخيمة المقدسة المعروفة أيضا باسم خيمة الاجتماع[٢] . وموسى هو مكتشف لبعض الطقوس وأما كنها وهو صاحب بعض الطقوس أيضا[٣] وهو الذى يقدم القرابين[٤] الا أن هذه الروايات متأخرة لذلك جعلنا نميل إلى الأعتقاد أن الحوادث التى تتحدث عنها وقعت جلها بعد نزوح الإسرائيليين إلى كنعان وإن كان الكهنوت اللاوى قديما جداً فى الجنوب ويرجع إلى ما قبل الهجرة إلى كنعان .

وأهم وظيفة لهذا النوع من الكهنوت كما نتبينها من النصوص التى جاءتنا وبخاصة العربية الشمالية كانت تدور حول استخارة الله(٥) أولا عند النبع المقدس بقادش(٦) وفيما بعد فى أماكن أخرى مقدسة .

أما مهمة رجال الكهنوت فالفصل فى المسائل القضائية عن طريق آية من آيات الله أو استخارته أو « الأوريم والتميم »[٧] وهذا النوع من الاستخارة متأخر عند الاسرائيليين لأنه يتعلق بالتابوت الذى هو كنعانى

---

(١) خروج ص ١٨
(٢) خروج ص ٣٣ — ٣٤
(٣) خروج ص ٣ و ٢٤ وتثنية ص ٣٣
(٤) خروج ص ٢٤
(١٨) تثنية ص٣٣
(١٩) تكوين ١٤
(١) ومعنى اللفظين « نور وحق ؟ » أشارة إلى الوسيلة التى يستخدمها الكاهن لمعرفة المستقبل

الأصل . ومثل هذه الوسيلة للإجابة عن السؤال تعرف عادة باسم « توراه » أى تعليم أو أعلام . أما الفصل فى المسائل القانونية فيعرف باسم «مشباط» أى قضاء أو حكم . أما إشتغال الكهنة بالقرابين فقد جاءهم متأخرا فهو ليس من عملهم .

وتفرق الإسرائيلية بين الكاهن واللاوى وأن اتفق الكاهن واللاوى فى الكهنوت غير أنه يكاد يكون من المرجح أن القبائل الإسرائيلية الشمالية كانت تستخدم كلمة « كوهين » لا كلمة « لاوى » للدلالة على الكهنوت وكلمة كوهين تدلنا فى العبرية على دلالة لفظ كاهن فى العربية أعنى الشخص الذى يقضى بالغيب . ويعتقد اللاويون أنهم هم وحدهم الذين اختصوا بالكهانة ومن ثم أخذوا يغزون الكهانة بين الإسرائيليين الشماليين[١] وذهبت ثقة اللاويين بحقهم فى الكهانة منزلة جعلتهم يقاومون كل من يتصدر للكهانة من بين الآخرين[٢] .

أما تنظيم الكهنوت وتطوره فلا نعرف عنه شيئا وبخاصة فى عصر الملوك الا ما يتعلق بالكهنوت فى أورشليم فنحن نعلم أن جماعة الكهنة يرأسها الكاهن الأكبر ويليه نائبه[٣] كما كان يعمل فى المعبد جماعة من صغار الموظفين ومن بينهم حراس الأعتاب وغيرهم[٤] . أما دخل الكهنة فعبارة عن بعض من القرابين المقدمة للمعبد والهبات التى تأتيهم من أولئك الذين يقصدونهم لمعرفة المستقبل وأحيانا من الأوقاف التى يوقفها الملك على المعبد .

أما وظيفة الكاهن الرئيسية فقد ظلت زمنا طويلا قاصرة على التنبوء بالمستقبل وفى حالة الحرب كان يحمل الكاهن (الأفود) أى البردة ولما أخذ

---

(١) قضاة ص ١٧

(٢) تثنية ص ٣٣ ى ٨ — ١١

(٣) الملوك الثانى ص ٢٥ ى ١٨

(٤) أرميا ص ٢

الأنبياء فى الظهور أنتقلت اليهم عرافة الكهنوت واحتفظ الكهنة بالتوراة والمشباط محافظة على التقاليد الدينية المتوارثة كما أن تشييد المعبد تطلب طقوسا أخرى فرضت على الكهنوت واجبات أخرى جديدة مثلا الأعياد والاشراف عليها والتقويم والطهارة وغيرها .

هرون

لا يوجد فى العهد القديم مايفيد أن الكاهن الأكبر هو الذى أوجد نظام الكهنة أما ذكر هرون إلى جانب موسى ككاهن أكبر فقد ورد فى رواية ترجع إلى مابعد السبي وفى شريعة الكهنة أى حوالى عام ٤٤٤ق. م.[١] أما الأسرات القديمة للكهنة فى « دان » و« سيلو » فترجع إنسابها إلى موسى[٢] وقبل السبي لم تعرف الاسرائيلية كبيراً للكهنة مطلقاً وقصص التوراة تتحدث عن موسى كاهناً فهو يقضى بين القوم ونبياً يخبرهم عن المستقبل[٣] وموسى هو الذى يرش الدم ويحضر القربان[٤] ويحمل عصا الله التى حولت ماء النيل دما ويأتى بكثير من المعجزات[٥] وفى الروايات المتأخرة نجد هرون يأخذ العصا[٦] وهكذا يحل هرون محل موسى ونحن لا نعرف ماذا كان هرون من قبل وأن كان قدجاء ذكره كاهناً للعجل الذهبي إلا أن هذه القصة متأخرة جداً وأقدم ما وصلنا عنه جاء فى سفر العدد[٧] حيث يذكر مع مريم[٩] .

(١) خروج ص ٢٨ وص ٣٩ ولاويين ص ٨ وص ١٠ وعدد ص ١٦
(٢) قضاة ص ١٨ ى ٣٠ وشموئيل الاول ص ٢ ى ٣٠
(٣) خروج ص ١٨
(٤) خروج ص ٢٤
(٥) خروج ص ٤ ى ١٧ .. وص ٧ ى ١٧ وص ١٤ ى ١٦ وص ١٧ ى ٩ وعدد ص ٢٠ ى ٨..
(٦) خروج ص ٧ ى ٨ .. وعدد ص ١٧ ى ٢٣
(٧) خروج ص ٣٢
(٨) العدد ص ١٢
(٩) خروج ص ١٥

لاوى (ليفى)

لاوى كما تحدثنا الروايه العبرية هو ابن يعقوب من « ليآ » وهو جد الكهنة ويستخدم لفظ « لاوى » مرادفاً للفظ « كاهن » وتذهب رواية العهد القديم بعيداً وتذكر أن اللاويين سبط من أسباط بنى إسرائيل ومن ثم فنى هذا السبط ولم يبق من أفراده إلا عدد قليل إحترف بعضهم سدانة المعبد وبخاصة ما يتصل بالكهنوت ومع توالى الزمن إشتهروا بها . أما لفظ «لاوى» فمن الألفاظ العامية الأصيلة نجده فى المعينية « ل و » و « ل و ت » للتعبير عن كاهن وكاهنة ولفظ « لاوى » عند الإسرائيليين يعبر عن وظيفة الكهنوت . أما أشهر اللغات السامية توضيحاً لأصل لفظ « لاوى » فهى العربية حيث نجد فى مادة « ل و ى » سائر المشتقات التى تشير إلى التطور الذى مر فيه هذا اللفظ فالألوى المنفرد المعتزل والرجل المجتنب المنفرد ، واللى واللو الباطل والحق ويختم صاحب اللسان هذه المادة بقوله « ولاوى إسم رجل عجمى قيل هو من ولد يعقوب عليه السلام وموسى عليه السلام من سبطه » .

أما وطن اللاويين الأصلى فجنوب فلسطين خاصة عند قادش وسيناء وهناك إحترف اللاويون الكهنوت[1] وفى ذلك الصقع كان « يهوه » يعبد قبل مجىء موسى علما بأن موسى كان أيضاً لاوياً[2] ويرد ذكر موسى متصلا بمدين[3] مركز العبادة المعينية السبائية حيث يرتبط موسى بوالد زوجه « صفوره » الكاهن العربى الجنوبى فيرتبط موسى عن طريقة بكهنة ذلك

---

(١) خروج ص ٣٢ ى ٢٥ ...

(٢) خروج ص ٢ وعدد ص ١٠ وقضاة ص ٤

(٣) خروج ص ١٨

المكان الواقع على الطريق التجارى الذى يربط جنوب بلاد العرب بشمالها ومن هنا نجد اللاويين يرجعون نسبهم إلى موسى[1] لذلك تتوثق العلاقات الكهنوتية بين لاويي الجنوب وكهنة « يهوه » فى إقليم يهوذا . أما الكهنوت الشمالية فمتأثرة بالكنعانيةومن هنا نجد كهنتها ينتسبون إلى « هرون » واللفظ كما يبدو قد يكون مشتقا من اللفظ العبرى (آرون) أى التابوت المقدس فاسم هرون قد يكون أشارة رمزية إلى هذا التابوت . لكن هذا الإنتساب إلى هرون لم يدم طويلا حتى سارع كهنة الشمال وإنتسبوا إلى موسى وبذلك إعتبروا أنفسهم لاويين وقالوا أن هرون ما كان إلا لاويا[2] ودخل سائر اللاويين فى خدمة المعبد لذلك أصبح لفظ (لاوى) مرادفا لكلمة خادم المعبد .

---

(١) خروج ص ٢ وقضاة س ١٨

(٢) خروج ص ٤

الروح

نفرق فى العهد القديم بين لفظين لمدلولين مختلفين إلا وهما « روح » بضم الراء وتشديد الواو وبين «نفش» ولفظ روح «يقابل فى العربية» روح « كما أن « نفش » يقابل أيضاً « نفس » وكلاهما ضروريان لحياة الفرد كما أن العهد القديم لا يفرق فى استخدامهما عن العربية فالروح علاوة على دلالتها على نسيم الريح فهى القوة الغامضة التى تدفع الإنسان إلى العمل(١) وتنتزعه كما ينتزع الريح ورق الشجر(٢) وهى بالنسبة للإنسان قوة عليا(٣) وهى تباغته(٤) أو تنقض عليه(٥) وهى تلبس الإنسان كما يلبسه الثوب(٦) والروح من عند الله(٧) كما أنها تدفع الإنسان إلى جلائل الأعمال كما هو الحال مع شمسون(٨). والروح هى التى تعاون على تأويل الرؤى والأنبياء للنطق بالنبوات والأحاديث والمعجزات(٩).

وكما أن الروح تفيد فهى تضر أيضاً كما أضرت شاؤل(١٠) وكما تصدق الروح فقد تكذب(١١) كما أن الروح الشريرة قد تسبب الخصومات والجبن

---

(١) قضاة ص ١٣ ى ٢٥

(٢) الملوك الاول ص ١٨ ى ١٢ والملوك الثانى ص ٢ ى ١٦ وحزقيئيل ص ٣ ى ١٢ ..

(٣) عدد ص ٢٤ ى ٢

(٤) حزقيئيل ص ١١ ى ٥

(٥) قضاة ص ١٤

(٦) قضاة ص ٦ ى ٣٤ وأخبار الايام الاول ص ١٢ ى ١٩

(٧) الملوك الثانى ص ١٩ ى ٧

(٨) قضاة ص ١٤ وص ١٥ وشموئيل الاول ص ١١ ى ٦ ..

(٩) تكوين ص ٤١ ى ٣٨ ودنيال ص ٤ وشموئيل الاول ص ١٠ وص ١٩ والعدد ص ١١ والملوك الثانى ص ٢ وهوشيع ص٩ وميخا ص ٣ وأشعيا ص ٦١ وزكريا ص ٧ وعدد ص ١١ وأشعيا ص ٣٢ ويوئيل ص ٣

(١٠) شموئيل الاول ص ١٦ واشعيا ص ٢٩

(١١) الملوك الاول ص ٢٢

والنجاسة والخيانة الجنيسة مثل الزنا والنوم العميق والفناء(١) .

ويعتقد الإنسان أحياناً بمادية الروح فهي قد تسكب كما يسكب السائل(٢) لذلك فهو يؤمن بانتقال الروح وقد تنتقل عن طريق اليد(٣) أو ملامسة أي شيء يرتديه الإنسان أو يلمسه أما الأعمال التي تقوم بها الروح فوقتية فالروح تزور النبي من وقت لآخر كذلك الحال مع الروح الشريرة وشاؤل وقد استغل بعض الأفراد الذين يصلحون للوساطة الروحية هذه الهبة وسموا عن مستوى الفرد العادي خلقاً وإبداعا(٤) فنسبت للروح آثار عقلية تحدثها في الفرد ومن ثم تطورت إلى القيام بالآثار الدينية روحية أو روحانية وهذه الأعمال التي تأتي بها الروح تسر الله وترضيه(٥) لذلك سعى الإنسان إلى الله متوسلا أن يمنحه روحا طيبة(٦) .

ولا تكتفي الروح بهذه الأعمال التي تؤديها بل تظهر في الإنسان كمركز للشعور(٧) وهكذا أصبحت الروح تدريجياً جزءاً من الإنسان كما نتبين هذا من أقوال واردة في سفر حزقيئيل(٨) حيث يدور الحديث عن أنبياء يسيرون وراء أرواحهم لا وراء وحي الله . وهكذا كلما تقدم الإنسان وأصبحت الروح جزءاً هاما في تكوينه الجسماني تضاءلت الفوارق بين الروح

(١) قضاة ص ٩ وأشعيا ص ٣٧ والملوك الثاني ص ١٩ عدد ص ٥ وزكريا ص ١٣ وهوشيع ص ٤ — ٥

(٢) أشعيا ص ٢٩ وص ٣٢ وحزقيئيل ص ٣٩ ويوئيل ص ٣ وزكريا ص ١٢

(٣) شموئيل الاول ص ١٠ وعدد ص ٢٧ وتثنية ص ٣٤ شموئيل الاول ص١٦

(٤) خروج ص ٢٨ وص ٣١ وص ٣٥

(٥) العدد ص ١٤ وحزقيئيل ص ١١ وص ٣٦ ومزمور ١٤٣

(٦) أشعيا ص ٦٣ ى ١٠ — ١١

(٧) تكوين ص ٤١ وخروج ص ٦ وص ٣٥ وأخبار الايام الاول ص ٥

(٨) حزقيئيل ص ١٣ وص ١٨

والنفس وأصبح الإنسان ينظر إلى الإثنتين كشيء واحد يقابل الجسد المادى وأخذ الإسرائيلى يفهم الروح فهماً جديداً متأثراً بالهللينية وأصبحنا نقرأ عن « روح القدس[١] وعبارات مثل » روح القدس يتكلم أو ينادى .

الأرواح والملائكة والجن

بالرغم من العصور الطويلة التى قطعتها العقيدة الإسرائيلية فما زلنا نقرأ فى العهد القديم كثيراً من الأخبار المتصلة بالأرواح والملائكة والجن وفى أسلوب ينم عن احتفاظ الإسرائيلية بكثير من العقائد البدائية التى تركتها الديانات السماوية الأخرى فنحن ما زلنا نقرأ فى العهد القديم الخرافة إلى جانب الحقيقة كما نجد الصراع محتدما بين عالمى الالهة والأرواح وكل يحاول الانتصار على الآخر أو المساواة به على الأقل وهذا الكفاح بين العالمين من السهل تاريخه فى الإسرائيلية القديمة واليهودية الحديثة والمسيحية الأولى

فالعهد القديم يحدثنا عن أرواح تضرب البشر[٢] ونستطيع أن نميز بين أنواع مختلفة من الارواح[٣] .

١ ـ الكروبيم وغالبا ما نجد هذا اللفظ فى حالة التثنية أو الجمع وقد أرسلهم الله ملائكة كما أنهم يبدون وكأنهم على اتصال مباشر بيهوه فى السماء أو فى المعبد . أما كروبيم الفردوس فهم أصحاب أجنحة مثل الطيور ويركبون كما تركب الدواب « ركب على كروب وطار وهف على أجنحة الرياح »[٤] وقد زينت حيطان معبد أورشليم وستائره بصورهم كما نجدهم على هيئة تماثيل من الخشب أو المعدن وفى قدس من الأقداس أو على تابوت العهد[٥] .

---

(١) أشعيا ص ٦٣ ومزمور ٥١ ودنيال ص ٤
(٢) شموئيل الاول ص ١٦
(٣) تكوين ص ٣٤
(٤) مزمور ص ١٨ ى ١٠ وحزقيئيل ص ١ وص ١٠ وص ١١
(٥) خروج ص ٢٥ والملوك الأول ص ٨ ى ٦

أما فكرة الكروبيم فليست اسرائيلية بل بابلية اشورية وقد جاءتنا فى كثير من الآثار البابلية الأشورية وعرضت لهم الديانة البابلية ووصفتهم بهذه الصفات التى نجدهم عليها فى العهد القديم[1] .

٢ - ال « ساروفيم » وهى كائنات خليط من الحيات وكائنات أخرى فنحن نجد الحية النحاسية لموسى[2] تصير عصا وكانت قائمة فى معبد أورشليم وتخلص منها المعبد أيام حزقيا[3] وبالرغم من أن حية موسى لا أجنحة لها إلا أن الحية المجنحة أكثر وروداً فى العهد القديم[4] . وهذه الكائنات كما تظهر فى رؤى أشعيا[5] لها أيدى آدمية وأرجل . وكما أن هذه الأرواح فى أشعيا[6] تغنى كذلك حية الفردوس فهى كأن يتكلم[7] ويرجح أن هذه الكائنات دخلت الديانة الإسرائيلية عن طريق « الفرس أو المصريين .

٣ - ال « سعيريم » أرواح توجد فى الحقول على شكل التيوس[8] .

٤ - « عزازيل » وهو جن الصحراء وكثيراً ما يستخدم فى طقوس التفكير عن الخطايا فيرسل إليه التيس المحمل بالخطاة وهو يخالف الله ويعارضه[9] .

٥ - « شديم » وهم عفاريت الظهيرة والواحد منهم يشبه الطاعون كما أنه

(١) مزمور ١٨ ى ١١ ومزمور ١٠٤ ى ٣ وحزقيئيل ص ١ وتكوين ص ٣
(٢) عدد ص ٢١ ى ٦
(٣) الملوك الثانى ص ١٨
(٤) أشعيا ص ٦ وص ١٤ وص ٣٠
(٥) أشعيا ص ٦
(٦) تكوين ص ٣
(٧) أشعيا ص ١٣ وص ٣٤
(٨) تثنية ص ١٦ ى ٨..
(٩) تثنية ص ٣٢ ى ١٧ ومزمور ٦ ١ ى ٣٧ (الترجمة السبعينية مزمور ٩١ وشموئيل الثانى ص ٢٤ وخروج ص ١٢)

يزعج الناس ليلا[١] .

٦ — « ليليث » العفريته الوحيدة التى جاء ذكرها فى العهد القديم وهى تقيم فى الخرائب[٢] .

٧ — « أوب » جان موكل بمعرفة المستقبل ومع الموتى ويناديه الساحر عند السحر وقد تطور لفظ «أوب» حتى أطلق فيما بعد على الساحر نفسه[٣]

٨ — « أرواح أخـــرى لانعرف أسماءها وإن كنا نعرف مواضعها وأماكن إقامتها مثل أعتاب الأبواب لذلك يقدم القوم قرابين عند تشييد المنازل وبخاصة عند وضع الأعتاب أو بناء الأفران[٤] .

٩ — « ملاك يهوه » وهو غير الأرواح القائمة حوله[٥] .

أما موقف الديانة الإسرائيليةمن جميع هذه الأرواحفيختلف باختلاف العصور فقبل السبي ، كان موقفها من الأرواح والملائكة والجن موقفا مزدوجا فهذه جميعها وثنية وحرمت طقوسها كما كانت تعتبر كائنات تافهة لا قيمة لها ومن ناحية أخرى نجدها متغلغلة فى العقيدة حتى هددتها وبخاصة الكروبيم والساروفيم . ثم ظهر فى اليهودية اتجاه جديد لامتصاص عقائد الأرواح والملائكة والجن ومزجها مزجا تاما بالعقيدة اليهودية التوحيدية مع الاعتراف بأن جميع هذه الكائنات عدا يهوه عبارة عن وسيلة فقط ونحن نستطيع إدراك هذا الاتجاه إذا علمنا أن اليهودية مجدت يهوه على أنه الواحد الأحد الذى لا يُرىَ والذى هو فوق كل شيء هذا الواحد الذى لا يُرىَ اضطر الإنسان إلى ابتغاء الوسيلة للوساطة بينهوبين يهوه هذا الإلـه

(١) أشعيا ص ٣٤ ى ١٤

(٢) لاويون ص ٢٠ ى ١٧ وشموئيلالاول ص ٢٨ وأشعيا ص٢٩ وتثنيةص ١٨ ولاويون ص ١٩و٢٠

(٣) شموئيل الاول ص ٥ وأشعيا ص ٦ والملوك الاول ١٦

(٤) تكوين ص ١٦ وص ٣١ وص ٤٨ وخروج ص ٣ وعدد ص٢٢ وقضاة ص٦

(٥) قضاة ٦ ى ١١ .

القاصى البعيد الذى لاتراه العيون ولا تدنو منه الكائنات ولتكن هذه الوسيلة ملاك من هذه الملائكة . ولعل هذه الظاهرة الجديدة أعنى ظاهرة الوسيلة وجدت طريقها إلى اليهودية عن طريق البابلية أولا والفارسية ثانياً إذ أن الديانتين تعترفان بالوسيلة وأن كانت اليهودية قد صبغت ما استعارته عن الدينين بصبغتها اليهودية الخاصة .

والإيمان بهذه الكائنات اضطر المؤمنين إلى الاعتقاد فى أن العالم العلوى موطن لهذه الكائنات العديدة[١] وكما أننا على الأرض نجد مختلف الطبقات من البشر كذلك الحال فى السماء فالملائكة درجات[٢] فعلى رأس الملائكة نجد أربعة أو سبعة[٣] وإلى جانب السبعة نجد رواية أخرى تقول ستة[٤] وإختلاف العدد يعلل اختلاف المصادر التى أخذت عنها اليهودية هذه العقيدة أما كبار الملائكة فلهم أسماء مختلفة مثل جبرائيل وميكائيل وروفائيل . . .

أما وظائف الملائكة وأعمالهم فهى :

١ — خدمة الله ورسله فهم يجتمعون كزعماء للقديسين الأبرار عند عرشه لتنفيذ أوامره[٥] كما يقومون على حراسة القصر ليلا ونهارا[٦] ولما يخرج الله يسيرون فى حاشيته وهم يسبحون لله ويصلون له[٧] .

٢ — وعند اتصال الملائكة بالظواهر الطبيعية تظهر عليهم طبيعتهم الجنية إذ نجد أرواحا للريح والعاصفه والنار والبرق والبرد والثلج[٨] ومن

---

(١) حانوخ ص ٤٠ وأنجيل مرقس ص ٥ ى ٩ (حانوخ أحد الشخصيات الكبرى بعد العهد القديم وبخاصة فى التصوف اليهودى أما سفره فيعتبر من كتابات البسيدابيجرافى وقد جاء كاملا فى الترجمة الحبشية وهو يقع فى ٩٣ أصحاحاً) .

(٢) حانوخ ص ٦١ ى ١٠

(٣) طوبيا ص ١٢ ى ١٥ ورؤيا يوحنا ص ١ ى ٤

(٤) حانوخ ص ٢٠

(٥) حانوخ ص ١٤

(٦) حانوخ ص ٤٠ وص ٧١

(٧) حانوخ ص ٧١ ى ١٣

(٨) حانوخ ص ٦٠ وص ٦٥

هنا نرى هذه الطبيعة وأثرها فيهم فهم كائنات نورانية وعناصر شمسية أو نجوم[١] وهم لا ينامون ولا يأكلون ولا يشربون[٢] ولا يرتاحون[٣] وقد يبدون مثل البشر أحيانا[٤] وغالبا ماتكون لهم أجنحة[٥] . أما ثيابهم فمن النور الساطع[٦] وعيونهم تضيء ومن أفواههم تخرج نار .

٣ — الملائكة رسل الله إلى البشر كما يحملون صلوات البشر إلى الله مباشرة أو عن طريق كبار الملائكة وهم ليسوا فقط وسيلة بل شفعاء للبشر أحيانا لوصفهم الاستشارى فى السماء(٧) .

٤ — والملائكة إلى جانب كونهم وسيلة فهم أيضاً حماة البشر(٨) وكما يوجد جن صالح وآخر طالح كذلك الحال مع الملائكة إذ يوجد بينهم الأخيار والأشرار وبين الأخيار والأشرار نجد الدرجات المتفاوتة فى الخير أو الشر أما الشياطين فنجدهم فى العقيدة الإسرائيلية يلعبون دوراً خطيراً كما أن العهد القديم يفيض كثيراً بالحديث عنهم كما أن لفظ « شيطان » يدل فى العبرية على كثير من المعانى البغيضة إلى النفس . فالشيطان هو العدو اللدود والدساس والخائن والذى يقود إلى التهلكة . وقد ذكره سفر زكريا(٩) على أنه كائن غير بشرى وهو كائن بغيض إلى النفس حتى أن كبير الكهنة يريد أن يشكوه إلى الله يوم الفصل إلا أن ملاك يهوه يحول دون تحقيق

---

(١) حانوخ ص ١٨
(٢) حانوخ ص ٣٩
(٣) أنجيل مرقس ص ١٢ ى ٢٥
(٤) دنيال ص ٨ وحانوخ ص ٨٧
(٥) حانوخ ص ٦١
(٦) حانوخ ص ٧١
(٧) حانوخ ص ٩ وص ٦٢ ودنيال ص ٤
(٨) حانوخ ص ٤٠
(٩) زكريا ص ٣

هذه الرغبة . وفى سفر أيوب نجد للشيطان صورة واضحة وحتى هنا نجده أيضاً مع الله عندما يجتمع إليه أتباعه وهنا حتى فى هذا الاجتماع نجد الشيطان يشكو من البشر « فقال الله للشيطان هل جعلت قلبك على عبدى أيوب لأنه ليس مثله رجل كامل فى الأرض يتق الله ويبتعد عن الشر فأجاب الشيطان الله هل مجانا يتق أيوب الله ألم تسيج حوله وحول بيته وكل ممتلكاته باركت أعمال يديه فكثرت مواشيه فى الأرض(١) » ؟ .. ووظيفة الشيطان الطواف فى الأرض والتجسس على البشر ومن ثم يعود إلى الله ويخبره بكل ما وقع منهم ومن صفاته أنه لا يؤمن بطبيعة خيرة للإنسان ويسره جداً تضليل الناس وإيقاعهم فى الخطايا وفى نفس الوقت أمده الله بسلطان يمكنه من الايقاع بالبشر فى شراكه وللشيطان سلطان قوى جداً فهو يأتى بالمصائب دون أن يتنبه لها الانسان من قبل فالانسان الذى تنزل به مصيبة يعتقد أن الشيطان شكاه إلى الله .

وفى أخبار الأيام الأول نقرأ خبرا مفاده « ووقف الشيطان ضد اسرائيل وأغوى داود ليحصى اسرائيل فقال داود ليوآب ولرؤساء الشعب اذهبوا وعدوا اسرائيل من بئر شبع الى دان وأتوا الى فاعلم عددهم »(٢) ويعاد ذكر هذا الخبر فى شموئيل الثانى لكن عوضا عن ذكر لفظ « الشيطان » نجد « يهوه » كما لو أن الشيطان يرادف « يهوه » وهذا يشير أن العقيدة قديما قالت أن « يهوه » كان يقوم بوظيفة الشيطان « وعاد فحمى غضب يهوه على اسرائيل فاهاج عليهم داود قائلا امض واحص اسرائيل ويهوذا فقال الملك ليوآب رئيس الجيش الذى عنده طف فى جميع أسباط اسرائيل من دان الى بئر شبع وعدو الشعب فاعلم عدد الشعب »(٣) .

---

(١) سفر أيوب ص ١ والتوراة الهيروغليفية سفر أيوب
(٢) أخبار الأيام الأول ص ٢١
(٣) شموئيل الثانى ص ٢٤

فهذه الصورة التي جاءتنا عن الشيطان فى المواضع المختلفة بالعهد القديم تشير ولا شك على أنه المدعى وليس عدوا لله فربما تكون فكرة الشيطان هذه قد وجدت طريقها إلى العقيدة الاسرائيلية عن طريق البابليين حيث يعتقد أن لكل فرد حاميا يحميه من الشر .

وفى اليهودية المتأخرة والمسيحية نجد شخصية الشيطان تتطور تطورا بعيداً فالشيطان هنا له ملكوت وسلطان(١) بل ويذهب العهد الجديد بعيداً فنجد متى يذكر فى إنجيله أن للشيطان ملائكة(٢) وله أعوانه من الأرواح الشريرة فهو مسبب الأمراض والموت والشيطان هو زعيم المضللين

الفرائض الدينية

تختلف هذه الفرائض باختلاف الفرق الدينية الإسرائيلية الثلاث سواء كانت تلك الفرائض مكتوبة أومروية فالسامرين مثلا لايؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة فقط أعنى التوراه فى معناها العمرى لا العربى والقراءون لايقدسون إلا العهد القديم بأقسامه الثلاثة التوراة والأنبياء والكتب أو الصحف المقدسة . أما الربانيون وهم الذين يكونون الكثرة المطلقة من اليهود يؤمنون علاوة على العهد القديم المكتوب بكتاب آخر جاءهم مروياً متوتراً الا وهو التلمود .

العهد القديم (تناخ)(٣)

عبارة عن مجموعة أسفار رجال المجمع الأكبر الذى تأسس عقب العودة من السبي البابلى وكان مؤلفاً من مائة وعشرين عضواً ينظرون فى شئون

---

(١) أنجيل مرقس ص ٣ ى ٢٢ ...

(٢) أنجيل متى ص ٢٥ ى ٤١ ولوقا ص ١٣ ى ١٦ ويوحنا ص ٨ ى ٤٤ وأنجيل متى ص ٤ ى ١ ومرقس ص ٣ ى ٢٢ ويوحنا ص ١٢ ى ٣١ وكرنثوس لأولى ص ٥ ى ٥ والثانية ص ١٢ ى ٧ وكرنثوس الأولى ص ١٠ ى ١٠ ورسالة العبرانيين ص ٢ ى ١٤ وكورنثوس الثانية ص ١١ ى ١٤ ومرقس ص ٤ ى ١٥ و ...

(٣) التوراة الهيروغليفية المؤلف

الشعب فوضعوا الصلوات اليومية المتبعة إلى اليوم تقريباً وكان من عزرا ونحميا وزروبابل ودنيال وحجاى وزكريا وملاكى ومردوخاى وغيرهم .

وقدجمع هذا الكتاب منذعهد عزرا الكاتب ويعرف بالأربعة والعشرين سفراً والحقيقة أن مجموع أسفاره تسعة وثلاثون غير أنهم يحسبون كل سفر مزدوج مثل شموئيل والملوك والأخبار سفراً واحداً وعزراً ونحميا وأسفار الأنبياء الأثنى عشر سفراً واحـــداً فيكون مجموعها أربعة وعشرين سفراً .

أما لفظ « تناخ » فمأخوذ من أول حرف من أسماء الأقسام الثلاثة . والتوراة تحتوى على تاريخ الإسرائيليين حتى عام ٢٤٠ ق م. فقط .

وبعد السبي البابلى واندماج اليهود مع البابليين قل استعمال اللغة العبرية تدريجياً بين الشعب كلغة قومية وإن ظلت لغة مقدسة وأوشكت على الزوال حتى أن اليهود حوالى القرن الثانى ق. م. احتاجوا إلى تراجم لقراءة الصلوات وتأدية الطقوس فى السبوت والأعياد وحلت محلها اللغة الأرامية فظهرت تراجم للعهد القديم فى لغات مختلفة أهمها الآرامية (الترجوم) ترجمة أو نقلوس وهو الترجوم البابلى ثم الترجوم الأورشلمى وترجوم يوناثان بن عزئيل وترجمة الحاخام (الرب) يوسف .

وفى اليونانية الترجمة السبعينية وقد قام بترجمتها فى الاسكندرية فى عهد بطلميوس فيلادلفوس (٢٨٥ - ٢٤٧) ق. م. سبعون عالما من اليهود قضوا فى ترجمتها سبعين يوماً (؟) ثم ترجمة (اخيلاس) المتهود فى عهد (أدريان) (١٣٨ - ١١٧) ق. م. ثم ترجمة تيودوثيون وسيماخوس فى أواخر القرن الثانى ق. م. ثم إلى اليونانية الحديثة .

وفى اللاتينية (الفولجاتا) وفى السريانية (بشيطا) وفى العربية ترجمة العلاقة سعدياً الفيومى حوالى عام ٩٤٢م وهلما جرا .

التـــوراة

وتعرف أيضاً بالشريعة أو شريعة موسى وهى تحتوى على الشرائع والقوانين والطقوس والوصايا التى أوصى الله بها على يد موسى ، وعلى أخبار تاريخية لبنى إسرائيل وتتألف التوراة من خمسة أسفار معروفة باسم أسفار موسى الخمسة وهى : تكوين . خروج . لاويين . عدد . تثنية .

التكوين

أو البدء حسب النص العبرى وهو مأخوذ من أول كلمة فيه حسب عادة كتاب اليهود غالباً ومعناها فى البدء وقد سمى فى العربية (تكوين) لأنه اهتم بوصف الخليقة فى البدء ويشمل أخبار أصل الشعب الإسرائيلى إلى الخروج من مصر وتسلسل الجنس البشرى ونوح والطوفان ودعوة ابراهيم وامتحانه بتقريب إسحاق(١) ابنه الوحيد وحياة الآباء إسحاق ويعقوب والأسباط الأثنى عشر وقصة يوسف ودخول يعقوب وأولاده مصر .

سفر الخروج

أو الأسماء حسب النص العبرى وهو يروى اقامة إسرائيل فى مصر نحو مائتى سنة وميلاد موسى وتجلى يهوه له فى العليقه ودعوته وخروج بنى إسرائيل وعبورهم البحر الأحمر واطعامهم المن والسلوى ونزول الوصايا العشر ثم التوراة فى جبل سيناء وقصة عبادة العجل .

سفر اللاويين

أو فى العبرية و « دعا » و « يقرأ » وهو يحدثنا عن واجبات اللاويين والكهنة فى خيمة الاجتماع وفى بيت القدس أثناء العبادة وعن القرابين التى كانوا يقدمونها وعن المأكولات المحرمة والمحللة وعن النجاسة والطهارة وعن داء البرص وعن أيام العطلة فى السبوت والأعياد وعن القداسة .

---

(١) هكذا فى العهد القديم أما القرآن الكريم فيذكر إسماعيل

سفر العدد

وفى العبرية « بمدبر » أى فى البرية وفيه ذكر تعداد رؤساء الشعب وحاملى السلاح من العشرين سنة فصاعدا لخدمة خيمة الاجتماع كما يخبرنا عن تذمر الشعب والتجسس عن أرض كنعان وحادث قورح وجماعته وسقوطهم فى أعماق الأرض ووفاة هرون الكاهن الأعظم أخى موسى وبلعام وبنحاس الغيور ورحلات الشعب فى البرية مدة أربعين عاما بعد الخروج من مصر .

سفر التثنيـــة

أو فى العبرية « دبريم » ذكرت فيه عناية الله بشعبه وأقوال موسى فى الحوادث والأخبار الهامة والوصايا والفرائض والأحكام التى أوصى بها الله والانذارات ونشيد موسى وبركته للسعب ووفاته .

القسم الثاني

أسفار الانبياء

يتألف القسم الثانى من العهد القديم أعنى التناخ من واحد وعشرين سفراً منها ستة تعرف بأسفار الأنبياء الأولين . وتبحث أسفارهم فى تاريخ إسرائيل بعد وفاة موسى إلى خراب الهيكل وأورشليم وهذه الأسفار هى : يشوع قضاة شموئيل الأول والثانى والملوك الأول والثانى . (١٤٥١ — ٥٩٩)

سفر يشوع

سمى الكتاب باسم القائد يشوع بن نون وقد ذكر فيه احتلال بنى إسرائيل أرض كنعان بقيادته وتقسيم الأرض بين الاسباط وموت يشوع (١٤٥١ — ١٤٢٧ ق . م .) .

سفر القضاة

وقد سمى بهذا الاسم لذكره أسماء القضاة وتاريخ بنى إسرائيل فى عهدهم وانتصارهم على الفلسطينيين تحت زعامة هؤلاء القضاة وبلغ عددهم خمسة عشر قاضيا من عام ١٤٢٥ — ١٠٩٥ ق.م. وأولهم (عسنئيل) وآخرهم (شموئيل) على الفلسخينين وفى عهده قامت الملكية .

سفرا شموئيل

الأول والثانى جاء فيهما ذكر تأسيس المملكة اليهودية ومسح شاؤل ملكا ووفاته وقصة داود مع جوليات الفلسطينى الجبار مع الفلسطينيين ومدة السفرين من ١٠٩٥ — ١٠١٧ ق . م .

سفرا الملوك

إهتما بتاريخ بنى إسرائيل بعد شاؤل أعنى مدة ملك كل من داود وسليمان قبل إنقسام المملكة وبناء الهيكل فى أورشليم العاصمة ثم بعد إنقسامها إلى مملكتى يهوذا وإسرائيل وعاصمتها السامرة ومنها نشأت فرقة اليهود المعروفة باسم السامرين . كما نقرأ فى هذين السفرين خبر سقوط مملكة يهوذا على يد نبوخذ نبصر ملك بابل ابان حكم الملك صدقيا والسبي البابلى حوالى عام ٥٩٠ ق . م . وكذلك سقوط مملكة إسرائيل على يد سرجون ملك أشور مدة حكم الملك (هوشيع) والسبى الاشورى عام ٧٢١ ق . م .

أسفار الأنبياء الآخرين

مجموعة من النبوات والمواعظ والقصص وعددها خمسة عشر سفرا منها ثلاثة لانبياء عظام وهم أشعيا وأرميا وحزقيئيل واثنا عشر لصغار الأنبياء وهم « هوشيع . يوئيل . عاموس . عوبديا . يونان . ميخا . ناحوم صفنيا . حجاى . زكريا وملاكى .

القسم الثالث

الكتب أو الصحف

تعنى بالحكم والأمثال والمزامير والأخبار التاريخية الخاصة باليهود بعد خراب الهيكل وعدد هذه الكتب أو الصحف سبعة كبيرة ألا وهى المزامير الأمثال . أيوب . دنيال . عزرا . نحميا . أخبار الأيام الأول والثانى وخمسة صغيرة وهى روث . نشيد الأناشيد . الجامعة المراثى واستير .

المزامـــير

ويسمى بالعبرية « تهليم » جمع «تهلة» أى ترنيمة شكر ويشتمل هذا السفر على مائة وخمسين مزموراً منها ثلاثة وسبعون لداود وإثنا عشر لاساف وعشرة لبنى قورح واثنان لسليمان ومزمور لموسى ومزمور لايثان ومزمور لهيمان . ونسبت الترجمة السبعينية تسعين مزموراً آخر إلى داود .

وتقسم هذه المزامير عامة إلى أربعه أقسام رئيسية : -

١ - تراتيل وأغانى روحية وشكر وتسابيح لله .

٢ ندم وتوبة عن المعاصى والذنوب .

٣ - نصائح وعظات وإنذارات للحياة الدنيوية .

٤ - مزامير ملكية شعرية رقيقة

وكانت هذه المزامير ترتل قديماً على الآلات الموسيقية فى الصلوات .

سفر الأمثـال

ينسب إلى سليمان الملك وفيه أمثال تتصل بالحياة اليومية وأخرى تتصل

بالحكم وثالثة بآداب اللياقة . ويدعو الكتاب إلى العدالة والأمانة والحق والإصلاح والرافة والتسامح .

سفر أيوب

ديوان شعر يحدثنا عن حياة أيوب الصالح وصبره على المصائب التى ابتلاه الله بها ويختلف اليهود أنفسهم حول مؤلفه فمن العلماء من يعتقد أن صاحبه أحد مستشارى الفرعون رعمسيس الثانى وآخرون يعتقدون أن السفر كما وصلنا مترجم عن العربية والسفر يعلمنا الصبر والإستسلام لقضاء الله بلا تذمر كما يشتهر السفر بعرض فكرة الثواب والعقاب وفيه جاءت العبارة الشهيرة « الله أعطى والله أخذ ليكن اسم الله مباركاً »

نشيد الاناشيد

اغانى الافراح والزفاف الشعبيه ويحاول بعض رجال الدين نسبتها الى سليمان ليكسبها شيئا من التقدير وافساح المكان لها فى العهد القديم ومن العلماء من قال إن النشيد غزل بين الله وإسرائيل او بين الله والكنيسه ولاشك فى ان مثل هذه الاراء لاتجد من يؤمن بها اليوم .

روث

قصة تاريخية وقعت فى عصر القسضاة خاصة باسرة اليمالك الذى توفى هو وابناه وعادت زوجه ناعومى فرافقتها كنتها روث وتزوجت بوعز وولدت له عوبيد وولد لعوبيد يسى والد داود . ويلاحظ ان روث هذه لم تكن اسرائيلية بل موابية اجنبية.

مراثى ارميا

وفى العبريه « ايخا » وهى تنسب إلى النبى ارميا يرثى بها الشعب الاسرائيلى لخراب بيت المقدس الاول واورشليم عام ٥٨٦ ق . م. وسبى بنى اسرائيل

وتشتيتهم والمراثي عبارة عن خمس قصائد شعرية مرتبة حسب الحروف الابجدية وفى عبارات حزينة تصف الشعب واورشليم بعد السبي وتنتهى بالتوبة والصلاة والتوسل الى الله تعالى لكى يرد شعبه الى حالته الاولى كما كان قائلا اردد نا يارب اليك فترتد ايامنا كما كانت قديما :

سفر الجامعة

وهو ينسب أيضاً إلى سليمان وهو عبارة عن آراء فلسفية وتجارب ويبدأ بعبارة « باطل الأباطيل » .

سفر أستير

يتحدث عن خلاص بنى إسرائيل بواسطة إستير من هامان وزير الملك أحشوروش الذى أراد مقاومة اليهود ومعاقبتهم فى بلاد مادى وفارس وقد نجح فى الحصول على موافقة الملك بالتخلص منهم ويذكر لنا هذا السفر كيف أن مردوخاى عم إستير اكتشف مؤامرة لقتل الملك ونجاته على يد مردوخاى كما نقرأ عن الدور الذى قامت به إستير وحيلتها لصالح اليهود وأفلاتهم من العقاب (٥٢١ — ٤٩٥ ق . م) ويعيد اليهود حتى يومنا هذا عيد الفوريم (من كلمة فور = إستخارة) .

سفر دنيال

كتاب تاريخى يحدثنا عن سيرة هذا النبي وتعبده وتمسكه بدينه مع رفقائه الثلاثة (حننيا وميشائيل وعزريا) الذين كانوا معه فى السبي أيام نبوخذ نصر ملك بابل وقد رفضوا السجود للصنم الذهبي ونجوا من أتون النار وقد نجا دنيال مرة أخرى فى جب الأسود أيام داريوس .

سفر عزرا

كتاب تاريخى يحدثنا عن عودة بعض بنى اسرائيل من السبي البابلى

الى أورشليم واعادة بناء معبد أورشليم الثانى وسور المدينة بأمر كورش ملك الفرس .

سفر نحميا

تاريخى يعنى أيضاً بعودة اليهود من السبي واعادة بناء المعبد الثانى فى أورشليم وسور المدينة.

أخبار الأيام الأول والثانى

آخر سفر فى العهد القديم فى العبرية والأرامية حسب ترتيب عبارة « تناخ » أى التوراة والأنبياء والكتب وهو ترتيب يغاير مانجده فى سائر اللغات التى ترجم إليها العهد القديم وسفر أخبار الأيام هذا عبارة عن مختصر تاريخ مامضى من خليقه آدم حتى وفاة الملك داود (السفر الأول) ثم من عهد الملك سليمان حتى عودة بنى إسرائيل من السبي إلى أورشليم وبناء الهيكل الثانى .

الأبوكريفا

هى أسفار أخرى تعرف أيضاً بالأسفار الخارجية لأنها لا تدخل ضمن العهد القديم لذلك سميت أبوكريفا أى غير شرعية وهى أربعة عشر سفراً موجودة فى الترجمة اللاتينية نقلا عن الترجمة السبعينية وأشهرها سفر يهوديت وطوبيا ويشوع بن سيراح وباروخ وسفرا المكابيين وحانوخ واليوبيل وحكمة سليمان .

الله . إسرائيل . الدين

الله

هو خالق السموات والأرض وما فيها ، حى وقيوم هو الأول الأزلى والآخر السرمدى وهو أبو الجميع ملك أبدى(١) وهوموجود فى كل زمان ومكان وهو واحد أحد لم يلد ولم يولد يرى ولا يرى وهو الآمر والقادر والملك القدوس المهيمن العادل مدبر الكون لا شكل له ولا يتغير رؤوف رحيم بطىء الغضب كثير الإحسان هو إله الآلهة ورب الأرباب عظيم جبار نهانا عن الحلف باسمه باطلا .

الله موجود وقد ظهر لآباء اليهود الأولين وخصوصاً لإبراهيم ويعقوب وموسى وسائر الأنبياء .

إن نظام الكون يدل على أن له صانعاً وقال داود الملك بهذا الصدد السموات تتحدث فى مجد الله(٢) وقال أيضاً « أحمدوا للرب الصانع السموات بفهم والباسط الأرض على المياه والصانع أنوار عظيمة الشمس لحكم النهار والقمر والنجوم لأحكام الليل(٣) » وكذلك من الأدلة على وجود الله أن عقل الإنسان موجود غير منظور وعلاقته مع الإنسان كعلاقة الله مع الكون منه نستدل على وجود الله فالعقل ملك على الإنسان وحاكمه يدبر شئونه وهكذا هذا الكون العظيم يحتاج إلى ملك وحاكم يدبره لكل سبب أو علة لابد من مسبب أو فاعل لها أقدم منها كما أن لكل حركة محرك . الله لا تدركه

---

(١) أرميا ص ١

(٢) مزمور ١٩

(٣) مزمور ١٣٦

الكائنات المادية وتشخصه لأنه روح ولأن عقل البشر لا يمكنه أن يدرك أو يصف سوى الأجسام والأشياء المادية .

إن العهد القديم يستخدم أحياناً تعبيرات وأقوالا مثل « يد الله » و « عين الله » وكلها لاشك مجازية لسهولة إدراكها .

وحدانية الله

يقر العلماء والفلاسفة ما جاء فى العهد القديم خاصاً بوحدانية الله وإذا فرضنا وجود أكثر من إله واحد وإذا كان هذا الإله الواحد قادراً على خلق الكون فلماذا إذن الآلهة الأخرى وإذا كان الإله الواحد غير قادر فهو عاجز والعجز ليس من صفات الله وهذا يضطرنا إلى البحث عن إله غيره .

وإذا قلنا بتعدد الآلهة فهذه الآلهة أما أن تكون من جوهر واحد فإذن حسب أصول الذاتية المطلقة هم بعينهم واحد أو تكون الآلهة مختلفة الصفات الجوهرية فهم ليسوا آلهة لأن الإله يجب أن يكون مطلقاً وبسيطا وليس مركبا . والله كائن بدون أعراض أو صفات غير مشمولة فى الكائنات فالكثرة كمية فهى عرضية فإذن الكثرة لا يمكن أن تطلق على الله. والوحدانية هى التى بها الشىء يصير واحداً فالوحدانية إذن تسبق العدد الواحد لذلك فالإلهان يخبران عن وجود وحدانية سابقة. والله خالق البشر ومدبرهم وهو يعتنى بشعبه الذى اختاره[1] .

إسرائيل

يعتقد اليهودى أن الله اختار قديما بنى إسرائيل شعبه الخاص لكى يعلم البشر الوحدانية ويؤمنوا به أنه الإله الأوحد . واختار الله أولا إبراهيم ابا لليهود فكان أول من وحد الله على الأرض وأمره أن يترك أرضه ووعده

---

(١) تثنية ص ٣٢ ومزمور ٧٨و١٠٧

أنه سيجعله أمة عظيمة ويباركه ومن نسله تتبارك جميع الشعوب . ثم ظهر ليعقوب وأخبره بذلك أيضا وسمى شعبه إسرائيل ابنه البكر ثم ظهر بعد ذلك لبنى إسرائيل فى جبل سيناء وقال لهم « سيكونون له شعبا خاصا وأخص من شعوب الأرض وقال لتكن حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعوب ، واختاره الله ليعلم الشعوب عبادته وشريعته وقد فضله على بقية الشعوب بهذه الرسالة لأن آباء اليهود إبراهيم وإسحاق ويعقوب كانوا ممتازين بإيمانهم وصلاحهم وسط شعوب وثنية وأوصاهم الله بكل ما هو صالح وبالطهارة والقداسة ونهاهم عن كل ما هو غير صالح والنجاسة والمأكولات النجسة . وقد اعتنى الله بشعبه إسرائيل فى قوله « قسم الله شعبه إسرائيل ولاحظه وصانه كحدقة عينه[١] » مع أن الله اختار بنى إسرائيل يجب أن تذكر أنه يحب العالم وأن الجميع عباده .

والدين الإسرائيلى يعتمد على مواثيق وعقائد ووصايا وطقوس وأحكام تربط بين الناس وتنظم حياتهم .

المواثيق

الميثاق اتفاق بين اثنين ويثبت بالدم أو وليمة أو مصافحة أو قانون ، وقد عاهد الله البشر بعد الطوفان أعنى طوفان نوح أنه لن يرسل طوفانا آخر يخرب الأرض ووضع قوس قزح فى السحاب علامة ميثاق ثم عاهد بنى إسرائيل مرات كثيرة واختارهم شعبا له فتعاهد مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأوصى بالختان عهداً أبديا ثم عاهد اليهود وأوصاهم بوجوب حفظ السبت والأعياد كما أوصاهم بالوصايا العشر ولوحي العهد وتابوته الذى وضع فيه اللوحين الحجرين ثم عاهد بنى إسرائيل على لسان ارميا النبي أن يجعل توراته فى قلوب بنى إسرائيل وهذه الوعود والمواثيق من بين عقائد الدين الإسرائيلى ولذا دعى بنو إسرائيل بنى العهد .

---

(١) تثنية ص ٣٢

العقائد (أركان الدين)

وهى التى يأمر بها الدين ويصدقها بنوإسرائيل ويؤمنون بها وهى مقتبسة من العهد القديم والتلمود وقد جمع هذه المواثيق بعض رؤساء الدين الذين فسروا التوراة ووضعوها أساساً للدين حتى اليوم وقد اتخذت منها الأمة الإسرائيلية ثلاث عشرة عقيدة وضعها العلامة موسى بن ميمون ثانى الموسيين وهذه العقائد هى :

١ ـ أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه موجود وخالق ومدبر كافة المخلوقات وهو وحده صنع ويصنع كل الأعمال .

٢ ـ أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه وحيد وليس لوحدانيته مثيل على أى وجه كان وهو وحده آلهنا كان كائن ويكون

٣ ـ أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه ليس جسداً وهو منزه عن أعراض الجسد وليس له شكل مطلقاً .

٤ ـ أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه هو الأول وهو الآخر

٥ ـ أنا أؤمن إيماناً تاماً أن بهوحده تليق الصلاة والعبادة ولا تليق بغيره

٦ ـ أنا أؤمن إيماناً تاماً أن كل كلام الأنبياء حق .

٧ ـ أنا أؤمن إيماناً تاماً أن نبوءة سيدنا موسى عليه السلام كانت حقيقية وأنه كان أبا للأنبياء الذين قبله والذين بعده .

٨ ـ وأنا أؤمن إيماناً تاماً أن الشريعة الموجودة الآن بأيدنا هى المعطاة لسيدنا موسى عليه السلام .

٩ ـ أنا أؤمن إيماناً تاماً أن هذه الشريعة لا تتغير ولا تكون شريعة من لدن الخالق تبارك اسمه .

١٠ ـ أنا أؤمن إيماناً تاماً أنهو عالم بكل أعمال بنى البشر وأفكارهم .

١١ ـ أنا أؤمن ايماناً تاماً أنه يكافىء خيرا الذين يحفظون وصاياه ويعاقب الذين يخالفونها .

١٢ ـ أنا أؤمن ايماناً تاماً بمجىء المسيح ولو تأخر انى انتظر مجيئه .

١٣ ـ أنا أؤمن ايماناً تاماً أنه ستكون قيامة الأموات عندما تصدر ارادة من لدن الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره الى أبد الأبدين أى خلود الروح .

فالعقائد أربعة أنواع : ـ

الأول ـ من ١ ـ ٥ خاصة باعتقادنا فى الله .

الثانى ـ من ٦ ـ ٩ خاصة بالنبوات وكلام الله وشريعته

الثالث ـ من ١٠ ـ ١١ خاصة بمعاملة الله إيانا والثواب والعقاب .

الرابع ـ من ١٢ ـ ١٣ المسيح المنتظر لكى يخلص بنى اسرائيل من العذاب ويجمع شملهم وقد وضع أنبياء بنى اسرائيل امارات خاصة لمجىء المسيح بينما تحدث فى العقيدة الأخيرة عن البعث .

أما أمارات مجىء المسيح فهى : ـ

١ ـ اجتماع الأسباط العشرة وخضوعهم لملك واحد من بيت داود (حزقيئيل ص ٣٧) .

٢ ـ هزيمة شعبي يا جوج وماجوج (حزقيئيل ص ٣٨ ـ ٣٩) .

٣ ـ انشقاق جبل الزيتون (زكريا ص ١٤) .

٤ ـ جفاف وادى مصرايم (وادى العريش حالياً) (أشعيا ص ١١)

٥ ـ خروج ماء عذب فى اورشليم ومن بيت المقدس (حزقيئيل ص ٤٧ وزكريا ص ١٤)

٦ ـ التماس عشرة رجال من مختلف شعوب العالم من يهودى بالقبض على طرف ثوبه والذهاب معه لأنهم سمعوا أن الله مع اليهود (زكريا ص ٨)

٧ ـ هجرة سائر الشعوب الى اورشليم ليصلوا فيها لله (زكريا ص ٨)

٨ ـ حضور الشعوب أيام الراحة والأعياد للصلاة لله (زكريا ص ١٤)

٩ ـ القضاء على العبادات غير اليهودية لأنها عقيدة الأنبياء الكاذبين وروح النجاسة على الأرض (زكريا ص ١٣) .

١٠ — سيـــادة العقيدة اليهودية على العالم (أشعيا ص ٤٥ و ٥٢ . . وزكريا ص ٩ و ١٤) .

١١ — قيام دولة واحدة فى العالم إلا وهى دولة إسرائيل (العدد ٢٤ وأشعيا ٤٩ و٦٠ ودنيال ٧) .

١٢ — سيادة السلام والاستقرار فى العالم بعد حرب ياجوج وماجوج (أشعيا ٢ وميخا ٤ وهوشيع ٢ وزكريا ٩) .

١٣ — السلام يسود أرض إسرائيل حتى بين الحيوانات البرية والأليفة فالذئب والشاة يقيمان معا (أشعيا ١١ و ٦٥ وحزقيئيل ٢٤ وهوشيع ٣) .

١٤ — طهارة إسرائيل (تثنية ٢٠ وأرميا ٢ و ٥٠ وحزقيئيل ٣٦ وأشعيا ٦٠ . .)

١٥ — انتهاء الآلام والأحزان فى أرض إسرائيل (أشعيا ٦٥) .

١٦ — عودة حب الله والحكمة والمعرفة إلى إسرائيل (أشعيا ١١ وحزقيئيل ٢٧ و ٣٩ و ٤٣) .

١٧ — مجىء النبى إيليا (ملاخى ٤) .

١٨ — بناء معبد المستقبل حسب تخطيط حزقيئيل (٤٠ — ٤٥) .

١٩ — قيام الموتى (تثنية ٣٢ وأشعيا ٣٦ . .)

٢٠ — تقسيم فلسطين بين الأسباط الأثنى عشر (حزقيئيل ٤٧) .

العقيــــدة

إن حياة الإنسان على الأرض ليست إلا جزءاً يسيراً من وجوده الذى سوف يستمر فى العالم الآتى وتبقى أرواح البشر حية حياة لا نهاية لها وتعرف بالحياة الأبدية وهى الفردوس أو جنة عدن أو عالم الأرواح مسكن الصالحين بعد الموت وقد أشير إليها فى التوراة فى التكوين(١) وحزقيئيل(٢) وهى جنة عدن الأرضية(٣) كما جاء ذكرها فى الأبوكريفا(٤) .

وتذكر التناخ أن الروح خالدة أما الجسد فاصله تراب وإلى التراب يعود والروح تعود إلى الله . أما قيامة الأموات وخلود الروح فقد جاءت الإشارة إليها فى سفر الجامعة(٥) وشموئيل(٦) .

الوصـــايا

الوصايا التى أمر بها الله كثيرة جداً وهى تنقسم إلى أوامر تعرف فى العهد القديم باسم « وصايا أعمل » وأخرى « لا تعمل » وهى النواهى .

الوصايا العشر

قسم من شريعة موسى والعقائد والإيمان ثلاث منها من الأوامر وسبع من النواهى(٧) وكانت محفورة على لوحين حجريين يعرفان باسم لوحى العهد أو الشهادة . اللوح الواحد يشتمل على خمس وصايا تختص بالواجبات

---

(١) تكوين ص ٢و٣

(٢) حزقيئيل ص ٢٨ وص ٣١

(٣) أشعيا ص ٢٦ ى ٢ « إفتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة »

(٤) حانوخ ص ٢٢ — ٢٨

(٥) الجامعة ص ١٢

(٦) شموئيل الأولى ص ٢ وص ٢٥ وأشعيا ص ٢٦ « تحيا أمواتك ، تقوم الجثث إستيقظوا ترنموا ياسكان التراب .. » وأشعيا ص ٦٦ فترون وتفرح قلوبكم وتزهو عظامكم كالعشب » ومزمور ١٦ ودنيال ص ١٢

(٧) خروج ص ٢٠ وتثنيه ص ٥

الرئيسية نحو الله والوالدين . واللوح الثانى يشتمل على خمس وصايا تتصل بالواجبات الرئيسية تجاه الجار أو الأصدقاء . والوصايا هى :

١ — انا الرب آلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية

٢ — لاتكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض. لاتسجد لها ولا تعبدها لأنى انا الرب الهك اله غيور افتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى . واصنع إحسانا إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى .

٣ — لاتنطق باسم الرب الهك باطلا لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا .

٤ — اذكر يوم السبت لتقدسه ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت الرب الهك لاتصنع عملا ما أنت وأبنك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك لأن فى ستة أيام صنع الله السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع لذلك بارك الله يوم السبت وقدسه .

٥ — أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب الهك .

٦ — لاتقتل .

٧ — لا تزن .

٨ — لا تسرق .

٩ — لاتشهد على قريبك شهادة زورا .

١٠ — لاتشته بيت قريبك ، لاتشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك .

سن التكليف

هو السن الذى يصير فيه الإنسان مكلفا ومسئولا عن أعماله سواء أمام ربه أو أمام المجتمع وهذا السن هو ثلاثة عشر ويطلق على الشاب متى بلغ هذا السن « بار مصواه » أى « المكلف » كما يطالب الشاب المكلف بلبس الطليت والتفليم عند الصلاة .

التفليم أو التفلين

عبارة عن سيرين من الجلد بكل حافظة بداخلها رق مكتوب والعلبتان إحداهما فوق الذراع الأيسر مقابل القلب . أما العلبة الثانية فتلف حول الرأس فوق أعلى الجبهة على أن تكون العلبة فى الوسط مقابل المخ ويتلو المكلف البركة الآتية عند وضع حافظة الذراع « مبارك أنت يا الله الـهنا ملك العالم الذى قدسنا بوصاياه وأوصانا بوضع التفليم » .

وعند وضع حافظة الرأس يقول : « مبارك أنت يا الله آلهنا ملك العالم الذى قدسنا بوصاياه وأوصانا بوصية التفليم » ويراعى عند وضع التفليم أن يكون المكلف واقفا وألا يفصل بين التفليم والجسم فاصل وأن يلتزم الصمت وألا تغطى حافظة الرأس وقد تغطى حافظة الذراع .

الذبح

يشترط فى الذباح (شوحيط) أن يكون يهوديا متمسكا بتعاليم دينه ويشترط فيه ألا يكون كفيفا أو أصما او أبكما أو سكيراً أو صغيرا الا إذا أثبت الأخير أنه كفء للذبح الشرعى . ولا يجوز للذباح أن يذبح إلا بعد حصوله على ترخيص من الحاخام يثبت قدرته على الذبح الشرعى . والذبح

جائز فى أى مكان عدا الأنهار والبحار والأوعية المملوءة ماء والحفر . أما السكين فيجب أن يكون النصل ضعف زور الطائر أو الحيوان المراد ذبحه كما يجب أن يكون النصل حادا ولا عيب فيه أعنى خدشا أو كسرا أو ثلما ويجب على الذباح أن يفحصه بظفره كان يمر ظفره أو طرف أصبعه على النصل وجانبيه ذهابا وجيئة مرتين للتأكد من خلوه من أى ثلم .

والذباح مطالب قبل الذبح بتلاوة بركة الذبح « مبارك أنت يارب آلهنا ملك العالم الذى قدستنا بوصاياك وأوصيتنا بالذبح » والذبح لا يتم إلى فى الزور فى القصبة الهوائية والبلعوم وفى أول القصبة الهوائية توجد لوزتان وإذا ذبح الذباح بينهما فهذا حلال على أن يبقى على قليل بينهما فى أعلى الزور وإذا لم يبق على شيء منها وذبح فوقها فالذبيحة محرمة. ويستحسن دائما أن يكون الذبح فى وسط الزور وعلى الذباح قبل الذبح أن يتحسس القصبة الهوائية والبلعوم وأن يمسك بهما قبل الذبح بحيث يستطيع ذبحها قبل قطع الرقبة وإذا أخطأ الذباح ذبح القصبة والبلعوم أصبحت الذبيحه محرمة وعلى الذباح أن يفحص الطير قبل ذبحه للتأكد من أنه ليس مريضا فعند فحص الجناح يبدأ بالمفصل الأول ثم الثانى والثالث وهو القريب من جسم الطائر أعنى على بعد أقل من عرض الأصبع خرم ذبحه وأن كان بعيدا عن الجسم حلل ذبحه ولو وجد كسر فى المفصل الأول أو الثانى . أما ساق الطائر إن وجد بها كسر أسفل الركبة فحلال ذبحه وإن كان الكسر فوق الركبة فحرام. وتحرم وتذبح الطيور السليمة ولو لم تحرك فهى حلال أما المريضة والتى لا تستطيع الوقوف وتأكل كغيرها فيجب إذا ذبحت أن ترفرف وإلا فهى محرمة ويكتفى بالرفرفة ان يحرك الطير عينيه او ذيله . والذبح يجب ان يتم ذهابا وايابا وإذا ذبح ذهابا فقط فالذبيحة حلال اما اذا ذبحت إيابا فقط فهى حرام .

والذباح مطالب أيضا بمراعاة الأصول الآتية :

١ — عدم التوقف كأن يتوقف الذباح عن اتمام عمله بسبب خطأ غير

مقصود فاذا عاد الذباح أو غيره لاتمام الذبح اصبحت الذبيحة محرمة .

٢ — الضغط إذا ضغط الذباح بالسكين على الزور كما لو أنه يقطع شيئا ما أو كمن يضرب بسيف حرمت الذبيحة (وقد جرت العادة تحريم الذبيحة التى تقطع كل رقبتها ولو انها محللة) .

٣ — التغطية كان يغطى الريش او الشعر السكين فالذبيحة محرمة .

٤ — العقور : خلع او افلات القصبة الهوائية او البلعوم اذا انخلع احدهما قبل الذبح وذبح الثانى حرمت الذبيحة لكن اذا حدث الخلع بعد ذبح احدهما لم تحرم الذبيحة .

وبعد الذبح يجب على الذباح ان يوارى الدم التراب ويباركه « مبارك انت يارب الهنا ملك العالم الذى قدستنا بوصياك واوصيتنا على تغطية الدم بالتراب .

الحيـــض

إذا حاضت الانثى حرمت على زوجها فلا يجوز له الاقتراب منها حتى أبان الأسبوع الثانى لإنتهاء الحيض كما لا يجوز له أن ينام معها فى سرير واحد . فالانثى مطالبة إذا ما شعرت بأن سائلا يسيل منها الاستعانة بقطعة من القماش الأبيض لتتبين لون السائل فاذا ثبت أنه أحمر وأسود فهى لاتزال فى فترة الحيض أما إذا كان السائل أبيض اللون فهى طاهرة . كذلك الحال مع الأنثى الحامل بعد الشهر الثالث أو المرضع إذا ماسال دم منها فهى حائض . وإذا كانت المرأة تحيض بانتظام أى كل ثلاثين يوما أو ثمانية وعشرين فيجب على زوجها الابتعاد عنها فى اليوم أو الليلة المعينة طوال المدة المحددة لهامثل مجىء العادة تماما . وذلك لأن المرأة تعتبر نجسة إذا ما حان موعد الحيض ولو لم تشعر بعوارض الحيض لكن إذا فحصت نفسها ولم تجد أثر اللدم فهى طاهر . والحامل بعد ثلاثة أشهر والمرضع بعد سنتين من الوضع والعجوز

التى أنقضت عليها ثلاث فترات منذ آخر مرة جاءها الحيض ولم يظهر عليها أى أثر للحيض تعتبر كل منهن طاهره .

أما أيام النظافة فتبدأ فى اليوم الخامس إذا ما أنقطع الدم وأيام النظافة سبعة إبتداء من اليوم السادس من مجيء الحيض . ثم تبدأ الطهارة وقبل غروب الشمس لا بعده كان تستحم المرأة وتغسل الرحم جيـــداً ثم بعد الاستحمام تلبس ملابس بيضاء نظيفة وتغطى سريرها بملاءة بيضاء نظيفة وتضع قطعة من القماش أو القطن الأبيض فى بيت الرحم فإذا لم تشاهد أثراً للدم تبدأ بعد هذا اليوم أيام النظافة السبعة وعليها أن تفحص نفسها مرتين فى كل يوم من أيام النظافة السبعة مرة فى الصباح وأخرى قبل الغروب وبعد إتمام أيام النظافة تتوجه المرأة إلى المغطس وتجرى عملية الغسل والطهارة كالآتى : -

١ — تغطس فى مغطس طاهر أو نبع ماء .

٢ — يجب أن يتم الغطاس ليلا وبعد ظهور النجوم وإذا حال دون ذلك حائل تغطس فى اليوم الثامن نهاراً وتخفى ذلك عن زوجها حتى الليل .

٣ — قبل الغطاس تغ ل كل جسمها بماء ساخن وخاصة الأماكن المستورة من الجسم مثل تحت الأبطين والصرة والأنف والأذن كما يجب عليها أن تقص اظافر اليدين والرجلين وتغسل مابين الأصابع جيداً كما يجب عليها أن تغسل رأسها بماء ساخن وتمشط شعرها جيداً على الا تختلط شعرة بأخرى والا بطل الغطاس كما عليها أن تنظف أسنانها جيداً وتتجرد عند الغطاس من حليها .

٤ — غسيل الرأس قبل الغطاس لابد أن يتم نهاراً قبل غروب الشمس بقليل أو قبل ظهور النجوم ومن ثم تتوجه إلى المغطس ولا يجوز لها أن

تأكل أو تؤدى عملا قبل الغطاس ويحرم عليها أكل اللحم فى اليوم الذى تغطس فيه ليلا عدا يوم السبت فأكل اللحم مباح لها .

وفى المغطس يجب أن يغطى الماء كل جسمها وشعر رأسها واذا ظهرت شعرة فوق الماء تعتبر المرأة نجسة ويجب أن تغطس مرة اخرى . اما طريقة نزول المغطس فيجب الا تغطس وهى واقفة معتدلة أو جالسة كما لا تنحنى كثيرا بل تبدو وكأنها عجوز أحنى الدهر كاهلها ثم تغمض عينيها فى شىء من الرفق وتطبق شفتيها وتطلق يديها وساقيها فلا تقترب اليد من الأخرى أو الساق من الساق وبعد اتمام الغطاس تتلو « البركة » « مبارك أنت يارب الـهنا ملك العالم الذى قدسنا بوصاياه وأوصانا بالطهارة » .

أما طهارة المرأة الوالدة فتعد سبعة أيام بعد ولادة الولد وأربعة عشر يوما بعد ولادة البنت ثم تقضى سبعة أيام النظافة ثم المغطس كالمعتاد .

أما العروس فيجب عليها أن تلتزم اجراءات الطهارة من الحيض وأن لم تحض بعد اوكانت عجوزا وقطعت صلتها بالحيض فعلى العروس أن تفحص نفسها فاذا وجدت نفسها نظيفة تبدأ مراعاة ايام النظافة السبعة وبعد ذلك تغطس فى المغطس والأفضل ان يكون يوم الزفاف قريبا من يوم الغطاس ولا تتجاوز المدة بين الغطاس والزفاف أربعة أيام . وبعد نزول دم البكارة تبتعد عن زوجها ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع ليلا تأخذ العروس فى الاستعداد للطهارة ومن اليوم الثانى تمكث سبعة ايام نظيفة .

اعراض الحيض

تشعر المرأة قبل ميعاد الحيض بثلاثة أيام بالآتى :-

شىء من التعب فى فخذيها « وضيق فى الجزء الاسفل من الرحم كما تشعر

بالبرد حينا والدفء حينا آخر كما قد ينتابها أغماء ورعشة وصداع وضيق تنفس ويتغير لون وجهها ويظهر سواد حول عينيها وأحمرار فى وجهها ويزداد نبض القلب وأحيانا نلحظ تأثرا فى صوتها وعينيها .

كل هذه عوارض الدورة الأولى أما فى الدورة الثانية فيبدأ نزول دم لزجا كاللعاب .

والشريعة اليهودية تحرم تحديد النسل .

التلمود

إن مكانة التلمود فى العالم متناقضة بالرغم من شهرته ومكانته العالمية فمن من رجال الأديان لا يعرف التلمود ؟ ثم من هو الذى يعرفه ؟ أن التلمود يقدس ويحترم وينظر إليه على أنه وحى سماوى ومن ناحية أخرى يحارب ويقاوم ويحتقر وينظر إليه على أنه من وضع الشيطان . فأنصاره يعتبرونه نبع الفضيلة والمعرفة وخصومه ينظرون إليه وكأنه أصل الرذائل والنقائص وبالرغم من ذلك يندر أن نجد مؤلفاً لاهوتياً لا يعرض للتلمود وقد جاء مرة أن رجلا من بين رجال اللاهوت أمثال (هنريكوس سينسيس) .

ذكر عرضاً (الحاخام تلمود) ولا يدرى أنه إسم كتاب لا إسم حاخام.

وفى القرن العشرين تمكن العلماء من حل طلاسم الأكادية والمصرية القديمة وظل التلمود الأرض المجهولة لغير رجال الدين بالرغم من أن أعداء التلمود لم يتغلغلوا فى دراسته والإلمام بمحتوياته إلا أنهم بالرغم من ذلك يقاومون التلمود ويحتقرونه احتقاراً لم يوجه لكتاب غيره .

فنى عام ٥٥٣ م أعنى بعد الفراغ منه بزمن قصير قرر القيصر (يوستنيان) مصادرته ثم جاءت الكنيسة واقتفت أثر القيصر وكذلك الدولة قرابة ألف عام إذ نجد الكنيسة والدولة تتعقبانه مصادرة وحرقا وإتلافا إلا أن التلمود مثله مثل واضعيه وأنصاره عنيد قوى لا يستسلم بسهولة فقد ظل وما زال يقاوم حتى يومنا هذا بالرغم من تعاون القياصرة والباباوات ضده ومصادرته أكثر من مرة وإتلافه عدة مرات وهو اليوم كما كان فى أول عهده راسخ كالطود.

وفيما يتعلق بالكفاح المستمر بين التلمود وخصومه منذ ألف عام تقريباً أعنى منذ تأليفه حتى الشروع فى طبعه فقد تعرض لتسجيل هذه المساجلات

بين أعداء التلمود وأنصاره كثيرون من الباحثين وسنعرض لهم فيما بعد في شيء من التفصيل ونكتفي هنا بالإشارة العابرة .

إن محاولة طبع التلمود تبدأ بعام ١٤٨٤ م ففي ذلك العام ظهر أول فصل من فصول التلمود وهو الخاص بالبركات وقد طبع في (سونسينو) بأقليم لومبارديا ومن ثم اخذت تظهر فصول اخرى تباعا وذلك لأن احداً لم يجرؤ على طبع التلمود كاملا وذلك لوجود امر بابوى بمنع طبعه كاملا فضلا عن ان طبعه يتطلب اموالا كثيرة وقد تصادر الطبعة وتضيع جميع هذه المجهودات .

واذا تركنا الغرب الى الشرق وحيث توجد ايضاً مطابع عبرية فان احداً لم يجازف ويفكر في طبعه لأسباب مختلفة .

وفي عام ١٥٢٠ الغى البابا ليو العاشر (يوحنا فون مديكى)وقد اشتهر بتسامحه وتشجيعه للعلم والعلماء الأمر الخاص بحذر طبع التلمود ونشره وصرح البابا ليو العاشر بطبع التلمود ونشره فنجد الناشر (دنيال بومبرج) في البندقية يشرع في نشر التلمود مستعيناً بعدد كبير من العلماء والباحثين كما اهتم ايضاً بنشر بعض التفاسير التي كانت معروفة في عصره واستطاع هذا الناشر اخراج التلمود للضوء في فترة لم تتجاوز ثلاثة اعوام وبعد ثلاثة اعوام من صدوره ظهرت الطبعة الثانية ثم تلتها الثالثة وكانت جميع هذه الطبعات غاية في الاتقان بالرغم من عدم توفر وسائل النشر الضرورية من جمع وتصحيح وطبع وتغليف .

ثم ظهر منافس آخر لـ (بومبرج) الا وهو (ماركو انطونيو يوستنيان) وقد ساهم الأخير بقسط وافر في خدمة الآداب العبرية ونشرها في البندقية في الفترة مابين ١٥٤٦ — ١٥٥١ م حيث نشر طبعة أخرى للتلمود تمتاز في كثير من المواضع على طبعة بومبرج) .

وبعد ان ظهرت اربع طبعات للتلمود في منتصف القرن السادس عشر

وبتصريح من الفاتيكان ، عادت الحركة المعـادية للتلمود إلى الظهور ثانية فأصدر البابا (يوليوس الثالث) فى ١٠ أغسطس ١٥٥٣ قراراً تعدم بمقتضاه الطبعة الأنيقة المعروفة باسم (سبيونيتا) وتحرق سائر الطبعات الأخرى التى ظهرت وقد أعد فى روما فى سبتمبر ١٥٥٣ مـكان خاص للتلمود كذلك الحال فى ميلانو والبندقية ومدن أخرى كثيرة فى إيطاليا وهدفت هذه القرارات إلى التخلص نهائياً فى إيطاليا من التلمود .

وهكذا حذر طبع التلمود ونشره فى إيطاليا .

لكن حـــدث أن ظهرت طبعات أخرى فى بولنده (لوبلين) وتركيا (سالونيكا حوالى عام ١٥٦٣) وظهرت نسخه لوبلين حوالى عام ١٥٥٩ و .... وأخرى فى القسطنطينية حوالى عام ١٥٨٠ وفى عام ١٥٦٤ نجح اليهود فى الحصول على موافقة البابا (بيوس الرابع) على طبع التلمود على أن يخضع للرقابة والتى منعت حتى ذكر لفظ (تلمود) إلا أن هذه الموافقة سحبت والغيت بعد موت البابا مباشرة .

وظهرت فى بازل (١٥٧٨ — ١٥٨١) طبعة أخرى للتلمود تعتبر هى المرجع الأول والأصيل الذى تعتمد عليه سائر الطبعات المتأخرة المشحونة بالتصرف الحر الرقيب (ماركو مارينو) حيث عمل حذفاً وإضافة . أما الفصل الخاص بالعبادات غير اليهودية وهو الذى يعالج المعاملات بين اليهود وغيرهم فقد حذفه الرقيب نهائياً وقد أشار إلى هذه الواقعة (عمانوئيل دويتس) . فقال أن هذا الموظف المحترم خشى تعرض عقائد القوم المؤمنين إلى الخطر لذلك إعتقد الناس أن التلمود بعباراته التى تبدو بريئة يرمى إلى رمى المسيحية بأقبح السباب فإذا ماوجد مثلا أن رومانيا من أبناء القرون الغابرة أقسم بالـكابيتول أو المشترى فى روما فهذا التعبير يئول تأويلا سيئاً كأن يفهم مثلا أن هذا الرومانى لاينتمى إلى العصور الوثنية بل هو مسيحى وأن الـكابيتول يعنى به هنا « الفاتيكان » كما أن المشترى يرمز إلى

البابا لذلك كان الرقيب يحذف مثل هذه العبارات فهو يحذف كلمة روما ويستعيض عنها باسم بلد آخر لم يخطر على بال واضعه ويغلب أن أكثر البلاد قربا إلى عقلية الرقيب كانت « فارس » أو « آرام » أو « بابل » لذلك نجد الرومانى الوقور يحلف حتى اليوم بكابيتول إيران أو بمشترى آرام وبابل لكن إذا جاء ذكر كلمة « جوى = غير يهودى » إضطرب الرقيب وإستولى عليه الخوف فغير اليهودى (جوى) لن يكون غير المسيحى سواء يعيش فى الهند أو أثينا . فى روما أو كنعان وسواء كان غير اليهودى طيباً كما يرد كثيراً فى التلمود أو كان غير اليهودى رديئاً فالذى يعتمده هو الرقيب وحسب ظروفه الخاصة سواء كان مصريا أو كلدانياً أو عماليقيا أو عربيا أو زنجيا وأحياناً يطلق عليه اسم شعب بأكمله .

فهذا التغيير المقصود والذى لا يقيم وزنا للزمان أو المكان أو التاريخ يسبب كثيراً من الاضطهاد وذلك لأن بعض هذه التغييرات قد يدخلها يهودى يخشى من تعريض اليهود للاضطهاد والتعذيب .

ومن ذلك الحين أخذت تتوالى الطبعات المختلفة للتلمود وفى عدد من الدول الأوربية مثل بولنده وألمانيا والنمسا وهولنده وفرنسا وروسيا وتركيا ومختلف هذه الطبعات تعتمد عادة على طبعة (بازل) المضطربة ويحاول ناشر كل طبعة من هذه الطبعات أن يميز طبعته على الطبعات الأخرى بالتفسير أو الشرح إلا أن طبعة واحدة من بينها لم يحاول ناشرها تحقيق النص وتجنب المواضع التى تعرض لها الرقيب كما أن أحداً لم يجرؤ على توجيه عناية خاصة بالتلمود من حيث الزيادات أو الحذف أو الشروح والتفاسير وكل مانجده من تعليقات أو شروح فقد جاءنا فى نسخ الباحثين الخاصة .

وابان ذلك القرن ترجمت بعض المختارات على يد علماء متأخرين وقد نشرت مع ترجمتها أصولها الا أن أحداً لم يهتم بتصحيح النص أو مقابلته

بنسخة أخرى أقدم ولم تخضع للرقابة وأقوم نصاً فجميع هذه العوامل مجتمعة دفعت الباحثين الى وجوب اصدار طبعة أخرى علمية تعتمد وتهتم بنسخة (بومبرج) التى لم تراقب هـــذا بالإضافة الى النسخ الأخرى سواء كانت مخطوطة أو مطبوعة .

فنهض لتحقيق هذه الأمنية عدد من الباحثين أمثال (روفائيل ريبنوفيتش) الذى أعد طبعة للتلمود ظهر منها أبان حياته خمسة عشر جزءاً أما السادس عشر فقد رأى النور بعد وفاته . وفى هذه الطبعة لم يكتف الناشر بذكر الروايات المختلفة واستكمالها من مخطوطات التلمود والمحفوظة فى مكتبتى (ميونخ) وهى مخطوطات تختلف فى رواياتها أحياناً عن تلك التى تحت أيدينا وقد علق عليها الناشر تعليقات هامة معتمدة على مخطوطات أخرى وطبعات نادرة جداً قديمة ومصادر أخرى . فهذه الطبعة مفيدة جداً للباحث فى التلمود أو اللغوى علما بأن هذه الطبعة لم تقدم للباحث التلمود كاملا بل ثلثه فقط وحال موت الناشر دون اتمام عمله .

ولم يمض زمن طويل حتى عادت الرغبة الملحة إلى الباحثين فى وجوب التكاتف فى سبيل نشر طبعة علمية وافية للتلمود تسد هذا الفراغ الكبير فى مجال البحث العلمى وذلك بتحقيق النصوص والإستعانة بالمخطوطات والمنشورات والمقابلة بينها وتحقيقها ولا شك فى أن تحقيق هذه الرغبة يتطلب جهداً كبيراً لأن التفاضل بين النصوص من أشق ما يعترض الباحث المحقق من مشاكل والسبب فى ذلك أن التلمود لا يمكن تقييمـــه حسب الأصول اللغوية كما أن الشرط الأول يتطلبه التحقيق العلمى الملم الباحث بصحة النص والمامه بلغة عصره نحواً وصرفاً ، بياناً وبديعاً ، فصاحة وبلاغة . لكن هذا لا يمنع وقوع بعض الاخطاء التى يتردى فيها الباحث أو الناسخ إهمالا أو جهلا ومثل هذه الأخطاء يجب على المحقق أن يتجنبها .

ومثل هذه القواعد العلمية المراعاة عند تحقيق النص وأعداده للنشر وهذه الحيطة لا يستطيع أحد أتباعها عند نشر التلمود ، وذلك لأنه ليس من وضع مؤلف واحد أو لجنة من المؤلفين وأبعد من هذا لم يوضع التلمود فى عصر واحد فالتلمود عبارة عن مجموعة من الأبحاث الشفوية والتحريرية التى ترجع إلى فترة أمتدت قروناً عديدة وقد جمع التلمود عدد من الباحثين الذين سجلوا المروى والمكتوب منه حسب أقوال الرواة وكتابات المؤلفين ملتزمين النص غير آبهين بصحة الإملاء أو الأسلوب والترتيب بخلاف الحال فى المشنا .

وإذا أضفنا الى هذا أن مؤلفى التلمود رجال من مختلف الأقطار يتفقون فى اللغة والتى كانت عبارة عن خليط من الآرامية والعبرية والفارسية واليونانية ولغات أخرى كما اختلف هؤلاء العلماء فيما بينهم من حيث اللهجات أسلوبا وتعبيراً .

فلغة التلمود ووضعها كما ذكرت تنقصها الوحدة اللغوية والقواعد النحوية بل وحتى الإملاء والباحث التلمودى فى حاجة ماسة جداً إلى الاستعانة بالعبرية والآرامية والسريانية والفارسية واليونانية لتقويم بعض العبارات أو فهم شتى المفردات . واذا كانت كثرة المخطوطات تعاون المحققَ أحياناً فى سبيل تحقيق نص من النصوص ففى التلمود نجد تعدد المخطوطات مشكلة المشاكل فالمحقق لن يستطيع اتخاذ واحدة من هذه المخطوطات نصا اصليا سليما يعتمد عليه ومن ثم يستعين بالأخرى تقويماً للنص وشرحاً ، وذلك لأن مخطوطة قد تمتاز فى معالجة موضوع بعينه عن سائر المخطوطات واخرى تمتاز بموضوع آخر ولا يستطيع المحقق الجزم بصحة النص الأصلى من بينها وإذا علمنا ان الطبعة الأولى التى ظهرت للتلمود لم تعتمد على مخطوطة من السهل القول بدقتها أو أهميتها ثم جاءت الطبعات المتأخرة واعتمدت عليها بحسناتها وسيئاتها ادركنا العمل الشاق الذى ينتظر كل من تحدثه نفسه بتحقيق التلمود ونشره

وفى القرون الأربعة الأخيرة ظهرت من التلمود نحو سبعين طبعة الى جانب المختارات التى نشرت مئات المرات فانتشرت الدراسات التلمودية انتشاراً واسعاً لا بين اليهود فقط بل بين غيرهم من اصحاب العقائد الأخرى مما اضطر نفرا من الحاخاميين الى العمل على تلافى الكثير من الأخطاء المتزاحمة فى التلمود فاستباح امثال الحاخاميين (سلمون لوريا) و (يوئيل سيركيس) و (اشعيا برلينو) و (الياس فيلنا) و (يعقوب امدن) لأنفسهم الحق فى إدخال بعض التعديلات على التلمود بالرغم من تقديس الحروف والكلمات وهذه التعديلات موزعة بين المتن والحواشى كما أنها قاصرة على نص المتن لا على صحة التعبير وسلامة اللغة . ويظهر أن هذه التعديلات وتلك التعويضات قاصرة على بعض المواضع التى لا يختلف اثنان على خطاها . أما إذا اختلف الرأى حول التصويب وعدمه فقد بقيت العبارة كما هى واردة كذلك الحال مع العبارات التى سبق للرقيب أن حذفها فقد ظلت كما كانت محذوفة وبدون أسباب معروفة .

ثم جاء (اليعازر جولد شيمدت) وقرر أخراج طبعة للتلمود معتمدة على نسخة لم تمتد اليها يد الرقيب أعنى طبعة (بومبرج) وتجنبا لافتراء المفترين لم يحاول «جولدشميدت» ادخال التصويبات التى يؤمن بصحتها واكتفى بالتخلص من الأخطاء المطبعية فى الطبعة التى نشرها (بومبرج) هذا مع ذكر الروايات المختلفة للمخطوطات العديدة للتلمود والقراءات والتعليقات الواردة فى الحواشى ومثل هذه الطبعة تغنى الدراسين والمهتمين بالتلمود وقد أثبت الناشر (جولد شميدت) بعض أوجه الخلاف بين بعض عبارات التلمود والنص الماسورى وابان أن درجة هذا الخلاف مرجعها الخطأ فى الإملاء لذلك رأى أن تكون املاء العبارات الواردة فى العهد

القديم متفقة مع النص الماسورى مع الاحتفاظ بالفروق الصوتية . فالطبعة الحالية للتلمود وهى التى يعتمد سائر دارسى التلمود البابلى عليها هى فى الواقع صورة لطبعة (بومبرج) . أما الروايات المختلفة فقد ذكرها (جولد شيمدت) فى الحاشية كروايات مختلفة.

اما نص التلمود فقد ظل كما هو لا تغيير ولا تبديل فيه اللهم الا تصويب الأخطاء المطبعية الواضحة وذلك لأن الباحث لا يهتم بمحتويات التلمود فحسب بل بخصائصه ومميزاته ايضاً لذلك حرص الناشر (جولد شيمدت) على ابرازها ولا يذهب (جولد شميدت) مذهب غيره من اليهود المتعصبين للتلمود حيث يبالغون فى تقدير قيمته وأنه حوى جميع انواع العلوم ومختلف فنون المعرفة أن التلمود فى حقيقته عبارة عن مجموعة من المجادلات والتعاليم والأخبار والنكات والملح بعضها نافع مفيد والآخر هراء وسفسطة الا ان مجموع هذه وتلك يكون سفراً قيما للأدب وتاريخه . ان التلمود كنز غنى جداً يجد فيه كل فرد ضالته المنشودة وبخاصة فيما يتصل بالشريعة وأحكامها ، هذا إلى جانب المعارف الأخرى المتصلة بالطب أو التاريخ أو اللغة أو الزراعة وفيما يتصل بالأخلاق فى التلمود فقد ظهرت كتب عديدة تفننت فى الحديث عنها وفى هذا الحديث نجد المادح والقادح .

وهذا التراث الشرقى اليهودى والذى يرجع الى القرون الأولى يجب علينا ان نكون حريصين عند اصدار الحكم عليه فهو صادق من حيث تسجيل العقلية اليهودية ، ونظرتها الى الحياة ومذاهبها وموقفها من غير اليهودية وتمسك اليهود بهذه التعاليم وموقفهم من غير اليهود هو المأساة العالمية الخالدة التى جرت وتجر على الإنسانية كثيراً من الويلات لذلك لا عجب اذا رأينا من بين اليهود طائفة القرائين مثلا ترفض هذا الكتاب ولا تعمل بتعاليمه .

والآن نتساءل ماهو التلمود وماهى مكانته بين الكتب المقدسة ؟ لفظ « تلمود »

معناه « تعليم » من مادة « لمد » أى « يعلم » والتلمود عبارة عن مجموعة الشرائع المدنية والاجتماعية اليهودية المتوارثه ، وهو يتكون من المشنا أى التثنية او الاعادة ويفيد هذا اللفظ فى العبرية المتأخرة « الحفظ أو التعليم » ومن غير المشنا يتكون التلمود أيضا من الجمارا وهى كلمة أرامية تفيد الاتمام .

وتشتمل المشنا على الشريعة المعروفة باسم «ها لاخاه» أى ذهبت وخلت وهى الاضافات التى أضافها الآباء الأولون الى التوراة وهى تكون الشريعة غير المكتوبة أعنى التى جاءت عن طريق التواتر والرواية . وقد جمعت المشنا حوالى عام ٢٠٠ م أما الجمارا فشروح على المشنا والاثنتان تكونان مجموعة كاملة من الشريعة اليهودية .

ولفظ تلمود كان يطلق أصلا على الجمارا ومن ثم اختص بدلالته الحالية على الشريعة الربانية أعنى التى وضعها الربانيون ويفرق العلماء بين تلمود اورشلمى وآخر بابلى . ويمتاز الأورشامى بأن كل موضوع من موضعاته التى يعالجها مسبوق بنص المشنا الذى يفسره ويشرحه كما تم وضعه حوالى عام ٤٠٨ م إلا أنه لم يصلنا كاملا إذ فقدت منه أجزاء كثيرة.

أما التلمود البابلى وهو الذى يعرف اليوم باسم « تلمود » فقد جمع فى فترة تمتد تقريبا من عام ٤٠٠ إلى ٥٠٠ م وهو يمتاز باشتماله على النص الكامل للمشنا أما تاريخه فيتصل اتصالا وثيقا بالسبي البابلى هـذا الحدث الهام جدا الذى فقد اليهودى بسببه الوطن والكيان السياسى كما تهدم المعبد المكان المقدس الوحيد لتقديم القرابين لذلك ازداد تشبث اليهود بنبوات انبيائهم وربانيهم سواء كانت هذه النبوات مكتوبة أو مروية وبخاصة تلك التى قيلت فى السبي ففى السبي نشأت هذه الكتابات الهامة بالرغم من اختفاء النبوات وانكماش اللغة العبرية لغة الوحى . وعاون على انتشار تعاليم الربانيين ان شريعة موسى كانت فى ذلك الوقت فيما يرجح قد ختمت ولم يكن من الميسور الإضافة إليها أو الحذف منها أو تغييرها إلا أن ظروف الحياة اليهودية كانت وما زالت

تتطلب تشريعات جديدة وكان هناك نفر من اليهود المتزمتين يعتقدون أنه منذ نزول التوراة فى سيناء والشريعة الشفوية ملازمة لها وقد تداولتها الألسن فهناك توراة مكتوبة (تورت شبكتوب) وتوراة شفوية « تورت شبعل فه » إلا أن هذا الرأى لا سند يؤيده . ويجمع رجال الدين اليهودى على تحريم كتابة التوراة الشفوية ويذهب هذا الرأى بعيدا فيحرم حتى تدوين الها لاخاه هذه التعاليم التى يجب على اليهودى أن يتبعها ويسير خلفها . أما متى صدر القول بتحريم كتابة التوراة الشفوية فهذا ما تضاربت حوله الآراء وهناك رأى يقول أن أمر التحريم هذا صدر أبان حكم (سالومى الكسندرا) (٧٦ — ٦٧ ق٠م٠) حيث حرم تدوين الها لاخاه إلا أن هذا الرأى يحتاج إلى الدليل . أما سر تحريم التدوين فهو الحيلولة دون استعمالها وانتشارها بين العامة وذلك لأنه إذا علم كل حاخام تلاميذه حسب فهمه هو للتوراة الشفوية نشأت الفرقة بين اليهود ودب الخلاف كما أن عدم تدوين الشريعة الشفوية فارق يميز بين اليهود وغيرهم من الشعوب :

إلا أن هذا التحريم لم يدم طويلا إذ نشأت مع مرور الزمن فكرة قوية ترمى إلى تدوين التلمود سواء كان بابليا أو أورشليميا فالتلمود الأورشليمى أو الفلسطينى أو تلمود أرض إسرائيل حسب رأى الجاون «سعديا الفيومى» وغيره أو « جمرا دارص يسرائل » حسب رأى الجاون عمرام أو كما ذكر أيضا تحت إسم « تلمود دمعربا » أى « تلمود الغرب » كما جاء أيضا تحت إسم « جمرا دبنى معربا » أى « جمارا أبناء الغرب » وقد استخدم هذه التسمية أمثال (نسيم بن يعقوب) و (اسحق الناسى) وأسماء أخرى مثل التلمود الشامى وقد ألف هذا التلمود حسب رأى ابراهام بن داود وموسى بن ميمون الحاخام « يوحنان » الا أن هذا الرأى ليس صحيحا وذلك لأن « يوحنان » هذا قد توفى عام ٢٧٩م بينما يرد فى هذا التلمود كثير من المجادلات والحكم لعلماء عاشوا فى طبريا مثل « يونا » و (يوشيه) الثانى فى عصور متأخرة

عن وفاة « يوحنان » كما نجد فى هذا التلمود أقوالا أخرى لعلماء متأخرين مثل « مانى » الثانى بار يوحنا رئيس مدرسة (سيفوريس) التى اشتهرت بتعاليم علماء قيصريه . كما ان كثيرا من تعاليم هذا التلمود ترجع فى الواقع الى اوائل القرن الخامس الميلادى .

والتلمود الفلسطينى عبارة عن مجموعة التعاليم التى كانت سائدة وقتذاك فى المدارس اللاهوتية مثل طبريا وقيصرية وسيفوريس وكانت هذه التعاليم المتنوعة تعبر عن وجهات نظر مختلفة لذلك تنقص هذا التلمود وحدة التأليف والإنسجام وتتبين هذه الظاهرة اولا من التباين العظيم بين ابوابه ومحتوياته كما اننا نلمس فيه نقصا فيما يتعلق بسكوته عن شرح مواضع فى حاجة إلى شرح وتفصيل او إذا تعرض لها فبعبارة يكتنفها الغموض وعدم الإيضاح

ففى فلسطين نجد كثيرا من القوانين والشرائع مستخدمة مئات السنين حتى بعد هدم المعبد بينما فى بابل لا وجود لها لذلك نجد كثيرا من الاضطراب فى هذا التلمود الفلسطينى لعدم وجود معاهد علمية فى فلسطين بخلاف الحال فى بلاد بابل لذلك لم يحظ من المؤمنين بالتلمود بشىء كبير من التقديس .

أما التلمود البابلى فهو يغاير الفلسطينى ومن العلماء اليهود من يطلقون على البابلى إسم « تلمود ديلن » أى تلمودنا وقد إشتهر يهود السبى بالإهتمام بالشريعة وظهر من بينهم علماء مثل « هلليل » البابلى وقد جاءنا أنه فى أوائل القرن الثانى الميلادى كانت مدينة « نهر ديع » مركزا يهوديا علميا شهيرا وقد بلغت جامعتها أيام « مارشموئيل » المتوفى عام ٢٥٤م أوجها من حيث المكانة العلمية وما يقال عن « نهر ديع » يقال أيضا عن جامعة « سورا » وبخاصة فى عصر « رب » المتوفى عام ٢٤٧ م . وبعد خراب « نهر ديع » (عام ٢٥٩ م) أسس « يهوذا بار يحزقيل » المتوفى عام ٢٩٩م وهو تلميذ كل من « شموئيل » و « رب » جامعة بوم باديثا وقد تولى التدريس فيها عدد كبير من مشاهير العلماء .

وينقسم التلمود عادة إلى مايعرف باسم « سيدريم » أى « كتب أو أقسام » يعالج كل « سيدر » منها موضوعا خاصا من مواضيع الشريعة وعدد السيدريم ستة هى .

١ — زرعيم وهو يعنى بالزراعة والحاصلات الزراعية
٢ — موعد الأعيـــاد
٣ — ناشيم النســاء
٤ — نزيقين (وقد يسمى تفاؤلا يشوعوت) أى التلف والاضرار
٥ — قدشيم المقدسات (القرابين والنذور)
٦ — طهاروت الطهارة

ويتقسم كل (سيدر) عادة إلى (مسيكيت = سور) ويختلف باختلاف السيدر .

السيدر الأول = ١١مسيكيت
» الثانى = ١٢ »
» الثالث = ٧ »
» الرابع = ١٠ »
» الخامس = ١١ »
» السادس = ١٢ »

أما سيدر الزعيم فيعنى بمكان الغرس ثم العناية بالغرس حسب الأعوام المختلفة ثم نصيب الحاخام من الثمار أو المحصول وتصنيع الثمار وتحويلها إلى كعك .

أما سيدر الموعد فيتحدث عن أحكام السبت وعيـد الفصـح وخرافه وعيد الغفران والمظال ويوم طوب وعيد رأس السنة والصوم وتلاوة مجلة أستير وغيرها .

وأما السيدر الثالث الخاص بالنساء فيحدثنـا عن قريبات الزوج أو زوجه . والخطبة والنذر والنذير أو الناسك الذى يوهب للمعبد . ثم يذكر

الطلاق (جطين) وأحكامه ومن ثم ينقل إلى الخيانة الزوجية (سوطاه) وعقد الزواج .

وسيدر النزيقين وهو مقسم إلى الباب الأول والباب الوسط والباب الأخير (سنهدريون) وقد اختصه بالحديث عن عصر المسيح ومحاكمته وصلبه وحواريه وقد بالغ فى الحط من شأن ابن الناصره .

ثم تحدث عن تشكيل المحكمة اليهودية الشرعية والضرب والقسم والشهود ومعاملة غير اليهود (عبودا زرا) ومن باب المعاملات هذا نتبين مدى بغض اليهود لغيرهم والشر الذى يبيتونه لهم . وأخيرا يحدثنا عن اصدار الأحكام .

أما سيدر قدشيم فيعنى بالذبائح وطعام الولائم المقدسة والابكار والزكاة والنذور والاستبدال أعنى استبدال أضحية بأخرى والإبادة والغدر والخيانة والقرابين وتأثيث المعبد واعشاش الطيور .

وسيدر الطهارة يتحدث عن الأوانى والخيام والبرص والبقرة الحمراء والطهارة والمغاطس والحمام ونجاسة المرأة ووسائل الطهارة للذين أصابتهم نجاسة والنجاسة اليومية وطهارتها و ....

اليهودية المسيحية

رأينا عند حديثنا عن أركان اليهودية كيف أن الركن الثانى عشر يقرر الإيمان التام بمجىء المسيح مهما تأخر زمن مجيئه فاليهودية تختلف عن الإسلام مثلا الذى يقرر أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء وأن الإسلام كما أنزل على رسوله الكريم هو الذى إختاره الله للعالمين ديناً لذلك نجد الفرق الدينية اليهودية تهتم إهتماماً شديداً بهذا الركن من أركان العقيدة.

فعقيدة الفريسيين أى المعتزلة والتى تعتبر وبحق عقيدة الكثرة المطلقة من اليهود منذ الحروب المكابية (١٦٧—٣٧ ق . م.) تحرص على التمسك بالشريعة الموسوية والتراث الإسرائيلى القديم والإعتقاد فى البعث والتزام أوامر الدين فى الحياة اليومية تأكيدا لإمارات تحقيق رسالة المسيح المنتظر.

وقد ظهرت هذه الفرقة أو ماظهرت بين السواد الأعظم من الشعب ومن ثم اتصلت بعلماء الشريعة . ولم يقتصر إهتمام المعتزلة بالشريعة المكتوبة أعنى التوارة بل بالشفوية أيضاً أى التلمود . وبلغ التعصب الدينى الأعمى بأفراد هذه الطائفة مبلغاً اضطر السيد المسيح الى معارضتهم وقد شاركته فى موقفه هذا فرقة يهودية أخرى الا وهى فرقة الصدوقيين التى ناصبت المعتزلة العداء منذ أواخر القرن الثانى قبل الميلاد فالصدوقيون يعارضون المعتزلة ولا يؤمنون بالقديم لقدمه كما يرفضون اخضاع الحياة اليومية للنصوص الحرفية للشريعة لذلك رفضوا الاعتقاد فى البعث ولم يؤمنوا بوجود الملائكة « فى ذلك اليوم جاء اليه صدوقيون يقولون ليس قيامة»[1] و « لأن الصدوقيين يقولون ليس قيامة ولا ملاك ولا روح »[2] وكانوا

---

(١) أنجيل متى أصحاح ٢٢ ى ٢٣

(٢) أعمال الرسل أصحاح ٢٣ ى ٨

يمثلون طبقة الأغنياء ويتعصبون للثقافة الهللينية[١]

وقريبه من المعتزلة طائفة « الأساة » وقد ظل أتباعها يمارسون طقوسهم الدينية طيلة الفترة الممتدة من القرن الأول ق ٠ م ٠ إلى القرن الأول الميلادى ، وكان الأساة يحيون حياة قريبة من الرهبنة ويكرهون الزواج ويحيون حياة اشتراكية ويباشرون الزراعة والحرف المختلفة ويهتمون كثيراً بالغسل اليومى كوسيلة للطهارة . ويرجح أن يوحنا المعمدان الذى عمد السيد المسيح كان أحد أفراد هذه الطائفة فكانت هذه المعمودية اليهودية خطوة أخرى مهدت الطريق لظهور اليهودية المسيحية أو المسيحية اليهودية وهى ولا شك تغاير الوثنية المسيحية التى بشر بها بولس الرسول بين الوثنيين . فنحن نعلم من بعض نصوص العهد الجديد أن السيد المسيح إنسان كغيره من البشر كما بدأ حياته بقوله « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله »[٢] وختم حياته بقوله « وقال ياابتاه فى يديك استودع روحى »[٣] وقال أيضاً « أفما قرأتم فى كتاب موسى ٠ ٠ ٠ »[٤] و « فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هى (أسمع يااسرائيل الرب إلهنا رب واحد »[٥]

أما رسالة السيد المسيح فقد كانت موجهة أصلا الى الإسرائيليين تأييداً لأقوال الآباء اليهود الأولين[٦] كما أن السيد المسيح أطاع الله حتى مات على الصليب[٧] وكثيراً ما كان يلجأ الى الرسل[٨] كما اشتهر كملك لليهود[٩].

---

(١) متى أصحاح ١ ولوقا أصحاح ٣ ى ٢٣ ورسائل بولس الرومية أصحاح ١ ى ٣
(٢) متى أصحاح ٤ ى ٤ وسفر التثنية أصحاح ٨ ى ٣
(٣) لوقا أصحح ٢٣ ى ٤٦ ومزمور ٣١ ى ٥
(٤) أنجيل مرقس أصحاح ١٢ ى ٢٦
(٥) مرقس ص ١٢ ى ٢٩ = تثنيه ص ٦ ى ٤
(٦) رومية ص ١٥ ى ٨
(٧) رومية ص ١٥ ى٣ وكورنثوس الاولى ص١٥ ى٣ وغلاطية ص ٢ ى١٩ — ٢٠ وص ٣ ى ١٣ . . . وأهل فلمى ص ٢ ى ٨
(٨) غلاطية ص ١ ى ١٧ وص ١٩
(٩) لوقا ص ٢٣ ى ٣٧ — ٣٨ وأنجيل يوحنا ص ١٩ ى ١٩

العهد الجديد

ويطلق عليه اليوم أحياناً الإنجيل ، وهو كتاب المسيحيين المقدس ، وإن اختلفوا فى روايته وعدد أسفاره فمنهم علماء يقولون أنه سبعة وعشرون سفراً إلا وهى : — الأناجيل — متى . مرقس . لوقا . يوحنا — وأعمال الرسل التى هى رسائل بولس وتشمل رومية . كورنثوث الأول . كورنثوث الثانى . غلاطية . أفسوس . فيلبى . كولوسى . تسالونيكى الأول . تسالونيكى الثانى . تيموثاوس الأول . تيموثاوس الثانى . تيطس . فليمون . عبرانيون .

وهناك أيضاً الرسائل الكاثوليكية وهى يعقوب . بطرس الأول . بطرس الثانى يوحنا الأول . يوحنا الثانى . يوحنا الثالث . يهوذا وأخيراً نجد رؤيا يوحنا .

أما الكنيسة النسطورية فلا تعترف إلا بإثنين وعشرين سفراً إذ تسقط بطرس الثانى ويوحنا الثانى ويوحنا الثالث ويهوذا ورؤيا يوحنا .

وتضيف الكنيسة الحبشية إلى السبعة والعشرين سفراً ثمانية تشتمل على دستور الرسل الذى أوجدته الكنيسة فى أواخر القرن الرابع ومؤلفه (كليمنس) أحد أبناء مدينة روما . ويرجح أن (كليمنس) هذا جمع أسفاره من كتب قديمة . ففى الستة الأولى منها نقرأ نظام الكنيسة السريانية قبل قسطنطين ، وقد ضاع النص اليونانى الأصلى ولم يبق إلا السريانى واللاتينى . وقد وضع هذا النظام فى القرن الثالث . وفى السفر السابع نجد تعاليم الرسل ومجموعة صلوات يهودية كتلك التى نقرأها فى السفر الثامن الذى يشتمل علاوة على ذلك على حديث عن التبعات ونظام الكنيسة والوعظ والإرشاد .

فهذا الخلاف بين الكنائس دليل ولا شك على هذا النزاع الذى قام حول العهد الجديد وقدسيته كما أن الخلاف قائم أيضاً حول ترتيب هذه

الأسفار حسب زمانها ومكانها وأن جرت العادة على التفرقة بين الأسفار التاريخية أى الأناجيل وأعمال الرسل وبين الرسائل وبين رؤيا يوحنا كما أن الترتيب الذى نجده أحياناً فى بعض المخطوطات لم يراع فى الطبعات الحديثة إلا فى عصور متأخرة ، فقديماً مثلا كانت رسائل الكاثوليكية ترد متصلة بأعمال الرسل وغالباً ما تذكر فى المخطوطات قبل رسائل بولس. وحتى بين المجاميع ذاتها لا نجد وحدة ملتزمة فى تنظيم رسائل المجموعة الواحدة حتى أن لوثر أباح لنفسه أن يفصل رسالة العبرانيين عن سائر رسائل بولس ، كما غير فى ترتيب الرسائل الكاثوليكية فالمصلح الإنجيلى يضع بعد الأناجيل أعمال الرسل فرسائل بولس فبطرس فيوحنا . وهذه الأسفار الثلاثة والعشرون هى الشرعية فقط لديه، ثم أضاف إليها العبرانيين ويعقوب ويهوذا ورؤيا يوحنا باعتبارها تثنية للأسفار الشرعية .

والكنيسة المسيحية لم تعرف عهداً جديراً مكتوباً حتى أواسط القرن الثانى الميلادى وحتى خطابات بولس الرسول لم تعتبر مقدسة وكل ما فى الأمر أن بولس كان يروى ما يسمعه . ولوقا لم يذكر فى مقدمة إنجيله أنه وحى يوحى وإنما هو كتاب أدبى تبشيرى كغيره من الكتب فهو يقول فى الإصحاح الأول من إنجيله الآيات ١ — ٤ ما ملخصه : — أما « لما رأيت قوما يكتبون قصة استقوا معلوماتها بدقة من الأخبار التى تناقلها الخلف عن السلف قررت أيها العزيز ثاوفيلوس أن أكتب لك عنها لتعرف حقيقتها ولا سيما فقد تتبعت أخبارها بالبحث والتدقيق » .

فهذه العبارة التى يذكرها لوقا تفيدنا إلى جانب ذلك أيضاً أنه استقى معلوماته من مصادر وأن هذه المصادر يوثق بها .. واعتراف شبيه بهذا نجده أيضاً فى يوحنا الاصحاح ٢٠ ى ٣٠ — ٣١ ولا شك فى أن وصول الكنيسة إلى جمع العهد الجديد وتقديسه كان من أشق المسائل التى امتحنت بها المسيحية فى أول عهدها كما أن بحث هذا الموضوع مازال إلى يومنا هذا من الأمور

الغامضة التى تتطلب من الباحث استخدام الشيء الكثير من الفروض والاحتمالات فالنصرانية ورثت عن اليهودية مجموعة من الأسفار المقدسة اعتمد عليها المسيح وبولس كما اعترفا بقدسية التوراة والأنبياء فبولس يذكر فى رسالة كورنثيث الثانية إصحاح ٣ ى ١٤ حديثا عن العهد القديم .

وغير التوراة والأنبياء ورثت المسيحية أيضاً مجموعة من الكتابات لم تتم ولم يقفل بابها وذلك لأن العهد القديم لم يختم إلا فى العصور المسيحية الأولى وحتى فكرة التوراة والأنبياء لم تكن متبلورة عند المسيحيين تماما بدليل الخلط بين كثير من أسفار التوراة والأنبياء وبين غيرها .

وبالرغم من أن باب العهد القديم ظل زمنا طويلا مفتوحا واتسع لكثير من الكتابات الحديثة فالمسيحية لم تفكر فى ذلك الوقت فى ضم أسفارها إليه ولعل العلة فى ذلك هى أنها لم تعرف وقتذاك أسفاراً مكتوبة خاصة بها وذلك ما دفع بولس إلى التفرقة بين العهدين القديم والجديد فى الاصحاح الثالث من الرسالة الثانية إلى كورنثوث . فيقال أن رسالة المسيح ليست مكتوبة بحبر بل بروح لا فى ألواح حجرية بل فى ألواح قلب لحمية . فمن هذه العبارة ومن غيرها التى سبقت الإشارة إليها يتبين لنا أن أوائل رجالات الديانة المسيحية كانوا بعيدين جداً عن فكرة الوحى وقداسة الكتابات والعمل على تقديس ما دون وضمه إلى بعضه وتكوين العهد الجديد .

وحتى منتصف القرن الثانى الميلادى لا نجد كتابات مسيحية مقدسة وإلى جانب المسيح نجد الرسل حمله للكلمة المقدسة (غلاطية ص ٢) وكورنثوث الأولى ص ١٥ ى ٩ — ١٠ ، والروح المقدسة التى تظهر فى كتاباتهم لذلك جمعتها رسالات بولس كما أضاف لوقا إلى إنجيله سفراً آخر للرسل فسائر الكتابات المقدسة يجب أن تكون من وضع الرسل . وفى أوائل القرن الثانى نجد إلى جانب رسائل بولس الحقيقية اخرى لرسل آخرين وأحيانا منسوبة

إلى بولس كما نجد بعض الأناجيل والرؤى التى تحمل أسماء رسل آخرين ، ومع مضى الزمن اكتسبت هذه الأناجيل وتلك الرسائل قدسية لا تقل عن قدسية العهد القديم[١] . لكن بالرغم من كل هذا لم تكن الأسفار المكتوبة أكثر قداسة من الأخبار الشفوية كما يتجلى لنا ذلك من أقوال (أويزبيوس)[٢] .

لكن مع مرور الزمن نجد الوضع يتغير وتظهر عند المسيحيين رغبة ملحة فى معرفة سير الرسل والإلمام بكل ما يروونه خاصا بحياة المسيح وأعماله ، وتدريجيا تتبوأ شخصية المسيح وتلاميذه مكانا عاليا تضعهم إلى جانب شخصيات العهد القديم . وحدث عام ١٤٠ م حادث هام جداً هز العالم المسيحى هزاً عنيفا وذلك أن (مركيون) Marcion خصم اليهود العنيد حرم من الكنيسة فاتخذ لنفسه كتابا مقدسا خاصا عبارة عن إنجيل لوقا ورسائل بولس عدا القليل منها وأحل هذا الكتاب محل العهد القديم . وفى ذلك العصر أيضاً نجد أمثال (يوستين Justin) يحدثنا عن الأناجيل أو الكتابات المنسوبة للأنبياء التى تقرأ أيام الآحاد ، ولو أنه ليس من الثابت أن (يوستين) نظر إليها كمجموعة مقدسة قد توضع الى جانب العهد القديم . كذلك لا يمكن التثبت من أنه كان يعتبر رسائل بولس والعبريين وأعمال الرسل مقدسة تابعة للعهد الجديد . كذلك الأمر غير واضح فيما يتصل بمعاصرة (اويزبيوس) فقد كان يعتقد أن أنجيلى متى ومرقس (أيضاً يوحنا؟) من وضع الرسل كما اعتقد فى ان الروى من عمل الوحى إلا أننا لا نعرف جيداً عما إذا كان يضم هذه الكتابات وتلك الرسائل إلى الأناجيل وهى معها تكون العهد الجديد .

---

(١) افسس ص ٤ ى ٢١ والرسالة الثانية لبطرس ص ٣ ى ٢ والثانية لكليمانس ص ١٤ ى ٢ .

(٢) راجع Eusebius' hist' ecl 'III '39 '3 f

ويأتى بعده (تتيان Tatian) تلميذ (يوستين) ويجعل من الأناجيل الأربعة انجيلا واحداً مما يؤيد أنه كان يراها هى وحدها التى تكون العهد الجديد وأن روى عنه أنه عنى برسائل بولس أيضاً مما يؤيد أنه اعتبرها مقدسة كالاناجيل كما قال بجواز توحيد هذه الأناجيل وجعلها انجيلا واحداً بإعادة تأليفها . أما انجيله فلم يكن خاصاً به بل كان عاما يتلى فى الكنائس فترة طويلة من الزمن لا يمكننا تحديدها .

وغير هؤلاء يذكر (تيوفيلوس) الأنطاكى الذى يضع أنبياء العهد القديم إلى جانب أصحاب الأناجيل وبولس ايضاً لأنه يعتبر كلامه مقدساً . ويهتم (ثيوفيلوس) بالرسالة الثانية لكليمانس ولو أنها لم ترد ضمن أسفار العهد الجديد الشرعية . ومن الملاحظ أن كنيسة كورنثوس كانت تقرأ حوالى عام ١٧٠ م رسالة كليمانس إلى جانب رسائل بولس فى أيام الآحاد مما يؤيد أنها كانت تعتقد فى قدسيتها .

لكن بالرغم من كل هذه المجهودات وتلك المحاولات لا نستطيع أن نقول أنه حتى منتصف القرن الثانى كانت هناك مجموعة الأسفار والكتابات والرسائل التى تكون فيما بينها ما يعرف اليوم باسم العهد الجديد .

والآن نتساءل هل وجدت ، كما هو الحال فى العهد القديم ، (كتب) إلى جانب (الأنبياء) و(التوراة)؟ أعنى هل عرفت كتب الى جانب الأناجيل ورسائل الرسل ؟ هل وجدت أربعة أناجيل عند سائر الطوائف المسيحية وان هذه الأناجيل واحدة لا تختلف فيما بينها ؟ ومنذ أى عصر والى متى أصبحت رسائل بولس شرعية ؟ وهل وجدت الى جانبها رسائل أخرى لها قداستها وشرعيتها؟ هذه أسئلة لا يمكن الإجابة عليها وذلك لأن عهداً جديداً كما نفهمه الآن لم يكن قد وجد حتى ذلك العصر .

وحقيقة الأمر أننا فى أواخر القرن الثانى الميلادى فقط. نجد العزائم تصح لتكوين العهد الجديد فنرى المسيحية تختار من بين الأناجيل الكثيرة المبعثرة أربعة فقط. وذلك لأن هذا العدد يتفق كما يقول (يرنيوس Jrenaeus) وعدد الرياح كما أنه قد أشير إليه فى العهد القديم فى رؤيا حزقيال الخاصة بالحيوانات الأربعة ، أما سائر الأناجيل فقد أضيفت إلى الأبوكريفا كما ضمت اليها أعمال الرسل ورسائل بولس الثلاث عشرة والرسالة الأولى لبطرس ورسالة يوحنا الأولى ورؤياه . لكن هذا الاختيار لم يصادف قبولا عاما وعارض فيه كثيرون أمثال كليمنس السكندرى الذى ضم رسالة العبريين إلى رسائل بولس بينما ينسبها (ترتوليان Tertullan) إلى (برنابا) ورفع من قيمتها ولو أنه لم يضفها إلى رسائل الرسل . وقد اعترف بها أيضاً كل من (برنيوس) و (هبوليت Hippolyt) .

ثم نجد (يرنيوس) و (كليانس) ينسبان الرسالة الثانية ليوحنا إلى الرسل كما ينسب (كليانس) و (ترتوليان) رسالة يهوذا أيضاً ويذكر الأثنان رسالة يعقوب ويتفق معهما (هيبوليت) فى عدم الاعتراف بالرسالة الثانية لبطرس إلا أن كليانس يذكران رؤيا بطرس ورسالة كل من كليانس وبرناباو (هرمس) وتعاليم الرسل وما اليها تتبع العهد الجديد . وحوالى عام ١٠٠ م سمح أسقف أنطاكية المسمى (سرابيون) لجماعة مسيحية بقراءة انجيل بطرس ثم حرمه .

وهكذا نجد الحدود التى وضعت للتفرقة بين الكتب الشرعية وغير الشرعية مقلقلة حتى أننا نقرأ فى الوثيقة المعروفة باسم وثيقة (مورات) أو العهد الجديد عبارة عن الإناجيل الأربعة وأعمال الرسل ورسائل بولس الثلاث عشرة (عدا رسالة العبريين) ورسالة يهوذا والرسالتين الأولى والثانية (وليست الثالثة) ليوحنا ورؤيا يوحنا ورؤيا بطرس وتنص الوثيقة صراحة على رفض رسائل الهرطقة المنسوبة إلى (فلنتين Valentin) كما تنكر بعض خطابات بولس المنتحلة والتى يقال أنه أرسلها الى اللوديين والاسكندريين .

وحوالى عام ٢٥٠ م نجد (اوريجينيس Origenes) يحدد العهد الجديد بأنه بمجموعة الأناجيل الأربعة واعمال الرسل ورسائل بولس الثلاث عشرة والرسالة الأولى لبطرس والأولى ليوحنا ورؤياه . كما رغب فى ضم رسالة العبريين الى رسائل بولس ولو أنه اعترف أنها ليست له . اما الرسائل المختلف عليها فهى الرساله الثانية لبطرس والثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا ورسالة يعقوب وقد اعترف بها (اوريجينيس) ووافقه كثيرون. وهو يعتقد ايضاً ان رؤيا يوحنا تتبع الأسفار التى هى موضع شك فى شرعيتها. اما سائر الأسفار والرسائل التى تنسب الى الرسل فقد رفضت سواء رضيت عنها الكنيسة او لم ترض . وهذا الرأى لم يستقر الا مع مرور الزمن فنحن نعلم مثلا أنه حتى بعد القرن الخامس الميلادى كانت الرسالة الأولى لكليمانس ورسالة برنابا ورسالة هرمس ورؤيا بطرس ورسائل أخرى كانت عند بعض الجماعات المسيحية تابعة لأسفار العهد الجديد الشرعية كما يتبين لنا ذلك مثلا من (كوديكس الكسندرينوس سنيتيكوس Codex Alexandrinus Sinaiticus)

كذلك نرى لاهوتيا مثل (اثناثيوس) يتحدث عن الأسفار الشرعية للعهدين القديم والجديد ويستبعد بعض الرسائل مثل رسالة (هرميس) ولو أنه أباح إستخدامها فى التعليم الدينى .

وبينما نجد الرسائل الكاثوليكية السبع تنتشر إنتشاراً واسعاً إذ بكنيسة إنطاكية السريانية تعترف فقط بالرسالة الأولى لبطرس والأولى ليوحنا ويعقوب . كذلك لاتجد رؤيا يوحنا قبولا فى الشرق ، ولما حاول اثناثيوس ضمها إلى الأسفار الشرعية للعهد الجديد فى الكنيسة اليونانية إنما كان يعتمد على الكنيسة الغربية التى إعترفت بها منذ زمن بعيد . وفى القرنين الرابع والخامس إعترفت الكنيسة اللاتينية برسالة العبريين إلا أنها لاتنسبها لبولس كما إعترفت بالرسائل الكاثوليكية السبع .

وأبان عصر أحياء العلوم عادت الفكرة القائلة بعدم شرعية رسالة العبريين والرسائل الكاثوليكية عدا الأولى لبطرس والأول ليوحنا إلى الوجود ، وقامت حول هذا الموضوع مناقشات ومجادلات إلا أن الرأى استقر فيما بعـــد حتى فى البروتستنتية على الإعتراف بها ضمن الأسفار الشرعية . وهكذا أصبحت فكرة العهد الجديد هدف المسيحية الأعلى الذى كرست له جهدها أجيالا عديدة حتى بلغ الصورة التى إنتهت إلينا .

والآن بعد الحديث عن المراحل التى مر بها العهد الجديد ليستقر فى الوضع الحالى ننتقل إلى لغة هذا الكتاب المسيحى المقدس أعنى اليونانية، وهى ليست اليونانية القديمة بل هنـا نجد لغة أخرى شعبية تخالف القديمة نحواً وصرفاً وفقها ويرجح أنها متأثرة بالأرامية لأننا نعرف أن اللغة التى استعملها المسيح كانت الأرامية ، ومن ثم نقلت إلى اليونانية . ولغة أسفار العهد الجديد لا تدل على أنها تمثل حلقة من حلقات تطور اللغة اليونانية نحواً وصرفاً وفقها بل هى فى الواقع لغة استحدثت حتى دفعت كثيرين إلى اعتبارها لغة وحى أو روح القدس وليست لغة دنيوية أرضية ، والسبب الذى دفع إلى قيام مثل هذه العقيدة أنه لم تصلنا نصوص أخرى دونت فيها كما هى فى العهد الجديد وظل الأمر كذلك حتى عثر العلماء على بعض أوراق البردى اليونانى بمصر فتبينوا العلاقة القوية بين يونانية العهد الجديد ويونانية أوراق البردى تلك . والفضل فى الوصول إلى هذه النتيجة يرجع فى الواقع إلى العالم (أدولف ديسمان Adolf Deissmann فقد ثبت لديه أن يونانية العهد الجديد قريبة جداً للغة اليونانية المعروفة باسم (كوينه Koine) وهى أكثر اللغات ذيوعاً كتابة ونطقا . وقد نشأت هذه اللغة على حساب اليونانية (الاتية) التى أخذت منذ حروب الأسكندر فى الانتشار فى شرق البحر الإبيض المتوسط ولم يمض على اللغة الكوينية زمن طويل حتى حلت محل اللغة القديمة وأصبحت هى لغة التخاطب فى سائر الأقاليم التى خضعت لنفوذ اليونانية القديمة وظلت

غامضة المعالم عند العلماء المعاصرين حتى عثر على أوراق البردى هذه . ويلاحظ أن سائر الوثائق الأخرى التى انتهت إلينا والتى ترجع إلى فجر المسيحية كتبت فى لغة روعيت فيها قواعد اللغة (الآتية) وصرفها . أما لغة العهد الجديد فقد كانت أول محاولة لاستخدام لغة التخاطب الشعبية كلغة أدبية ومن هنا فلها منزلتها الخاصة ، وذلك لأن لغة هذا الكتاب المقدس لا تنكشف للباحث اللغوى فى الكوينه على ضوء أوراق البردى الكوينية بالعكس أيضاً أعنى أن لغة الإنجيل تعاون على فهم تلك اللغة الشعبية .

وقد خضعت لغة الإنجيل مع مرور الزمن لبعض التغييرات، وذلك لأن نفراً من العلماء رأى تعديلها بإخضاعها لبعض القواعد التى تمتاز بها اللغة الفصحى ليتشى للوثنيين المتعلمين فهم العهد الجديد وقراءته . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل نجد كثيرا من التغيرات اللغوية تدخل على النص الأصلى مع مرور الزمن .

والشىء الجدير بالمحافظة أن لغة كل سفر من أسفار العهد الجديد تكاد تتميز عن لغة السفر الآخر مما يدلنا على أن اللغة الكوينية هذه كانت غنية واسعة الانتشار حية ولا أدل على هذا الاختلاف فى الأسلوب والقواعد المستعملة فى لغة العهد الجديد للقواعد الأصلية ويكفى أن نطلع على لغة رؤيا أو خطاب العبريين .

ويلاحظ أيضا أننا قد نجد فى بعض أسفار العهد الجديد خاصة أناجيل متى ولوقا ومرقس أثرا أراميا من السهل ادراكه ومعرفة أصوله . وهذه الأرامية لا يمكن التغاضى عنها أو التقليل من قيمتها فكلمات المسيح مثلا آرامية أصلا إلا أنها تغيرت فى العهد الجديد مع مرور الزمن حتى بعدت الصلة بينها وبين أصولها الأرامية . وعلى كل حال فيونانية العهد الجديد فيها طابع آرامى وليس فيها طابع عبرى البتة أو بتعبير آخر يونانى يهودى كما كان

يعتقد قديما اذ ثبت عن طريق الأوراق البردية التى عثر عليها أن هذه العبارات التى كان يظن أنها يونانية يهودية هى فى الواقع كونية يونانية .

نص العهد الجديد ونقده

إن المثقف فى لغة العهد الجديد يدرك فى سهولة ويسر أن هناك تفاوتا كبيرا بين لغة وأسلوب أجزائه حتى أن الباحث يستطيع أن يقرر إلى أى حد تتباين أجزاء العهد وتتجانس ويكفى أن نعلم أن الزمن بين أقدم نسخة خطية للعهد الجديد وبين أسفار العهد الجديد لا يقل عن ثلاثة قرون . وقد بذلت محاولات عديدة للعثور على مخطوطات أصلية للعهد الجديد ذهبت إلى غير رجعة وذلك لأن من الثابت الآن أن مثل هذه اللفافات البردية لا يمكن أن ترجع قدما الى القرن الثانى الميلادى ، ومن هنا قنع العلماء بدراسة العهد الجديد فى اسفاره ذاتها وذلك للوصول إلى تاريخها ومحاولة معرفة التغييرات التى طرأت عليها مستعينين ببعض الروايات المختلفة .

يقينا أن العهد الجديد وصلنا فى لغته اليونانية فيما يزيد على ٢٥٠٠ مخطوطة وقليل من هذه المخطوطات (حوالى ١٧٠) يشتمل على جميع أسفار العهد الجديد بما فيها رؤيا يوحنا التى ظلت عصراً طوالا غير معترف بشرعيتها حتى أنها وضعت فى نهاية أسفاره . وغالباً ما نجد هذه الأسفار مقسمة فى المخطوطة الى أقسام تكاد تكون مستقلة تسهيلا لاستعمالها والاستفادة منها كأن نجد الأناجيل الأربعة تكون مجموعة قائمة بذاتها وأعمال الرسل مع الرسائل الكاثوليكية ثم رسائل بولس بما فيها رسالة العبريين وفى نهاية كل مجموعة من هذه المجاميع نجد الرؤيا أو قد نجدها أحياناً مستقلة . ونستطيع أن نقرر أنه يوجد الآن تحت يد العلماء ما يقرب من ١٩٠٠ نسخة خطية من الأناجيل الأربعة وأكثر من ٦٠٠ نسخة خطية من رسائل بولس ونحو ٥٠٠ مخطوطة من أعمال الرسل ومثل هذا العدد من الرسائل الكاثوليكية ونحو ٢٠٠ نسخة خطية من الرؤيا وجميع هذه المخطوطات فى اللغة اليونانية

هذا الى جانب كتب الصلوات الكنسية التى تشتمل على كثير من عبارات العهد الجديد .

ويلاحظ أيضاً أننا نجد فى أقدم النسخ الخطية بعض الرسائل التى أخرجت فيما بعد من العهد الجديد مثل رسائل كليمنس ورسالة برنابا وهرميس ، ومعظم هذه النسخ الخطية مكتوب على الرق الذى كان قد عم استخدامه منذ القرن الرابع الميلادى وهناك ما يقرب من أربعين قطعة من العهد الجديد محفوظة على ورق البردى وبعض النسخ الخطية الحديثة مدونة على ورق ، وأقدم نسخ خطية مدونة على الرق ترجع الى القرنين الخامس والسادس ، وقد يوجد من بينها ما يرجع الى القرن الرابع وهو (كوديكس فاتيكانوس Codrx vatikanus) فى روما و (سنيتيكوس) المحفوظ فى (ليبزج) و (بطرسبرج —) و (الكسندرينوس) فى لندن و(افريمى رسكريبتوس Ephraemi Rescriptus) فى باريس وفيها نجد جميع أسفار العهد الجديد كاملة أما فى (كوديكس بيزة كنتبرى Codex Bezae Cantabri فى كمبردج فنجد الأناجيل وأعمال الرسل . وفى (كلا رومونتانوس Claromontanus بباريس نجد رسائل بولس. أما الأجزاء التى وصلتنا على ورق البردى فأقدمها يرجع إلى القرن الثالث الميلادى .

ومن الثابت الآن أن الكنيسة الأوربية كانت تستخدم حوالى القرن الثانى ترجمة لاتينية الا أنه ما كادت تظهر ترجمة (هيرونيموس Hieronymos) اللاتينية المعروفة باسم (فولجاتا — عامية ضد الترجمة القديمة المسماة - ايتالا Itala — أو - افرا Afra -) فى القرن الخامس حتى اختفت الأولى . وحوالى نفس الوقت تظهر تراجم سريانية وقد وصلنا غير الترجمة السريانية القديمة المحفوظة فى مخطوطتين وهى غير الترجمة السريانية المتأخرة المعروفة باسم (بشيتا) التى هى فى الواقع فولجاتا سريانية وقد ظهرت فى أوائل القرن الخامس وفيها نجد ملاحظات وتعليقات هامة جداً .

وأحدث من الترجمة السريانية التراجم القبطية فى لهجاتها المختلفة ثم بعد ذلك نجد الترجمة الأرمنية والجيورجية والحبشيه .

وغير هذه المخطوطات اليونانية واللاتينية والسريانية جاءتنا مقتطفات أخرى من العهد الجديد ضمن مؤلفات كتاب الكنيسة وبمقارنتها نخرج منها بنتائج قيمة حول تاريخ النص وأهميته وبخاصة ما تركه لنا كتاب القرن الرابع ومن اشهرهم (اوريجينيس Origenes) المتوفى عام ٢٥١ م و (اويزبيوس Eusebios المتوفى عام ٤٣٠ م و (كريزوزستوموس Chrysostomus الذى توفى حوالى عام ٤٠٧ م وقد تركوا لنا كتابات فى اللغة اليونانية . اما امثال (ترتوليان Tertullian المتوفى حوالى عام ٢٢٠ م و(كيبريان Cyprian) عام ٢٥٨ م و(امبروسيوس Ambrosius) عام ٣٩٧ م (هيرونيموس Hieronymus عام ٤٢٠ م و (اوجستين Augustin) عام ٤٣٠ م فقد كتبوا باللاتينية . اما اللغة السريانية فقد جاءنا فيها لأمثال (افرايم) المتوفى عام ٣٧٨ م .

فالمختارات التى ذكرها هؤلاء الكتاب وغيرهم لها قيمتها حيث نستطيع بسهولة تحديد تاريخها ومكانها ولهذا التحديد قيمته فمثلا من السهل جداً معرفة النصوص التى كان يقرؤها (أوريجينيس) فى الإسكندرية أوتلك التى كان يقرؤها بعـــد عام ٢٣٠ فى قيصرية . وعن طريق (هيرونيموس) و (أوجستين) نستطيع الأحاطة بالفوارق الموجودة بين المخطوطات اللاتينية فيما بينها من ناحية أو فيما بينها وبين المخطوطات اليونانية من ناحية أخرى . وهذا العمل قد تطلب ولاشك من أباء الكنيسة الأولين الشيء الكثير من الإطلاع على مختلف المخطوطات ومقارنتها .

والواقع انه لا يوجد كتاب قديم يتطلب مجهوداشاقا لدراسته كما يتطلب العهد الجديد وذلك بسبب تعدد رواياته واختلاف مصادره لجمعه وقراءته ومقارنة اسفاره المختلفة كل ذلك يتطلب قدرة جبارة ومجهودا عظيما . فهذا العمل يتطلب قبل كل شيء اتقانا تاما للمخطوط ثم تاريخ دور الكتب الى

جانب اللغات والآداب . ولو أن العلماء ورجال اللاهوت بذلوا مجهودا جبارا فى سبيل جمع ودراسة اهم النسخ الخطية ونشرها الا أنه مازال ينقص العلماء إلى يومنا هذا الاستعانة بالترجمة اللاتينية القديمة ومخطوطه (اوريجينيس) للعهد الجديد .

أما الفوارق والمخالفات الموجودة بين اسفار العهد الجديد واجزائه فمتنوعة منها اغلاط الكتاب والمملين ثم سقوط بعض الكلمات أوالعبارات أو زيادتها . كذلك تقسيم الكلمة قسمة خطأ أو جمع كلمتين أو أكثر فى كلمة واحدة والجهل احيانا ببعض الاختصارات أو الاصطلاحات أو الخطأ فى الكلمة أو نطقها أو تصحيحها . كما قد يعمد القارىء أو الكاتب إلى سد نقص قد يوجد خطأ وهلما جرا . فمثل هذه الاخطاء كثيرة جدا فى معظم المخطوطات التى وصلتنا . هذه الاخطاء اما قد وقعت من المؤلفين والكتاب اعتباطا أو احدثها خصوم الدين واعداؤه .

والحقيقة التى تجب الاشارة إليها أن الكنيسة كثيرا ما احدثت بعض التغييرات فى الالفاظ والاسلوب كأن تضيف بعض العبارات للايضاح والتفسير أو لتاكيد معنى من المعانى أو لتجنب معنى آخر قد يفهم من نص عبارة من العبارات . كما قامت الكنيسة أيضا بأبعاد العبارات التى يفهم منها التناقض . وهذا الاصلاح الاخير حدث خاصة فى الأناجيل حيث بذلت مجهودات كثيرة فى سبيل التوفيق بينها كما لاحظ هذا (أوريجينيس) . وقد أدت المقارنة اعنى مقارنة النصوص ببعضها إلى اكتشاف اختلاط بينها واصبحت التفرقة بينها من حيث قيمتها وحجتها متعذرة جدا حتى ان الباحث ليعجز عن إدراك أى النصين يجب أن يكون هو الأصل الذى يعتمد عليه وأيها هو المحرف الدخيل . ولكى يدرك القارىء مدى هذه الإختلافات وذلك الإضطراب نبدأ بالنسخ الخطية اليونانية للعهد الجديد فندرك أننا أمام مجموعتين متباينتين مجموعة وهى تلك التى تتمثل فيها هذه النصوص التى أقرتها الكنيسة

البيزنطية خاصة فى العصور الوسطى وإعتبرت مجموعة الأسفار التى تشتمل عليها النسخة الخطية هى الأسفار الشرعية التامة للعهد الجديد . وفى هذه المجموعة نجد بعض الإختلافات فيما بينها ويطلق عليها (النصوص البيزنطية) أو (النص الرسمى للدولة) أو كما يطلق عليها حديثاً (كوينه) .

وقد إعتمد المصلح الدينى (أرازموس) على هذه النصوص عندما نشر للمرة الأولى عام ١٥١٦م العهد الجديد فى اللغـــة اليونانية كما أعاد نشره (أسطفانوس) عام ١٥٥٠ م وما زالت هذه النسخة موجودة إلى يومنا هذا لأنها النسخة المعتمدة .

أما المجموعة الثانية فقوامها عدة نسخ خطية قديمة جداً تتفق غالباً مع الترجمة القبطية ومختارات الآباء الإسكندريين فى القرن الرابع . وكانت هذه المجموعة هى التى تعتمد عليها الكنيسة المصرية ويرجح أن النصوص الكوينية أو البيزنطية ترجع أصلا الى نسخة كتبت فى سوريا فى القرن الرابع الميلادى كما يرجح أيضاً اعتماداً على ملاحظات (هيرونيموس) أنها من عمل (لوقيان Lucian) الأنطاكى كما أرجع (هيرونيموس) نفس النصوص المصرية إلى نسخة (هشيوس Hosius) التى ترجع إلى حوالى عام ٣٠٠ م وقد ثبت أن هناك بعض الفوارق بين النصين البيزنطى أو الكوينى وبين المصرى خاصة فيما بين المجموعة الفاتيكانية codex vaticanus والمجموعة السينائية Codex sinaiticus وهنا نجد نقاد العهد الجديد يختلفون فيما بينهم فالنقاد الانجليز يرون أن المجموعة الفاتيكانية مجموعة يحسن الاعتماد عليها لحيادها وآخرون مثل (ك . فون تشندورف) يفضلون المجموعة السينائية كما يكاد يجمع النقاد على أن نص (هشيوس) أقدم من النص البيزنطى وذلك لأننا نلحظ فى النص البيزنطى تنسيقا دخيلا فى ألفاظ النص وعباراته كما نجد فيه بعض الشروح والتفسيرات والتنقيحات من حذف وإضافة .

ويجب ألا يفهم من هذا أن هذه المخطوطات التى عرضنا للحديث عنها فى إيجاز وعرفناها للقارىء هى كل ما يتصل بالعهد الجديد وأسفاره فهناك أخرى ترجع إلى القرن الخامس وهى تخالف خاصة فى أعمال الرسل سائر المخطوطات الأخرى وهى قريبة جداً إلى الترجمة اللاتينية القديمة أو السريانية العتيقة مما يدل على أنها لم تؤلف أصلا فى اللغة اليونانية وأن الذين دونوها باليونانية ترجموها عن اللاتينية أو السريانية .

ترجمة العهد الجـــديد

إذا تحدثنا عن ترجمة العهد الجديد فإنما نعنى قبل كل شىء الترجمتين الهامتين الغربيتين المعروفتين باسم (أيتالا) و (الفولجاتا) التى قام بها (هيرونيموس) .

أما (أيتالا) فهى ترجمة لاتينية جاء بها (أوجستين) من إيطاليا (ميلانو) عام ٣٨٩ م إلى وطنه ويذكر أن هذه الترجمة تفضل الأخرى المعروفة باسم (افرا) أو (أفريه) والتى كانت منتشرة فى أفريقيا . فلفظ (ايتالا) هو اسم فقط على نوع خاص من الترجمة اللاتينية وهى ترجمة حرفية عن اليونانية إلى اللاتينيه الدارجة ، وقد تقيدت بالحرفية حتى أصبحت غامضة غير واضحة . أما الأصل اليونانى الذى ترجمت عنه فهو النص الغربى . كما أن مترجمى (ايتالا) غير معروفين ولا نعرف شيئا عن الوطن الأصلى الذى ترجمت فيه وزمن هذه الترجمة إلا أنها تدلنا على أن نصا يونانيا كان موجوداً ومنتشراً فى الغرب حوالى عام ١٧٠ م .

الفولجـــاتا

ولهذه الترجمة قصة أخرى فقد جاءنا أنه فى عام ٣٨٢ كلف البابا (داماسوس) عالما لاهوتيا يدعى (هيرونيموس) مراجعة الترجمة اللاتينية مع مراعاة وضع نص مأخوذ من الأناجيل الأربعة خاليا من المخالفات والمغايرات والمتناقضات وقد أدى (هيرونيموس) رسالته على

الوجه الأكمل . وفى عام ٣٨٣ م كان الإنجيل الجديد موجوداً وأضاف إليه ما لم يكلف به فاستلحقه بشريعة (أويزبيوس) ثم أردفه فيما بعد بنص منقح للمزامير أخذه عن الترجمة السبعينية ثم عاود (هيرونيموس) الكرة ثانية إلى العهد الجديد وأخذ يعنى به منذ عام ٣٨٦ وكان ذلك فى بيت لحم واستمر فى بحثه مدة تقرب من عشرين عاما وبالرغم من ذلك لم يخرج كتابه هذا كاملا بعيداً عن الأخطاء كما كان منتظراً وأخيراً نجد جماعة من الانجليكانيين مثل (وردزورث Wordsworth) و (هويت White) يحاولان طبع العهد الجديد الذى وضعه (هيرونيموس) فتبين لهما أنه مشحون بالأخطاء .

التراجم الشرقية

فى النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى نجد السورى (تتيان) يعثر فى روما على نسخة يونانية للعهد الجديد فأضاف إليها كثيراً من الزيادات وأطلق عليها اسم (دياتسون) ثم ترجمت هذه النسخة المنقحة للأناجيل إلى السريانية وظلت مستخدمة فى الكنيسة السريانية حتى القرن الخامس الميلادى وهى المعروفة باسم (بشيتا) أى سهلة .

ومن ثم نجد محاولة تبذل لجمع النسخة المعروفة باسم (دياتسرون) والتى كانت قد فقدت وذلك عن طريق المختارات والاقتباسات التى ذكرها كتاب القرن الرابع خاصة (افراحات وافرايم) وذلك عن طريق ترجمة أخرى لنسخة دياتسرون ومن ثم نقحت هذه النسخة على ضوء (بشيتا) التى ترجمت عن النص الأصلى وعاون على ذلك تفسير (افرايم) الذى كان قد وضعه فى اللغة الأرمنية بينما نسخة الإنجيل المنقحة فى الغرب ترجع إلى نسخة ناقصة وضعت قبل نسخة (تتيان) .

وغير هذه الترجمة نجد إنجيل المنشقين وإنجيلى المتحدين ثم أخذت تتوالى التراجم إلى مختلف اللغات الشرقية مثل الأرمنية والقبطية والحبشية وغيرها فى مختلف اللغات العالمية .

ابن الإنسان

والآن بعد هذا الحديث عن العهد الجديد وقبل الانتقال إلى أسفاره يجدر بالباحث أن يلقى نظرة على صاحب هذا الدين المسيح عيسى بن مريم هذه الشخصية التى عرض لها التلمود فسخر منها والقرآن الكريم فايدها وناصرها وعرضت لها الأناجيل فصورتها صورة لم توفق فيها فأخرجتها مهزوزة مشوهة، ولعل السبب فى ذلك هو أن الكتب المقدسة لم تكتب لتصف لنا حياته وسيرته. وقد حاول لوقا ذلك فى إنجيله فارخ الحوادث التى لديه وأدخل عليها شيئاً من الحياة فحدثنا عن طفولته وشبابه. كما أن الباحث لن يوفق فى تصوير المسيح إلا إذا نظر إليه كانسان أرضى عادى الإنسان يسوع الناصرى الذى يقول فيه بولس فى رسالته إلى أهل (فيلبى)[1] ليكن فيكم الفكر الذى كان فى المسيح يسوع فقد كان فى صورة الله ولم يعتقد أن مشابهته لله اختلاس منه وبالرغم من ذلك فقد جرد نفسه من هذه الصورة وأصبح عبداً فى صورة الناس واتضع وأطاع حتى الموت موت الصلب ...» وهو الذى يقول فيه بطرس فى أعمال الرسل[2] : أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال يسوع الناصرى رجل أيده الله بينكم بالآيات والمعجزات كما تعلمون».

ولعل أقدم المصادر التى يمكن الرجوع إليها لتصويره هى رسائل بولس إلى أهل فيلبى حيث تحدث الرسول فى الاصحاح الثانى بما يفهم منه أن المسيح

---

(١) ص ٢ ى ٥ — ١١

(٢) ص ٢ ى ٢٢

عاش كعبد ثم مات ثم بعث وهذا يتفق مع قوله الوارد فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس[١] « إننى سلمت إليكم أولا ما قبلته أنا أيضاً وهو أن المسيح مات من أجل خطايانا وأنه دفن وأنه قام فى اليوم الثالث » فمن هذه العبارات وغيرها نرى خبر وفاة المسيح وبعثه وخبر حياته على الأرض كعبد من عباد الله . ونقرأ فى أعمال الرسل[٢] الشيء الكثير عن صلبه . وفى الإصحاح العاشر أيضاً نقرأ كيف أن المسيح رحل إلى سائر البلاد اليهودية بعد أن عمده يوحنا وبدأ عمله فى الجليل حيث وعظ وحث على السلم وشفى الذين بهم مس من الشيطان[٣] .

فنرى من المواضع السابقة أن الحديث يدور حول المسيح وكلامه وأعماله التى أداها ثم نرى إجماعا خاصا بالآلام التى قاساها . وتجمع الأناجيل بالرغم مما مر بها على كلام المسيح وعمله (مرقس)[٤]

أما مولده فاقدم مصادر إعلان مجيئه لم يذكر تاريخه (مرقس)[٥] فالحديث عن المسيح هنا يظهر فقط عند الكلام عن يوحنا المعمدان ولا حديث عن طفولة المسيح أو ميلاده . كما يلاحظ أيضا ان الأصحاحين الأول والثانى من إنجيلى متى ولوقا مختلفان وأن إتفقا فى شيء ففى القليل النادر والأصحاحان يعرضان لميلاد المسيح بواسطة الروح من العذراء مريم بينما مرقس لا يعرف شيئا عن هذه الولادة العجيبة وبالعكس فقد ورد فيه ما يتنافى مع ما جاء فى متى ولوقا ويوحنا . ويذكر مرقس[٦] « ولما سمع أقرباؤه خرجوا ليمسكوه

---

(١) ص ١٥

(٢) ص ٢ — ٣ و ١٠و١٣

(٣) ص ١٣ ى ٢٤ — ٢٥

(٤) ص ١ ى ١٤ — ١٥و٢١ — ٢٢ وص ٢ ى ١٣ وص ٦ ى ٦ وص ١٠ ى ١ وأنجيل متى ص ٤ ى ١٢ — ١٧ وص ٧ ى ٢٨ — ٢٩ وص ١١ ى ١ وص ١٩ ى ١ ولوقا ص ٤ ى ١٤ — ١٥ وى ٤٤ وص ٨ ى ١ وص ٢١ ى ٣٧ — ٣٨ ويوحنا ص ٤ ى ١ ٤

(٥) ص ١ وأعمال الرسل ص ١٣

(٦) ص ٣ ى ٢١

لأنهم قالوا أنه مختل ، فمن هذه العبارة يفهم أنه لم ينظر إليه كما لوأنه ولد عن طريق معجزة أو أنه كان مهابا محترما . والشيء الثابت أن مرقس[١] يذكر ما يفيد أن علاقة المسيح بالله جاءته عن طريق المعمودية ويتفق معه لوقا فى ذلك (لوقا)[٢] ويخالفهما فى ذلك يوحنا[٣] إذ يذكر المسيح كابن ليوسف ومريم ومن الناصرة .

كذلك جدول النسب الذى ذكره متى[٤] .. يظهر المسيح وقد إنحدر من بيت داود الملكى ، وهو إبن ليوسف الذى ينتهى نسبه إلى داود .

تلك هى الفكرى الأولى عن المسيح كما تصوره الأناجيل أعنى أنه إبن ليوسف من نسل داود ومن ثم ظهرت الفكرة الجديدة القائلة ببكارة العذراء (لوقا)[٥] والواقع أن الفكرة القائلة بانحدار المسيح من بيت داود هى المسيحية الأصلية وهى التى يتفق فيها أيضا متى ولوقا بالرغم من وجود الخلاف فى جدول النسب الواردة فى (متى)[٦] ويذكر بولس فى رسالته إلى أهل رومية « عن إبنه الذى صار من نسل داود من جهة الجد » وجاء فى إنجيل مرقس « يا يسوع إبن داود إرحمنى » .

ومسألة أخرى جديرة بالملاحظة وهى أن القصص الخاصة بميلاده تجمع أو تكاد على أنه كان ببيت لحم لكن متى ص ١ ولوقا ص ٢ ينفردان عن سائر المراجع المسيحية القديمة بأخبار مختلفة متباينة فمتى يقول أن والدى المسيح كانا يسكنان بيت لحم ثم هجروها إلى مصر خوفا من هيرودس وعادا

---

(١) ص ١ ى ١ — ١١

(٢) ص ٣ ى ٢٢

(٣) ص ١ ى ٤٥ وص ٦ ى ٤٢

(٤) ص ١ ى ١٦ ولوقا ص ٣ ى ٢٣..

(٥) ص ١ ى ٣٤ — ٣٥ ومتى ص ١ ى ١٨ — ٢٥

(٦) ص ١ ولوقا ص ٣ ورسالة بوبس إلى أهل رومية ص ١ ى ٣ ومرقس ص ١٠ ى ٤٧

إلى أرض إسرائيل ثانية بعد وفاته لكن خوفهما من إبنه أرخيلاوس إضطرهما إلى الإنتقال إلى الناصرة فى الجليل ، بينما يقول لوقا أن سكنهما كان فى مدينة الناصرة إلا أنهما إنتقلا إلى بيت لحم حيث ولد المسيح صدفة بينما كانت تجرى عملية التعداد فى سوريا .

أما عملية التعداد التى يذكرها لوقا ص ٢ فغير صحيحة من الناحية التاريخية كما نعلم ذلك من التاريخ الرومانى وهناك خلاف بين متى ولوقا حول زمان ولادة المسيح فمتى يقول ص٢ أنه ولد أيام هيرودوس بينما لوقا يخالفه ويذكو كيرينيوس . والواقع أن هيرودوس توفى قبل الميلاد وخلفه إبنه أرخيلاوس وإن كان قد توفى بعد الميلاد إلا أنه لم يحدث فى عهده تعداد رومانى لاقليم يهوديه وذلك الذى حدث كان فى عامى ٦ — ٧ وبواسطة كرينيوس كما ذكر ذلك المؤرخ اليهودى (يوسفيوس فلافيوس) وغير هذه الخلافات نجد أخرى كثيرة فى القصص الواردة فى متى ولوقا والخاصة بحياة المسيح وطفولته .

وفى غير المراجع المسيحية نستطيع أن نتلمس أخبارا عن المسيح وهى وإن كانت قليلة نادرة إلا أنها تلقى شيئا من الشعاع على حياة هذه الشخصية العظيمة لكن مما يؤسف له حقا أن المؤرخين الرومان لم يذكروا شيئا يستحق الذكر فالمؤرح (سويتن Sueton) فى كتابه عن القيصر كلوديوس يعرض فى الفصل الخامس والعشرين لشخص يعرف بالمسيح لكن ليس من المؤكد أنه كان يعنى إبن مريم أو مسيحا آخر . ويذكر كذلك المؤرخ الرومانى تاسيتوس Tacitus) فى مذكراته حديثا عن مسيح أعدم أيام حكم القيصر طيبريوس والوالى (بونتيوش بيلاتس Pontius Pilatus) . وفى غير هذين المصدرين نجد إشارة أخرى فى مصدر سريانى فقد عرض له الكاتب السريانى (مارا بن سرابيون) فى خطاب له أرسله إلى إبنه (سرابيون) وفيه يقول أن اليهود إعدموا ملكهم الحكيم . وليست هذه القلة فى المعلومات

قاصرة على غير اليهود من المؤرخين بل نجد نفس الأمر عند اليهود أنفسهم فالمؤرخ يوسيفوس إكتفى بالإشارة إليه فى كتابه عبر العصور الغابرة، ولعل سبب هذا الإهمال رغبته فى تملق الرومان.

أما التلمود فقد وقف من المسيح والمسيحية موقفا عدائيا ويكفى أن اقرر هنا أن العبرية اختلقت منذ عشرين قرنا لفظ «ممزير» ومعناه لقيط واختصت به المسيح واتباعه بكثير من الالفاظ والأفعال المهينة التى جاءنا بعضها فى المصادر اليهودية مثـــل المدراش والتلمود أو المصادر اليهودية المسيحية كالعهد الجديد سواء فى الاناجيل أو الرسائل. وقد انتقلت هذه العدوى من المصادر اليهودية إلى بعض المؤلفين الذين كتبوا فى اليونانية أمثال (يوستينوس) و (بيوميوس) و (اوربجينيس) أو الذين خلفوا لنا أثارهم العلمية فى اللاتينية مثل (أمولو) و (أجوبارد) و(ترتليانوس)

واليهودية فى هجومها على المسيح والمسيحية تعرضت لنواحى مختلفة من المسيحية حتى لفظ «أنجيل» لم ينج من السخرية والتعريض فلفظ (أنجيل) هو اليونانى «افنجليون»

وقد جاء بخصوصه فى التلمود البابلى إن ربى ماير كان ينطقه «أون جليون» ولفظ «أون» فى العبرية يدل على الكذب والخداع، كما أن لفظ «جليون» يعنى «وثيقة». وغير ربى ماير نجد مثلا ربى يوحنان فقد كان ينطقه «عون جليون» ولفظ «عون» يرادف «أون» فمعنى لفظ «أنجيل» حسب تخريج حكماء اليهود فى التلمود ليس «بشارة» بل «وثيقة الكذب والخداع»[١].

وقد حفظ لنا التلمود البابلى قصة طريفة جاءت في ثناياها هذه السخرية بالأنجيل فيحكى إن السيدة (إيما) شالومو زوج ربى اليعازر وأخت ربى

---

(١) راجع التلمود البابلى. سيدر موعد. فصل شبات.

جمليان توجهت برفقة أخيها إلى جار لهما اشتهر بالعلم والحكمة يستفتيانه فى ميراث تركه والداهما ، وانتهزت السيدة (إيما) هذه الفرصة وأهدت الحكيم منارة من الذهب ومن ثم طلبت إليه رأيه فى هذا الميراث فافتى لها باحقيتها فيه فاعترض ربى جمليان وقال : لقد جاء فى سفر العدد حيث يوجد ابن لا ترث البنت : فاجابه الحكيم : هل طردتما من أرضكما ؟ إن كنتما كذلك فشريعة موسى لا تطبق عليكما ويطبق الأفون جليون وقد جاء فيه : الولد والبنت يرثان معا :

وفى اليوم التالى عادت (إيما) وأخوها الذى أحضر معه حمارا ليبيا وقدمه هدية للحاخام وسألاه رأيه ثانية فأجابهما : لقد واليت البحث فى الافون جليون فوجدت فيه — لا تظنوا انى جئت لأنقض بل لأكمل : وأنتهيت إلى شريعة موسى التى تقرر حيث يوجد ولد لا ترث البنت . فقالت السيدة (إيما) : أن نورك يضىء مثل المنارة . فقالى جمليان : أن الحمار جاء وداس المنارة .

وإذا تركنا لفظ « انجيل » إلى جوهر المسيحية أعنى طهارة مريم التى هى عبارة عن الدعامتين الأساسيتين اللتين تقوم عليهما المسيحيه وجدنا اليهودية تهاجمهما وتشكك فيهما فالمسيح روح الله وكلمته فحمله ووضعه آيتان من آيات الله البينات .أما اليهودية فقالت عن البتول فى التلمود أنها امرأة ساقطة مصففة شعور النساء وهى البغى المتجولة فى الأزقة والأسواق (التلمود البابلى باب كلا) فقد جاء ما معناه : أن اللقيط ـ المسيح ـ حسب رأى ربى اليعازر هو ابن زناه وقد حملت به أمه سفاحا ووضعته كما تحمل المرأة وتضع :

وجلس الحكماء مرة عند مدخل المدينة فمر بهم طفلان أحدهما حاسر الرأس فقال ربى اليعازر : أن هذا الطفل حاسر الرأس ابن زناء : فاعترض ربى يهوشع وقال : أنه من امرأة حملت به ووضعته كما تحمل وتضع النساء

يعنى لا معجزة ـ أما ربى عقيبة فقد خالفهما قائلا أنه ابن زناء ووضعته أمه كغيرها من الأمهات ، فاعترض عليه الحكماء قائلين كيف انتهيت إلى هذا الرأى فأجابهم سأبرهن لكم على صحة قولى وتوجه إلى والدة الطفل وكانت فى السوق تبيع بقولا فخاطبها قائلا : يا بنيتى إذا أجبتنى على سؤالى دعوت لك لتبلغى الحياة الأخرى . فأجابته مريم : احلف لى أنك ستفى بوعدك : فاقسم لها ربى عقيبة بشفتيه واضمر خلاف ذلك فى قلبه وسألها ما قصة ابنك ؟ فأجابته لما كنت مخطوبة وتوجهت إلى غرفتى عذراء بعيدة عن زوجى جاءنى رجل ونام معى ، وهكذا كان لى هذا الغلام الذى اعتبر ابن زناء وحملت به ووضعته كغيرى من الأمهات : فقال الحكماء : عظيم هو ربى عقيبة فقد أفحم معلميه وقالوا مبارك (يهوه) الذى كشف السر لربى عقيبة بن يوسف :

وفى نفس المصدر تتكرر هذه التهمة الشنيعة أعنى تهمة الزناء فقد جاء ما معناه « أن بلعام (يسوع) بن (بعور) كان ساحراً ولم يكن نبياً هكذا قال ربى يوحنان فقد بدأ نبياً وانتهى ساحراً فقال ربى (فافا) يقول الناس أن مريم انحدرت من امرأة قوادة ومن ثم فهى تزنى مع النجارين »

غالى اليهود وتفننوا فى نهش السيدالمسيح والكيد له فاليهود يقولون أنه ابن زناء وهو ابن (بنديرا) نسبة إلى شخص يقال عنه أنه والد يوسف النجار أو جد ام المسيح وأحياناً يطلقون عليه اسم (بلعام) بن بعور أو ابن سطادا أو ابن آخرين من الناس سخرية منه وازدراء له ، وإذا تركنا التلمود والمدراش وانتقلنا إلى الإنجيل وجدنا صورة أخرى للسيد المسيح تبين لنا مدى الامتهان الذى لاقاه ابن العذراء من اليهود ففى انجيل متى الاصحاح ١٣ الآيات ٥٥ . . نقرأ مثلا « أليس هذا ابن النجار أليست امه تدعى مريم واخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا اوليست اخواته جميعهن عندنا فمن اين لهذا هذه كلها ؟ فكانوا يعثرون به،واما يسوع فقال لهم ليس لنبى كرامة فى وطنه وفى بيته :

ومن ثم نقرأ فى موضوع آخر فى نفس الإنجيل كيف أن اليهود قوموه كما تقوم البهائم بثلاثين قطعة من فضة فقد جاء فى الإصحاح السادس والعشرين الآية ١٤ .. من إنجيل متى « حينئذ ذهب واحد من الإثنى عشر الذى يدعى يهوذا الأسخر يوطى إلى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه إليكم فجعلوا له ثلاثين من الفضة » .

وفى موضع آخر من إنجيل متى الإصحاح السادس عشر الآية ٦٧ نجد إهانة للسيد المسيح من نوع آخر فقد جاء «حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك ؟ وفى إنجيل يوحنا الإصحاح الثامن آية ٤٨ يتهمه اليهود بأنه سامرى وبه شيطان . وفى يوحنا الإصحاح العشرين الآيه ١٥ أعتقد القوم أن بستانياً ألقى بجسده بعيداً فقد جاء فى الموضع السابق « قال لها يسوع يامرأة لماذا تبكين ؟ من تطلبين ؟ فظنت أنه البستانى فقالت « ياسيد إن كنت أنت قد حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه .

ونقرأ فى التلمود (توشفتا شبات ١١و١٥)أنه قامت مناقشة بين أحبار اليهود فقال أحدهم أن الذى يجرح جسداً يوم السبت يستحق حسب رأى ربى اليعازر العقوبة إلا أن الحكماء قالوا ببراءته فاعترض ربى اليعازر قائلا ألم يتعلم ابن سطادا السحر عن هذا الطريق فقط ؟ فأجابوه أبسبب مجنون يعاقب العقلاء ؟ فمن هذه المسألة نتبين تقدير اليهود للمسيح .

وفى (تعنيث الفلسطينية ٢ و ١) نقرأ معارضة بين أقوال المسيح والتوراه ومنها نتبين البغض والكراهية للمسيح وتعاليمه فقد جاء فى هذا الموضوع « قال ربى أباهو » إذ قال شخص — أنا الله — فهو كاذب أنا ابن الإنسان فسيكفر عن ذلك. واصعد إلى السماء فأنه يحقق ذلك ألم يرد فى سفر العدد أصحاح ص ٢٣ آية ١٩ (ليس الله إنسانا فيكذب ولا ابن إنسان فيندم

هل يقول ولا يفعل اويتكلم ولا يفى . وفى توشفتا رباتى ١٠٠ب و١٠١ أقال ربى حيي بن أبا إذا قال ابن الزانية لك يوجد الهـان فأجبه أنى الـآه البحار أنى الـآه سيناء) .

ولم يقف أمر اليهود عند هذا فقد جاءنا فى (توشفتا حللين ٢٣ و ٢) ما يفهم منه أن اليهود كانوا يفضلون أن يموت المريض ولا يشفى على يد المسيح فيحكى أن اليعازر بن داما نهشته حية فزاره شخص من كفر ساما يدعى يعقوب ورغب فى شفائه باسم يسوع بن بنتيرا لكن شخصاً آخر كان حاضراً يدعى ربى يشمعئيل اعترضه وأصر ألا يقدم على فعلته المنكرة هذه فقال ابن داما مخاطباً ربى يشمعئيل اؤكد ذلك أن هذا جائز شرعاً وبينما هو يناقشه توفى اليعازر فقال ربى يشمعئيل مبارك أنت ياليعـازر لقد انتقلت الآن إلى الملكوت ولم تكفر فقد جاء فى الجامعة الإصحاح العاشر الآية الثامنة من يحفر هوة يقع فيها ومن ينقض جداراً تلدغه حية .

وبعد حياة مرة تعرض فيها السيد المسيح لاضطهـاد اليهود نجحـوا فى التنكيل به فهم يروون أنهم رجموه لأنه إرتكب جريمة السحر وضلل إسرائيل وأن أحدا من القوم لم يتقدم ليذكره بخير ويذكر التلمود البابلى (سنهدرين٤٣) أن إسماعيل بن اللاذكر « لم يكن عيسى من الأهمية بحيث يتقدم فرد محاولا تبرءته لقد كان مضللا » .

هذا هو السيد المسيح لم يترك اليهود نقيصة الا الصقوها به فهو فى زعمهم إبن زناء والأحمق المجنون والسامرى الملعون والساحر الرجيم والمضلل اللئيم وهو من التفاهه وحقـارة الشأن بحيث أن أحـدا لم يفكر فى أن يذكره فى الأوقات العصيبة التى مر بها بخير .

والآن بعد أن استعرضنا موقف المصادر القديمة من يهودية ويهودية مسيحية ووثنية نعرض لميلاد المسيح. فى أى عام ولد هذا ما لا يمكن التثبت

منه فحسب رواية متى ص ٢ يفهم أنه ولد أيام حكم هيرودوس العظيم لكننا نعلم من ناحية أخرى أن هيرودوس هذا توفى عام ٧٥٠ بعد تأسيس روما (أب أوربة كونديتا ab urbe Condita) أعنى فى العام الرابع ق . م . ولوقا يذكر[١] ما ملخصه أن يوحنا المعمدان أخذ يعمد فى العام الخامس عشر من حكم الملك طيبريوس ويقول لوقا فى نفس الإصحاح أيضاً[٢] أن فى ذلك الوقت كان عمر المسيح يقرب من الثلاثين وهذا خطأ وذلك حسب رواية مرقس[٣] نعلم أن المسيح ظهر بعد القبض على يوحنا وإنجيل يوحنا يضع الإثنين معاصرين لبعضهما .

وكما أن هناك خلافا فى تاريخ ميلاده كذلك الحال فى تاريخ وفاته . ففى (ترتليان) نقرأ أن عام وفاته كان التاسع والعشرين وهذا التاريخ لا يتفق مع ما جاء فى لوقا ص ٣ ى ١ « السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيبريوس قيصر إذ كان بيلاطس البنطى واليا . لكن قد يكون من الراجح أنه صلب أيام بيلاطس (٢٦ — ٣٦) لكن بما أن بيلاطس هذا لم يكن فى العام السادس والثلاثين موظفاً وأن يوحنا المعمدان بدأ عمله عام ٢٨/٢٩ فالتاريخ الذى يهمنا هو فى الواقع فيما بين عامى ٢٩ — ٣٥ .

وليس الخلاف حول عام الوفاة فحسب بل يوم الوفاة أيضاً فنحن لا نعلم بالضبط مدة تكريز المسيح ولا يوم وفاته[٤] فمتى ومرقس[٥] ولوقا[٦] يوحنا[٧] يجمعون على أنه يوم جمعة لكن أى جمعة من جمع الشهر الأناجيل الثلاثة

(١) ص ٣
(٢) ى ٢٣
(٣) ص ١ ى ١٤
(٤) متى ص ٢٧ ى ٦٢ وص ٢٨ ى ١
(٥) ص ١٥ ى ٤٢
(٦) ص ٢٣ ى ٥٤
(٧) ص ١٩ ى ١٤ و٣١

الأولى متى ولوقا ومرقس (مرقس[١] تقول أن المسيح قبض عليه فى ليلة عيد الفصح وفى الصبح أمر بيلاطس بصلبه أعنى فى ١٥ نيسان (يوحنا[٢] وإذا علمنا أن أول أيام عيد الفصح يبتدأ من الساعة السادسة مساء من اليوم الرابع عشر من شهر نيسان وينتهى فى تمام الساعة السادسة من مساء اليوم الخامس عشر وأن هذا اليوم يعتبر كيوم السبت أعنى مقدساً ولا يجوز أن تنظر فيه قضية أو يصدر فيه حكم أدركنا ضعف رأى الإناجيل الثلاثة الأولى بينما ما ذكره يوحنا أعنى أن القبض والصلب يوم ١٤ تاريخ معقول ، وإن كان هناك طعن يمكن توجيهه إليه وهو فى أى عام من الأعوام كان أول عيد الفصح يوم ١٤ أو ١٥ نيسان هذا ما نعجز عن الإجابة عليه .

هذا هو موقف التلمود وغيره من الكتب اليهودية من السيد المسيح والمسيحية عرضناه فى إيجاز حريصين على التزام النصوص اليهودية المقدسة لديهم ولاشك عندى فى أن هذا الموقف اليهودى يجافى الحقيقة والواقع وشاء الله تعالى أن ينتصف لنبيه وعقيدته فأنزل على سيدنا محمد رسوله الكريم من الآيات البينات مايدحض هذه الافتراءات فجاج القرآن الكريم اليهود واستعدى التاريخ مدللا من ماضى اليهود على قسوتهم وفجورهم فجاء فى صورة البقرة « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » وفى سورة الأنعام نرى القرآن الكريم يشرك مع المسيح زكريا ويحي وهو يوحنا المعمدان والياس حيث جاء « وزكريا ويحي وعيسى والياس كل من الصالحين ».

أما الإنجيل الذى سخر منه اليهود فقد وقف منه القرآن الكريم موقفاً

---

(١) ص ١٤ ى ١٢ و ٢٧

(٢) ص ١٣ ى ١ و ٢٩ وص ١٨ ى ٢٨ وص ١٩ ى ٣١

ولا شك أكرم من موقف التلمود فالقرآن الكريم قد ذكره تصريحاً إثنتى عشرة مرة تحدث عنه هدى للناس ونوراً ، ومن ثم فهو يطالب أصحاب التوراة والإنجيل بأتباعهما فقد جاء فى سورة المائدة « لستم على شىء حتى تقيموا التوراه والإنجيل» وفى آل عمران « جاء « وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس » .

وكما استنكر الإسلام موقف التلمود من الإنجيل كذلك الحال مع السيدة مريم فقد هاجم الإسلام فى أكثر من موضع تهمة الزناء التى رماها بها التلمود ففى سورة آل عمران نقرأ قوله تعالى «وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين « وفى سورة النساء » وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما » وفى سورة التحريم « ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » .

هذا فيما يتصل بتهمة الزناء أما التهمة الأخرى الخاصة بأنها حملت بالمسيح ووضعته كغيرها من النساء فقد أولاها الوحى المحمدى عناية كبرى فقد جاء فى سورة المؤمنون « وجعلنا ابن مريم وأمه آية » .

الأناجيل

الآن بعد أن تعرضنا للعهد الجديد عامة وتحدثنا عن تاريخ هذه المجموعة المقدسة ، وعن السيد المسيح وبولس الرسول ويوحنا المعمدان فى شىء من الإيجاز ننتقل إلى الحديث فى شىء من التحليل الى محتويات العهد الجديد مفصلين ما يجب تفصيلة ولنبدأ بالأناجيل .

تدرس الأناجيل عادة من الناحية الأدبية لمعرفه العلاقة فيما بينها من حيث مصادرها وزمن تاليفها وموضوعاتها . فمن حيث قيمتها الأدبية فالعناية يجب ان توجه إلى قيمتها الذاتية أولا ومركزها فى الأدب العالمى ثانياً . كذلك دراسة العناصر المتواترة وتاريخها منذ أن كانت على السنة العامة حتى تم تدوينها فى مختلف الأناجيل .

لفظ « إنجيل » يونانى الأصل فهو (أفنجليون) ولم يستخدم أصلا للأشارة إلى ضرب خاص من ضروب الأدب بل للتعبير عن جوهر البشارة المسيحية ومن ثم استعمل فيما بعد للتعبير عن « سفر الإنجيل » وهكذا انتقل اللفظ إلى التعبير عن هذا النمط الأدبى وكما أن تاريخ الأدب لم يعرف الأناجيل من قبل كذلك الحال فيما بعد وذلك لأن تاليف الأناجيل ازدهر حتى القرن الثانى الميلادى إلا أن الكنيسة أوقفت هذا النشاط وقضت عليه فاعترفت بأربعة أناجيل شرعية فقط وألغت ما عداها وأن وصلتنا بقاياها.

وهذه الأناجيل سواء الشرعية منها او غير الشرعية ليست كتب سير تاريخية فهى لا تتحدث عن المسيح من ناحيته البشرية أو أصله الذى انحدر منه وتربيته وتطوره وظهوره وأخلاقه فهى من هذه الناحية لا يمكن اعتبارها أسفاراً أدبيه رفيعة تمتاز بالتنسيق والجمال الفنى ووضوح الشخصية أعنى شخصية

شاؤل المسيحية لا ليكون فردا عاديا أو جنديا من جنود لواء الأساس بل ليكون قائدا يتقدم الصفوف ويبشر بالمسيحية فى مختلف المدن والجهات ، وقد أعلن هذا صراحة فى غلاطية(١) وبدأ رسالته فى دمشق وبلاد العرب وبعد إقامة قصيرة فى أورشليم إنتقل إلى الشام وقليقيا ومضى بعض الوقت فى طرسوس حيث أخذه برنابا إلى إنطاكية ، المدينة التى تجمعت فيها جموع اليهود التى دخلت المسيحية واضطرها خصومها إلى الهجرة(٢) ثم نقرأ بعد ذلك كيف ينظم بولس رحلاته التبشيرية العظيمة التى تحدثنا عنها أعمال الرسل . وهذا التعصب للمسيحية هو الذى دفع يهود أورشليم إلى إنتهاز فرصة حضوره بينهم وإتهامه بالتحريض على العبث بالأمن والدعوة إلى الثورة فقبض عليه وأرسل إلى روما لمحاكمته ويرجح أنه إستشهد هناك(٣)

ولو أن بولس لم يكن أول من بشر بالمسيحية أو أسس جماعاتها إلا أنه يرجع إليه الفضل فى ضم صفوف هذه الجماعات المختلفة والتأليف بينها كما اتخذ أورشليم قبلة للمسيحيين وجعلها المحور الذى تدور حوله لا الديانة المسيحية فحسب بل إتباعها أيضا(٤) بولس هو الذى دعم الكنيسة التى هى فى الواقع تطور لفكرة شعب الله اليهوديه كما جعل المسيحية تشعر بأنها دين جديد وسط ذلك العالم الهلليني .

وبعد أن تم لبولس ما أراد خلق اللاهوت المسيحى وخلص الفكر النصرانى من عالم الأساطير فتجلى لنا فى صورته الحالية من حيث فهم الإنسان والوجود والله وذلك بفضل آثاره الروحية والعقلية ورسائله التى إستحقت بجدارة أن تكون نصوصا تقرأ حتى اليوم من فوق منابر الكنائس . وقد

---

(١) ص ١ ى ١٥ - ١٦

(٢) أعمال الرسل ص ١١

(٣) أعمال الرسل ص ٢١ ى ١٧ - ص ٢٨ ى ٢١ وكذلك ص ٢٠ - ٢١

(٤) رسالة كورنثوس الأول ص ١٦ والثانية ص ٧ - ٩ ورسالة الرومانيين ص ١٥

حرر بولس رسائله لتلاميذه وأعوانه أمثال (تيموتاوس) و (تيطس) يدعو فيها إلى مكافحة الالحاد وتنظيم الجماعة وقيادتها وتدعيم الكنيسة ورفع المستوى الخلقى ووجوب العمل على المحافظة على بقاء التعاليم المسيحية وصفائها . وتعتبر هذه الرسائل وثائق رسمية كتبها بولس كرسول لا كصديق وفى أسلوب لغة الرسائل الذى كان سائدا فى ذلك العصر الهلينى اعنى ذلك الاسلوب التعليمى الذى تطور عن اسلوب المحاورة والذى نجده فى الفلسفة الشعبية الرواقية إلى جانب عناصر البلاغة السامية التى إكتسبها بولس من دراسة العهد القديم .

أما عصر وضع هذه الرسائل فيرجع إلى القرن الثانى الميلادى .

يوحنا المعمدان

تحدثنا عن السيد المسيح وبولس الرسول بقى أن نعرض لشخصية ثالثة لها مكانتها الخالدة فى قيام المسيحية إلا وهى شخصية « يوحنا المعمدان » فهو من أهم الرجال الذين عاصروا السيد المسيح ونص العهد الجديد على ذلك[1] وانحدر يوحنا (يحي) هذا كما يحدثنا إنجيل لوقا من زكريا واليصابات، وكان زكريا كاهناً وقد قام يوحنا هذا بأدوار هامة فى حياته كما جاء فى مرقس[2] مع ملاحظة أن هذه الأناجيل تحاول أن تصوره لنا كمسيحى وتصف تعميده كما لو أنه تعميد مسيحى . فمرقس يذكر فى إنجيله[3] : كان يوحنا يعمد فى البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا : وليس من الصواب ان نعتقد أنه كان مبشراً بمجىء المسيح وذلك لأنه من الآية الثانية من الإصحاح

---

(١) متى ص ١١ ى ١١ ولوقا ص ٧ ى ٢٨ : الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان إلى الآن ، ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه

(٢) ص ١ ى ١ — ٨ ومتى ص ٣ ى ١ — ١٢ ولوقا ص ٣ ى ١ — ٢٠

(٣) ص ١ ى ٤

التاسع عشر من أعمال الرسل نقرأ : قال لهم هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم ؟ قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس : ومن هذه الآية نتبين أنه يشك فيما إذا كان يوحنا المعمدان قد صور المسيح حقيقة معمداناً روحياً . وقد حاول المتقدمون تصوير يوحنا كمسيحى وهذه الصورة هى التى نجد ظلها فى الأناجيل خاصة إنجيل يوحنا . كما نجد يوسيفوس يحدثنا عنه كواعظ أخلاقى بينما المعمودية طهارة للجسد فقط وهى ضرورية لطهارة الروح .

ويرجح أن يوحنا ظهر فى العام الخامس عشر من حكم طبريوس[1] وتطابق هذه السنة حسب التقويم السريانى لسنوات القيصر العام التى تبدأ من أول أكتوبر عام ٢٧ وتنتهى أول أكتوبر ٢٨ . وكان يوحنا المعمدان يعظ فى الصحراء ويرجح أن ذلك كان عند نهر الأردن

أما ملابس يوحنا وأكله ومذهبه فى الحياة فتشبه ملابس وطعام وحياة الأنبياء المتقدمين فكان يحب العزلة ويبتعد عن المدينة ويكثر من تحذير مستمعيه ولم يأت بمعجزات واكتفى بالكلمة كما تحدث عن شخص آخر سيأتى بعده وهو أكبر وأعظم منه أعنى المسيح وهو الديان .

أما وفاته فقد صورها مرقس فى انجيله[2] والقارىء يدرك لأول وهلة أنها قصة خيالية . وفى متى[3] نقرأ نفس القصة مختصرة . أما لوقا فقد أهمل القصه واكتفى بالإشارة الى اعتقاله فقط[4] لكن المؤرخ اليهودى يوسيفوس يذكر أن الظروف السياسية التى أحاطت بهيرودوس جعلته يأمر بالقبض على يوحنا ويأمر بقتله وهنا يتعارض يوسيفوس مع ما ذكره من قبل من أنه كان واعظاً خلقياً لا خطر منه .

---

(١) لوقا ص ٣ ى ١ـ٣

(٢) الإصحاح ٦ ى ١٧ـ٢٩

(٣) ص ١٤ ى ٢ـ١٢

(٤) لوقا ص ٣ ى ١٩ـ٢٠

بولس

وإذا تحدثنا عن المسيح كمؤسس للمسيحية أو بتعبير أدق كمخطط لها وجب علينا أن نعرض لشخصية أخرى حملت لواء الكفاح فى سبيل تطبيق هذه التعاليم التى دعا إليها المسيح وتوطيد أقدامها أعنى « بولس » الرسول

وكان يدعى قبل إعتناقه المسيحية شاؤل وولد فى طرسوس من أعمال قليقية[1] (أعمال الرسل ص٢٢ى٣) من أبوين يهوديين من سبط بنيامين . وكانت هذه الأسرة شديدة الحرص على تقاليدها ويهوديتها حتى أن شاؤل نفسه يحدثنا عن هذا النسب مفاخراً معتزاً فى الاصحاح الثالث من رسالته إلى أهل فيلبي حيث يقول من جهة الختان . «ختنت فى اليوم الثامن من جنس إسرائيل من سبط بنيامين عبرى من العبريين وعلى مذهب الفريسيين . » وقد درس اليونانه وعنى بالفلسفة الرواقية فملك ناصية اللغة وأجاد من الفلسفة ما إفصل بالضمير والحرية والواجب .

بشر باليهودية وحارب المسيحية[2] واحاط سفر أعمال الرسل هذا الإيمان باطار من القصص والخيال الجميل[3] لكن هذا الدين الجديد لم يبعث فى شاؤل شيئاً من الأسى والألم أو الحسرة والندم على ماضيه الغابر الذى قضاه فى التبشير باليهودية ومحاربة المسيحية بل على النقيض من هذا نراه حتى بعد أن أخذ يدين بالنصرانية يفخر بماضيه ويمنن على المسيحيين شخصيته بهذا الماضى[4] وإعتنق

---

(١) أعمال الرسل ص ٢٢ ى ٣

(٢) غلاطية ص ١ ى ١٣ وى ٢٣ وفيلبى ص٣ ى ٦ وأعمال الرسل ص ٩ وص٢٢ ى ٤ــ ٥ وص ٢٦ ى ٩ ــ ١١ كما إحترف صناعة الخيام (أعمال الرسل ص ١٨ ى ٣) . ثم رأى شاؤل المسيح فآمن به (رسالة كورنثوس الأولى ص١٥ ى ٨)

(٣) ص ٩ وص ٢٢ وص ٢٦ .

(٤) غلاطية ص ١ ى ١٣ــ١٤ وفيلبى ص ٣ ٤٢ .

المؤلف والتعبير عن غاية خلقية أو هدف علمى . كما أننا لا يمكننا ضم هذه الأناجيل إلى هذا الضرب من الأدب الذى نجده فى المذكرات والسير لأننا هنا أمام نصوص نقرأ فيها بعض الحوادث القصيرة والعبارات المفككة الأوصال التى لاتتصل حتى بحياة رجال مشهورين وبالإضافة الى ذلك فهذه الحوادث وتلك العبارات ينقصها التحقيق التاريخى والدقة العلمية كما أنها فى حاجة إلى ظهور شخصية المؤلف .

وإذا كان الأمر كذلك فإلى أى ضرب من ضروب الأدب نستطيع أن ننسب هذه الأناجيل إليه ؟ لاشك فى أنها تتصل اتصالا وثيقاً بهذا الأدب العادى أو إن شئت فقل الشعبى ، وذلك لأن بعض الحوادث الواردة فى الأناجيل ، وكثيراً من العبارات والمحاورات إنما هى من نتاج عقلية شعبية تشبه عقلية بعض الأولياء والقديسين أمثال (أيزوب) و (أبولونيوس) والذى نجد صورته فيما بعد فى الرهبنة المسيحية وأعمال القديسين . وفى أدبنا الشرقى الشعبى تشبه قصة احيقار من حيث اشتمالها على حوادث وأخبار بها بعض الحكم والأمثال .

وغير قصة إحيقار نجد قصصاً شعبية أخرى تقرب من قصص الأناجيل وبخاصة تلك المنتشرة فى الشرق الأقصى وتدور حول بوذا . ووجه الاتفاق بين الأناجيل وهذه القصص أن مؤلفيها ليست لهم شخصية المؤلف الحقيق كما أنهم لا يهدفون إلى غرض علمى بعينه ولا يتصفون بصفة العالم المدقق او المؤرخ المحقق أو العالم النفسانى الذى يعالج النواحى الإنسانية المختلفة هذا مع مراعاة أن هذه الأناجيل أصبحت تعمل لتكوين دين ولتقرأ فى الطقوس الدينية وبخاصة لكثرة المواعظ الواردة بها .

. . .

ويقسم الباحث هذه الأناجيل الأربعة الشرعية إلى قسمين رئيسين

الأول ويشمل متى ومرقس ولوقا والثانى عبارة عن يوحنا . أما علة هذا التقسيم فالصلة القوية التى تربط بين الثلاثة الأولى لتجعل منها وحدة لا تنفصم فهى تمتاز باهتمامها بخطب وأعمال وتاريخ المسيح وبالرغم من الفوارق العديدة الموجودة بينها إلا أنها قريبة جداً من بعضها حتى أنه من السهل جمع الأجزاء المتشابهة فيها وبحثها دفعة واحدة .

أما وجه القرابة بين هذه الأناجيل الثلاثة بالرغم من الاختلافات التى نجدها أيضاً ينحصر فيما يلى :

١ — طريقة العرض والمحتويات التى تتحدث عن المسيح وعمله فى الجليل ثم عن رحلته واخيرا عن إقامته فى أورشليم .

٢ — تتفق فى ترتيب ذكر الحوادث لا من الناحية التاريخية بل من الناحية الموضوعية(١)

٣ — اتفاقها فى الألفاظ والتعبيرات اليونانية(٢)

وقد استرعت هذه العلاقة الموجودة بين هذه الأناجيل الثلاثة أنظار كثيرين من العلماء فذهبوا فى تعليلها مذاهب شتى فمنهم من قال أن إنجيلا منها ألف أولا ثم جاء المؤلفان المتأخران واستغلا الأول. ومن أنصار هذا الرأى (يوحنا يعقوب جريسباخ) (١٧٤٥-١٨١٢) العالم اللاهوتى البروتستنتى الذى اشتهر بمؤلفاته العديدة فى العهد الجديد . وفريق آخر يتزعمه (فرديننت كريستيان بور) (١٧٩٢ - ١٨٦٠) مؤسس الدراسات اللاهوتية فى جامعة توبنجن وترك للعالم كثيراً من الرسائل والكتب العلمية حول العهد الجديد

---

(١) مثلا مرقس ص ٢ — ٣ — ى ٦ تقابل لوقا ص ٥ ى ١٧ ومتى ص ٩ ى ١ — ١٧ وص ١٢ ى ١ — ١٤

(٢) كما هو ملاحظ مثلا فى التعبير الوارد فى مرقس ص ٢ ى ١٠ فهو يقابل متى ص ٩ ى ٦ ولوقا ص ٥ ى ٢٤ .

ويرجع هـذا التشابه بين الأناجيل الثلاثة الى الرغبة الملحة فى تحقيق غاية واحدة فمتى كان يهودياً مسيحياً ولوقا وثنيا مسيحياً وحاول مرقس أن يكون وسطاً .

أما الفريق الثالث من العلماء فيعلل هذا التشابه بإرجاعها جميعهـا إلى مرجع واحد ضاع ولم يصلنا . هذه هى خلاصة الآراء المختلفة حول تعليل وجوه الشبه بين الثلاثة الأولى منها ويرجح كثيرون من علماء اللاهوت أن انجيل مرقس يعتبر نسبياً اقدم كل من متى ولوقا وأن الإثنين الاخيرين استعانا به فى انجيليهما ومن الأدلة التى تساق لتأييد هذا الرأى :-

١ — كل مادة مرقس نجـدهـا عنـد متى ولوقا عـدا ثلاثة مواضع امتاز بها مرقس وهى .

(ا) البذار والأرض ص ٤ ى ٢٦ - ٢٩ .

(ب) الشفاء عن طريق اللمس ص ٧ ى ٣٢ - ٣٧

(ح) الشفاء عن طريق اللمس ٨ ى ٢٥ - ٢٦

وعلى العكس من ذلك نجد المادة التى اشترك فيها متى ولوقا واردة أيضاً فى مرقس لكن فى صورة تدل على أنها أقدم(١).

٢ — يذكر كل من متى ولوقا الأخبار التى أخذت عن مرقس مرتبة ترتيب مرقس لها وما شذ عن هـــذا لا يكاد يذكر وأن شذ متى اتفق لوقا والعكس .

٣ — أسلوب مرقس ولغته يظهر أن أنجيله كان الأساس الذى اعتمد عليه كل من متى ولوقا . ففى لغة مرقس نجد الأثر الأرامى قوياً جداً وهو يعرض للحوادث بأسلوب قصصى شعبى خال من الفن الأدبى والجمال النثرى بينما إذا لجأنا إلى كل من متى ولوقا وأطلعنا على لغة المواضيع التى عرض لها

---

(١) قارن مثلا متى ولوقا ص ٤ ومتى ص ٨ ى ٥ مع لوقا ص ٧ .

مرقس وجدنا خلافا كبيراً فالأثر الآرامى ضعيف جداً والأسلوب اقتحمه شيء من التهذيب كما نلمح فيه الأثر اليونانى قوياً .

٤ — من الناحية اللاهوتية نجد المادة الواردة فى مرقس تمثل الحالة التشريعية القديمة التى لم تدخل عليها عوامل التغيير والتطور فهو يذكر فى الاصحاح الأول ى ٣٢ كيف شفى المسيح عدداً كبيراً من بين المرضى بينما متى ص ٨ ى ١٦ يذكر أنه شفى جميع المرضى(1). وكذلك يذكر مرقس(2) أن اقارب المسيح دعوه مجنونا ولم يذكر هذا الخبر متى ولوقا ويذكر مرقس(3) أن المسيح لم يستطع الإتيان بمعجزة فى مدينة الناصرة غير المؤمنة بينما يذكر متى ص ١٣ ى ٥٨ أنه لم يفعل كثيراً . أما لوقا فيهمل كذلك الخبر القائل أن الابن أيضاً لا يعلم اليوم والساعة بينما يرد فى مرقس(4) غير هذا .

ولا يذكر لوقا الخبر الذى نجده فى مرقس(5). اعنى العبارات التى تفوه بها المسيح عند الصلب « الـهى والـهى لماذا تركتنى »

فنحن بمقارنة هذه الأناجيل الثلاثة يتضح لنا دائماً أن متى ولوقا يأتيان متأخرين عن مرقس .

٥ — من دراسة لوقا ومتى يتبين لنا أن كلا منهما متأثر بمراجع متعددة بدليل المسائل المتكررة فتكرارها مع بعض الاختلافات لن يعلل إلا باختلاف المراجع وتعددها . كذلك نلحظ أن متى ولوقا يذكر ان الأخبار الخاصة بكلمات وحكم وخطب المسيح ويتفقان فى هذه المواضيع من حيث الترتيب ومن حيث النص وليس معنى هذا أن أحدهما أخذ عن الآخر فهذا

---

(١) قارن لوقا ص ٤ ى ٤٠

(٢) ص ٣ ى ٢١

(٣) ص ٦ ى ٥

(٤) ص ١٣ ى ٣٢ ومتى ص ٢٤ ى ٣٦

(٥) ص ١٥ ى ٣٤ ومتى ص ٢٧ ى ٤٦

ما لم يقم الدليل على صحته والرأى الراجح هو أن كلا من متى ولوقا استغلا مصدراً آخر غير مرقس وعن هذا المصدر الثانى أخذا هذه الأمثال والخطب والكلمات . ومن العسير جدا جمع وإعادة تأليف هذا المصدر الثانى الذى يحتمل أنه انفرد بهذه الخطب التى جاءتنا فى كل من متى ولوقا وعندما يختلف متى عن لوقا أو العكس فمن العسير علينا الجزم بالقول أيهما اتبع نص وترتيب المصدر الأصلى الذى ليس انجيلا كاملا بل عبارة عن كتيب خاص بتعاليم المسيح وأقواله ويرجح أن مادته لم تكن مرتبة الترتيب الفنى الموضوعى . ولو راعينا ما جاء من هذا المرجع فى لوقا لكانت محتوياته مرتبة كالاتى :

موعظة يوحنا[١]. ثم الخطب وحسب متى[٢]. والحقيقة ان متى ولوقا يعتمد كل منهما على مصدرين أحدهما مرقس والآخر لم يصلنا وبينه وبين مرقس خلاف وهذا أمر طبيعى وذلك لاختلاف المؤلفين أولا وتباين العصور التى عاش فيها كل منهما ثانيا .

أما الخلاف بين الأناجيل الثلاثة فمرجعه فى الواقع التفاوت العقلى والثقافى لكل مؤلف وهذا ما حدا بمرقس مثلا أن يهمل هذه المقدمة التمهيدية التى ذكرها كل من متى ولوقا كما أهمل موعظة المسيح التى ألقاها على الجبل وذكرها متى فى الإصحاح الخامس ولوقا فى السادس مع وجود بعض الفوارق بينهما .

وفيما يتصل بالأمثلة التى ضربها المسيح فقد اكتفى مرقس بذكر ثلاثة منها فى الاصحاح الرابع بينما أهملها لوقا فى الاصحاح الثامن واكتفى بواحد فقط وذكر متى فى ص ١٣ سبعة . وإلى جانب ما أشرت اليه ففى الأناجيل الثلاثة

---

(١) ص ٣ ى ٧ـ٩و١٦ـ١٧ وص ٤ ى ٣ـ١١

(٢) ص ٥ـ٧ وص ١٠ـ١٢وص١٣ـ١٥ ى١ـ١٠ وص ١٧ ى ١ـ٤و٢٢ـ٢٧ وص ١٩ ى ١٢ـ٢٧ .

كثير من مسائل الخلاف وبخاصة حول ما يتصل بالقيامة وغيرها .

واختلاف الأناجيل الثلاثة دفع فريقاً من العلماء إلى القول بأنها ترجع جميعها إلى إنجيل واحد أصلى استمدت منه هذه الأناجيل مادتها ومن هؤلاء العلماء (يوحنا جوتفريد ايشهورن) (١٧٥٢ - ١٨٢٧)اللاهوتى البروتستنتى فى كتابه (مقدمة العهد الجديد) .

وكذلك (جوتهولد افرايم ليسنج) (١٧٢٩ - ١٧٨١) الكاتب الشاعر الفيلسوف اللاهوتى

وقد عارض هذا الفريق آخرون يقولون بنظرية الفصول أى عوضاً عن وجود انجيل أصلى كانت هناك فصول مستقلة جمعت وكونت فيما بينها الإنجيل ومن المتحمسين لهذا الرأى (فريدريش أرنست دنيال شلا ير ماخر) (١٧٦٨ - ١٨٣٤) اللاهوتى الفيلسوف .

أما الرأى الأخير حول هذا الموضوع فهو القائل أن كل واحد من أصحاب الأناجيل استقى معلوماته من أفواه الشعب وهذه الأقوال الشعبية تتفق حينا وتختلف أحياناً وإن كنا نميل إلى رأى وسط وهو اعتماد المؤلفين على نسخة قديمة مع انفراد كل مؤلف بما وضع أعنى أن متى ولوقا كتبا مستقلين وان كلا منهما استغل مرقس إلى جانب الاستعانة بالنسخة القديمة التى لم تصلنا وهى النسخة التى يحتمل اشتمالها على عبارات المسيح وكلماته وليس معنى هذا أن متى مثلا لم يستغل مصادر أخرى [١] . والقطعة الخاصة ببطرس [٢] . والقصة الخاصة بنهاية اليهود [٣] . ومسائل أخرى .

وتنوع مصادر متى جعله عاجزاً عن التوفيق بينها وصقل عباراتها الصقل

---

(١) مثل الاصحاحين ١ ــ ٢

(٢) اصحاح ١٤ ى ٢٨ــ٣١ واصحاح ١٧ آيات ٢٤ــ٢٧

(٣) ص ٢٧ ى ٣ــ١٠

الذى يتفق والذوق وجمال الأسلوب ، مثلا الوحدة عن طريق التشريع[١]. كذلك قصر الدعوة المسيحية على الإسرائيليين[٢] من ناحية ودولية المسيحية[٣]. من ناحية أخرى .

لكن يذكر لمتى أنه نجح فى جمع المواد المتصلة ببعضها موضوعا وفى محاولة الربط بين بعض عبارات العهد القديم وبين حياة المسيح . والمتأمل فى انجيله يجده وقد شذ عن مرقس أحياناً ونحن نلمس هذا الشذوذ فى (متى) ص ٨ - ٩ حيث يجمع بين كثير من المواضيع التى ذكرها مرقس متفرقة كما أضاف متى إلى أخبار مرقس كثيراً من خطب المسيح وكلماته وكان يختمها عادة بعبارة « ولما انتهى المسيح من هذه . . . »[٤]. ثم نجد متى يضم إلى خطبة المسيح فى المعبد الواردة فى مرقس[٥] خطبته على الجبل ص ٥ - ٧ ثم قائمة الرسل[٦] والحديث إلى الحواريين الذى يذكره فى الاصحاحين العاشر والحادى عشر مع الفصل الخاص ببعل زبوب الوارد فى مرقس[٧] والخطبة الكبيرة[٨] وإلى جانب التشبيهات الواردة فى مرقس[٩] نجد أخرى. ثم يكمل متى الخطبة الواردة فى مرقس[١٠]. ثم كل الخطبة الخاصة بواجبات الجماعة (ص١٨) ثم الأمثلة الواردة فى مرقس[١١]. وأخيرا بالإضافة إلى الرؤيا الواردة

---

(١) ص ٥ ى ١٧ وص ٢٣ ى ٣ وص ٢٤ ى ٢٠

(٢) ص ١٠ ى ٥-٦و٢٣ وص ١٥ ى ٢٤

(٣) ص ٢٨ ى ١٩-٢٠

(٤) قارن مرقس ص ٧ ى ٢٨ وص ١١ ى ١ وص ١٣ ى ٥٢ وص و ١٩ ى ١ وص ٢٦ ى ١

(٥) ص ١ ى ٢١-٢٢

(٦) مرقس ص ٣ ى ١٣-١٩

(٧) ص ٣ ى ٢٢-٣٠

(٨) ص ١٢ ى ٢٢-٤٥

(٩) مرقس ص ٤

(١٠) ص ٩ ى ٣٢-٥٠

(١١) ص ١٢ ى ١-١٢

فى مرقس ص ١٣ نجد أخرى[١] .

وحرص متى على الجمع بين خطب المسيح على الجبل وابراز اتصالها بالعهد القديم[٢] يجعلنا نميل إلى الاعتقاد أنه ولد يهودياً كما يقال أنه ألف أنجيله بالأرامية .

لكن ما زال هذا الرأى فى حاجة إلى أدلة أخرى كثيرة .

أما مكان تأليف هذا الإنجيل فليس من السهل معرفته ، وأما الزمن فقد يكون حوالى عام ٧٥ م وذلك لأنه من الإصحاح ٢٢ ى ٧ يفهم أن أورشليم كانت قد انتفكت .

---

(١) ص ٢٤ ى ٣٧ الى ص ٢٥ ى ٤٦
(٢) ص ٢ ى ١٥ وص ٣ ى ٣٥

لوقا

تبع لوقا مرقس فى أنجيله مع استثناء الاصحاحات ٢١ - ٢٤ مع بعض الفروق بينه وبين متى من إضافات وتغييرات فقد ترك لوقا مثلا نصا كاملا من نصوص مرقس[١]. وذهب الخلاف بعيداً بين لوقا ومرقس عند ماعرض لوقا[٢] لنص مرقس[٣] . كذلك نلمس هـذا التباين قوياً بين الانجيلين فى مرقس[٤] ولوقا[٥]. حيث يأتى لوقا بقطع أخرى ويقحمها فيما بين ص ٩ ى ٥١ وص١٨ ى١٤ وهى القطع الخاصة بوصف الرحلة والواردة فى ص ٩ ى ٥١ و٥٢ (المسيح فى سماريا) و ص١٣ ى ٣١ ى ٣٢ (فى الجليل) وص١٧ ى ١١ بين الجليل وسماريا . . .

وإلى جانب المواد التى أخذها لوقا عن مرقس وعن المصدر الآخر نجد لوقا يهتم بمادة خاصة تقدر بنحو خمسى انجيله وهو يعرض فيها تاريخ طفولة المسيح[٦] ووصف الرحلة[٧] وتدبير شئون المنزل[٨] والغنى والفقير[٩].

وقد اختلفت الآراء حول مصدر أو مصادر هذه الموضوعات فرأى يقول أن لوقا استغل مصدراً ثالثاً غير مرقس والمصدر الثانى وهذا المصدر الثالث كان مكتوباً

---

(١) ص ٦ ى ٤٥ الى ص ٨ ى ٢٦

(٢) ص٦ ى ١٩ وص٨ ى ٤

(٣) ص ٣ ى ١٢ وص ٤ ى ١

(٤) ص ٩ ى ٤٠ وص ١٠ ى ١٣

(٥) ص ٩ ى ٥٠ وص ١٨ ى ١٥

(٦) ص ١ ى ٥ الى ص٢ ى ٥٣

(٧) ص ٩ ى ٥١ الى ص ١٨ ى ١٤

(٨) ص ١٦ ى ١ـ١٢

(٩) ص ١٦ ى ١٩ ص ٣١ وص ١٨ ى ٩ـ١٤

ويمتاز انجيل لوقا بأسلوب أرقى ولغة أفصح من كل من مرقس ومتى فهو يحاول الربط بين المواضيع والتوفيق بينها من الناحية الزمنيه كما يحاول أن يكون مؤرخا حسب المدلول القديم لهذه الكلمة . فنحن نلمس هذه الظاهرة عندما عرض لزمن ظهور المسيح (ص ٣) إذ يقدم أحياناً بعض الحوادث على بعض إذا ما اقتضى حسن الاتساق هذا فمرقس يذكر خبر يوحنا المعمدان فى ص ٦ ى ١٧ ومابعدها بينما يذكره لوقا فى ص ٣ ى ١٨ وماتليها . كذلك يذكر لوقا قصة عن المسيح فى ص ٤ ى ١٦ وما تليها بينما مرقس يعرض لها فى ص٦ ى ١ وما بعدها . كذلك الخبر الوارد فى لوقا فى ص٥ ى ١ومابعدها يأتى به مرقس فى ص١ ى ١٦ وما تليها . وهذا الترتيب مرتبط بحوادث زمنية يرى لوقا أنها ضرورية لأن تسبق الخبر أو تلازمه أو تلحقه ، ومن هنا قدمها عن مرقس الذى لم يراع هذا .

وكان لوقا طبيباً وقد لازم بولس[١]. فجميع هذه المصادر وغيرها تصفه بأنه المؤلف وأن اختلفت بعض الاختلاف حول سيرته .

أما زمن تأليف هذا الانجيل فقد يقع حوالى عام ١٠٠ م .

---

(١) كولوسى ص ٤ ى ١٠ وما بعدها وفيلمون ٢٤

مرقس

انجيله كتاب شعبي ما فى هذا شك وهو يعنى بعبارات المسيح وخطبه دون الاهتمام بذكر سيرته . ويتكون الانجيل أولا من مقدمة[1]. ثم المعمودية وما اليها[2]. بما فى ذلك الحديث عن كفر نحوم ثم نجد كلاما عن ظهور المسيح هناك إلى جانب مستاحق للاصحاح الأول[3]. ثم نقرأ عن الخصومات العنيفة التى قامت بين المسيح وخصومه وذلك فى مستلحق الاصحاح الثانى ى ١ إلى ص ٣ ى ٦ - ٣٥ أما الاصحاح الرابع ى ١ - ٣٤ فقد اختصه المؤلف بأمثلة من عظات المسيح تتلوها مجموعة من معجزاته ص ٤ ى ٣٥ إلى ٥ ى ٤٣ .

وبعد ذلك ينتقل المؤلف إلى نقطة تحول عظيمة تبدأ بالإصحاح السادس وتختم بالعاشر حيث نقرأ بعد المقدمة التى تتحدث عن النزاع الذى قام بين المسيح وخصومه فى الناصرة وارسال تلاميذه وموقف هيرودوس وتحول المسيح وعقب ذلك نقرأ تحول بطرس بالنسبة للعقيدة المسيحية وقد كان ذلك فى قيصرية حيث نجد وصفاً لالام ابن الإنسان وتلاميذه ومجموعة صغيرة من الحكم والأمثال فالقصص الخاصة بالارتحال إلى أورشليم ثم القصص الثلاث الواردة فى الاصحاح العاشر وفيها نجد المسيح يموت كشخصية اجتماعية اشتراكية فهو يتحدث عن الزواج والأطفال والثروة وفى أواخر الاصحاح العاشر وفى ص ١١ - ١٥ نجد الشىء الكثير عن حياة المسيح فى أورشليم ويبدأ هذا الوصف بمقدمة عن ظهور المسيح بأورشليم[4]. وبعد ذلك حديثه

---

(١) ص ١ ى ١ — ١٣

(٢) ص ١ ى ١٤ حتى ص ٥ ى ٤٣

(٣) ى ١٤ — ٤٥

(٤) ص ١٠ ى ٤٦ الى ص ١١ ى ١ — ٢٥

عن بعض المشاكل والأحاديث[١]. ثم نجد الرؤيا[٢]. وبعد ذلك آلام المسيح[٣]. وأخيرا الخاتمة ودفن المسيح[٤].

أما الموضوعات الواردة بعد ص ١٦ ى ٨ فهى فى الواقع إضافات متأخرة ولو أننا لا نجد خبرا عن ظهور المسيح فى الجليل عوضاً عن القصة الخاصة بالقبر الفارغ .

والقاء نظرة على أنجيل مرقس يتبين لنا منها أن الأخبار والقصص الواردة فيه ليست أخبار شاهد عيان شاهدها ورواها كما شاهدها ويتبين لنا من قراءتها أنها رويت من مصادر قديمة ثم رتبت ونظمت فيما بعد وهذا هو فضل المؤلف فقط الذى استغل فيما يظهر مصدرا أخر كان يشتمل على كثير من أخبار المسيح وامثاله وهكذا نستطيع فهم السر فى تسرب الاثر الأرامى ولا يعنى هذا أن مرقس ترجم انجيله عن الارامية .

أما فيما يتعلق بزمان ومكان تأليف هذا الأنجيل فمن الصعب معرفته وقد نستنتج من الاصحاح الثالث عشر الآية الثانية والرابعة عشرة أنه وضع حوالى عام ٧٠ م كما يلاحظ أننا لانجد فى الأنجيل أشارة الى المؤلف ومن المستبعد أن يكون هو هذا الفتى الذى يشار إليه فى الاصحاح (١٤ى ٥١ — ٥٢) ومن الجدير بالاعتبار أن هناك روايات قديمة تجمع بين مرقس وبطرس وتقول أنه كان مترجما لبطرس .

---

(١) ص ١١ ى ٢٧ إلى من ١٢ ى ٤٠

(٢) ص ١٣ ى ١ ٣٧

(٣) ص ١٤ ى ١ إلى ص ١٥ ى ٣٩

(٤) ص ١٥ ى ٤٠ إلى ص ١٦ ى ٨

انجيل يوحنا

هو الأنجيل الرابع ويفهم من عنوانه لا من نصه أنه ليوحنا وبمقارنته بسائر الأناجيل الواردة فى العهد الجديد يتضح لنا أنه يمتاز بمميزات خاصة تجعل الباحثين ينظرون إليه نظرة خاصة ولو أنه تابع فعلا لسائر الأناجيل التى تتفق معه فى عرض وذكر أعمال المسيح منذ ظهور يوحنا المعمدان حتى القبر الخالى وظهور المسيح ثانية .

ويعرض هذا الانجيل لتنقلات المسيح والحواريين الاثنى عشر وكلمات المسيح وأعماله وشفاء المرضى وكثير من المعجزات الأخرى والخصومات والصلب . وإلى جانب كل هذا يهتم يوحنا بالاعمال التى أتى بها المسيح[1]. ويعبر عنها المؤلف قائلا « وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه »

وهذ العبارة قد توجد أيضا فى الأناجيل الأخرى وهنا يتفق يوحنا مع غيره كما يتفق معهم فى وصف آلام المسيح لكن بالرغم من هذه المواضع التى يتفق فيها يوحنا مع الأخرين ، الا أن مسائل الخلاف بينه وبينهم كثيرة حتى أنه أصبح من الضرورى على الباحث أن يفرق بين أنجيل يوحنا والاناجيل الثلاثة الأخرى . فيوم الصلب عنده لم يكن اليوم الأول من عيد الفصح كما يذكر متى ولوقا ومرقس بل فى يوم سابق .

ويختلف يوحنا عن غيره فيذكر أعياد الفصح[2]. ومنها نتبين أن عمل

---

(١) ص ٢٠ ى ٣ وص ٢١ ى ٢٥

(٢) ص ٢ ى ١٣ وص ٦ ى ٤ وص ١١ ى ٥٥

المسيح استغرق على الاقل أكثر من عامين بينما لاتذكر الأناجيل الأخرى إلا عيد الفصح فى نهاية حياة المسيح ولا تذكر شيئا عن مدة عمله كما تذكر أيضا أن المسيح بدأعماله فى الجليل فقط وأخيرا أنتقل إلى أورشليم بخلاف يوحنا الذى يذكرهذا المكان وذاك الا أنه يفضل أورشليم واقليم يهودية.

وقد تكون هذا الفوارق التى سقتها سطحية لا تقارن بأخرى أكثر أهمية منها الا أنها بالرغم من ذلك تشير إلى التباين بين يوحنا والمؤلفين الآخرين . ونحن نذكر مثلا أن الأناجيل الثلاثة تصور المسيح كما لو أنه أحد ربانى اليهود المتجولين الذين يشفون بعض المرضى ويبشرون عن طريق الحكم والأمثال وهذا الربانى يحذر الناس ويعدهم انتظار هذا العالم الجديد بخلاف يوحنا الذى يصور المسيح كما لو أنه الصورة الكاملة لتجلى الله وكل خطبه وأقواله تهدف إلى تأييده كابن لله وتقول بصحة رسالته كما ترمى كلمات المسيح وأعماله إلى تحقيق غاية واحدة وهى معرفة الله والاعتقاد فى رسوله الذى أرسله فحياة المسيح كما يصورها يوحنا تدور حول هذا المحور . أما الأناجيل الأخرى فلا نقرأ فيها اخبارا بل عقائد .

فيوحنا فى الواقع يعرض فى أسلوب غنى لاالمسيح كما هو بل كما يجب أن يراه المسيحيون والآن نتساءل هل قصد يوحنا حقاً إلى هذه الفروق أما أن الروايات التى اعتمد عليها ساقته إلى هذه النتيجة أو بتعبير آخر هل أراد يوحنا هذا أم عرفه ؟

الواقع أن روح الأنجيل تشير إلى أن يوحنا قد اعتمد على معلومات ومصادر كانت ملكه أو ملك الجماعة وأن يوحنا لم يكن واسطة فقط بين هذه المصادر وبين قرائه بل قصد إلى عرضها بهذه الطريقة التى نجد عليها أنجيله كما نتبين هذا من عبارته الواردة فى ص ٢٠ ى ٣٠ .

ومما يؤيد هذا الرأى عبارات الطرد الواردة فى يوحنا ص ١٦ ى ١

وقصة الطفل الذى ولد أعمى[١]. فمن العبارة فى الآية الأولى من الأصحاح السادس عشر أعنى « سيطردونكم من المعبد » يفهم أن الطرد لابد واقع ومن عبارة الوداع الواردة فى ص ٧ ى ٢٩ نفهم أن الروح عقب قيام المسيح من بين الأموات ستأتى للحواريين . ومن ص ٣ ى ٥ و ص ٩ ى ٦٣ نعرف أن الروح كانت موجودة على الأرض إبان حياة المسيح أما العبارات الواردة فى ص ٧ ى ٤٨ وص ٤ ى ١٤ فتشير إلى أن جميع هذه النبوات ستتحقق فقط لما ينتقل ابن الله إلى ابيه لكن كل ماورد فى الاصحاحات ١-١٢ يشير إلى أنه منحة من المسيح إلى الإنسانية ينصرف فى الواقع إلى المسيح بعد صعوده وإن كانت تتحدث عنه وعن عمله فى حدود حياة المسيح الأرضية التاريخية وخطب الوداع فقط هى التى تتصل بحياة المسيح الأرضية .

فحديث يوحنا عن هذه الأحداث أدى إلى إيجاد شيء من القلقلة فى أنجيله كما هو مشاهد فى الفصل الخاص بالمعمودية والوارد فى الأصحاح الثالث حيث نجد الحديث ينصرف إلى المسيحية كلها سواء أبان حياة المسيح على الأرض أو بعد صعوده حيث نقرأ فى ص ٣ ى ٢٦ : والجميع يأتون إليه » لكن من الناحية التاريخية الواقعية نجد فى ص ٣ ى ٣٢ : « وشهادته لا يقبلها أحد» .

ويمتاز هذا الأنجيل أيضاً بالجمع بين الحاضر والمستقبل كما هو مشاهد فى ص ٤ ى ٢٣ وص ٥ ى ٢٥ وص ١٦ ى ٣٢ وقد يذكر قصة ناقصة كما هو مشاهد فى عرضه لقصة (نيقوذيموس) (ص ٣) وقصة اليونانيين (ص ١٢ ى ٢٠) وقصته مع يوحنا المعمدان (ص ٣ ى ٢٢ وما بعدها) كذلك كثيراً ما يعترض الأخبار التى يذكرها يوحنا والخاصة بمطاردة اليهود للمسيح ، بخطب للمسيح[٢]. وحتى الحوادث التى ذكرها يوحنا كاملة[٣].

---

(١) ص ٩ ى ٢٢ وص ١٢ ى ٤٢

(٢) ص ٥ ى ١٩ وص ٧ ى ٣٣ وص ١٠ ى ٣٢

(٣) ص ٥ ى ١ وص ٦ ى ١ وص ٩ ى ١ وص ١١ ى ١

ماهى فى الواقع إلا مقدمات للخطب التالية .

فهذه الخصائص وغيرها تجعلنا نتساءل عن مقدار إلمام يوحنا بالتاريخ من ناحية ونوع الروايات التى اعتمد عليها من ناحية أخرى . فمن المسلم به أولا أنه اطلع على الأناجيل الأخرى واعتمد عليها[١]. فمثلا القصص الخاصة بالطعام وتحول البحر تتفق وما جاء فى مرقس كذلك قصة الدهن نجد عناصرها موجودة فى سائر الأناجيل حيث قصة المرأة الداهنة[٢]. لكن ليس معنى هذا أن كل مادة يوحنا ترجع إلى هذه الأناجيل الثلاثة خاصة قصة آلام المسيح حيث يتميز انجيل يوحنا عن غيره من الأناجيل بذكر حوادث هامة وإن كانت قريبة من الأبوكريفا وهنا نستطيع أن نقول أن يوحنا أخذ حوادث هذه القصة وأخبارها عن مصدر مكتوب آخر ولو أننا نستطيع أن نقرر أن قيمته التاريخية عظيمة يجوز الاعتماد عليها إذ أن بعض حوادثها قصصى . كذلك يجب الا يغيب عنا ما ذكره يوحنا[٣]. وقصة آلام المسيح وقصة عيد الفصح ، فالقصتان الأخيرتان كما يرويهما يوحنا متصلتان اتصالا وثيقاً . ويخالف يوحنا هنا سائر الأناجيل الأخرى بدليل أن العبد الذى جرحه بطرس[٤] من المستبعد أن المؤلف اخترع أسمه اختراعا . أن الفصل الخاص باستقبال الروح[٥]. تحدث عنه سائر التلاميذ عدا يهوذا ولم ير توما الروح أيضاً لذلك من المرجح أن هذه الرواية قد أخذها يوحنا عن مصدر آخر .

أما السبت حسب رواية يوحنا فلم يقدس وذلك لأن الذى شفى حمل سريره بأمر المسيح ، اذ جاء[٦]. «قال له يسوع قم احمل سريرك وامش فحالا

---

(١) ص ٦ ى ١ — ١٢ وص ١٢ ى ١ — ٨

(٢) مرقس ص ١٤ ى ٣ — ٩ ومتى ص ٢٦ ى ٦ - ١٣ ولوقا ص ٧ ى ٣٦ — ٥٠

(٣) ص ١٣ ى ٢١ — ٣٠

(٤) ص ١٨ ى ١٠

(٥) ص ٢٠ ى ١٩ — ٢٢

(٦) ص ٥ ى ٨ — ٩

برىء الإنسان وحمل سريره ومشى وكان فى ذلك اليوم سبت فقال اليهود للذى شفى أنه سبت لا يحل لك أن تحمل سريرك» . وتذكر الأناجيل الأخرى هذه القصة مدعية أن الشفاء نفسه أهانة للسبت .

ومن الحقائق المسلم بها أن خطب المسيح من وضع مؤلفى الأناجيل بخلاف الحكم والأمثال التعليمية التى ساقها يوحنا فى أسلوب يستبعد معه أن تكون مقلدة[١] حيث تصرف فيها يوحنا بعض التصرف .

وبعد هذه الملاحظات العامة على الأنجيل وواضعه نتساءل هل يكون انجيل يوحنا فى أسلوبه وحدة أدبية أو أنه يعتمد على مصادر متعددة لا على مصدر واحد ؟ ثم هل خلص هذا الإنجيل ليوحنا أم تناولته يد أخرى وعملت فيه تحويراً وتغييراً ؟ الواقع أن تداخلا كثيراً فى الأخبار والنصوص يشير إلى كثرة الأيدى التى تناولته ففى الإصحاح الثامن عشر الخاص بانكار بطرس للمسيح نجد قصة حنان ترد معترضة كما تعترض قصة التلميذين موضوع مريم المجدلية فى الأصحاح العشرين .

ويقيناً أن هذا الإنجيل لم يدونه يوحنا دفعة واحدة بدليل ان الإصحاح الواحد والعشرين لم يكتب إلا فى وقت متأخر حتى أننا نجد فى الإصحاح العشرين ى ٣٠ - ٣١ خاتمة الانجيل وفى الاصحاح الواحد والعشرين ى ٢٤ - ٢٥ خاتمة أخرى جاء فيها : هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق وأشياء أخرى كثيرة صنعها المسيح أن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة . أمين :

وتتميز الاصحاحات[٢] بكثرة المتناقضات[٣] . ومن الصعب مثلا تعليل

---

(١) ص ١٢ ى ٢٥ وص ٤ ى ٤٤ وص ١٣ ى ١٦

(٢) من ١ — ٢٠

(٣) قارن مثلا ص ١٣ ى ٢ — ٥ وص ١١ ى ١ — ٥

ما ورد فى ص ٤ ى ٢ حيث نقرأ « زعم المسيح أنه لم يعمد أحداً بينما فى الاصحاح ٣ ى ٢٢ نجد العكس . ومن العسير أيضاً فهم بعض هذه الآيات[١].

كذلك من المواضع المضطربة خطبة المسيح التى نجدها أحياناً تتفرع وتتجه اتجاهات متعددة فتكون بذلك أكثر من خطبة[٢].

وإذا أضفنا إلى جميع هذه الملاحظات لغة الإنجيل وأسلوبه حيث نجد كثيراً من المفردات والتعبيرات التى ترجع إلى العصر الهلليني فضلا عن بعض الخصائص السامية التى جعلت لغته خليطا من اليونانية الهللينية ولغة سامية أدركنا السبب الذى من أجله نظرت الكنيسة فى أول الأمر إلى هذا الإنجيل وكأنه لا يمت إلى العهد الجديد بصلة . لكن بالرغم من جميع هذه المآخذ فقد فرض نفسه على سائر الأناجيل وعلى الكنيسة فرضا وذلك بفضل أنصاره والمعجبين به الذين كانوا يعتبرونه إنجيلهم الخاص المفضل وهذا يؤيد أن ماجاء به لا يمثل وجهة نظر يوحنا فقط بل وجهة نظر آخرين كانوا ينظرون إلى الدعوة المسيحية هذه النظرة التى قدمها بها يوحنا وفى الأسلوب المستساغ المحبب إلى هذه الجماعة ومن هنا ندرك المكانة التاريخية لهذا الإنجيل والتى يتميز بها عن الأناجيل الأخرى فجعلته إنجيلا من نوع آخر وأن هذا الإنجيل يتصل ببيئة خاصة كانت تعنى فيما يظهر بمسألة إرسال المسيح وبطريقة كانت سائدة فى هذه البيئة ومتأثرة بها من قبل أريد أن أقول أن الطريقة التى عالج بها هذا الإنجيل مسألة إرسال المسيح متأثرة ولا شك ببيئة أخرى . والآن

---

(١) مثل ص ١ ى ٢٤ — ٢٥ وى ٢٨ وص ٦ ى ٤٦ وص ١٠ ى ١٥ وص ١٥ ى ١٠ وى ٢٠ وص ١٦ ى ٥ وص ١٧ ى ١٠ هذا مع ملاحظة أن جميع الآيات متصلة بموضوع واحد وكذلك ص ١٢ ى ٣٣ وص ١٣ ى ١١ وص ١٨ ى ٩ وى ٢٣

(٢) مثلا ص ٥ ى ٣٤ وما بعدها وكذلك ى ٤١ وما بعدها وص ٦ ى ٢٨ وما بعدها وص ٨ ى ٣٣ وما بعدها وى ٥٢ ـ ٥٦ وص ١٠ ى ٣٣ ـ ٣٨ . أما الأصحاح ٧ ى ٢٠ ـ ٢٤ فلا يمكن تعليله إلا أن يداً تناولته ثانية وحورته .

ماهى هذه البيئة التى أثرت فى يوحنا هذا التأثير وجعلته يعرض هذه المسألة بهذه الطريقة ؟ اختلفت الآراء فى العصور الأخيرة حول هذه البيئة فاستخدام يوحنا للفظ «كلمة — لوجوس —» و «حقيقة» يشير إلى اتجاه فلسفى خاص كان يمثله علماء مثل «فيلون» . إلا أن نظرة يوحنا للمسيح ليست نظرة وصفية بل نظرة تقرر الأمر كما هو وأن مسألة الخلاص يجب أن يسلم بها مبدأيا(١). كما يهتم إهتماما خاصا بمسألة تجلى الله فى المسيح كبشر لذلك اعتقد بعض العلماء أن يوحنا متأثر بالفلسفة الهللينية أو الأساطير القديمة . كما أن هذا السفر يهتم كثيراً بشخصية المسيح المخلص من الناحية التاريخية ويرجح أن البيئة التى أثرت فى يوحنا هى التى تكشفت لنا فى رسائل (أجناتيوس) وغيرها مثل بعض الفصول من مؤلفات فيلون . وهذه البيئة التى كانت مصدرا ليوحنا لمثل هذا النوع من التفكير الدينى العميق لا جدال فى أنها تستوطن وطنا فسيحا يشمل أيضاً إيران بدليل مانلمسه فى تعاليمها المانوية والمندعية . وبتعبير أصدق عقيدة العارفين بالله وتلخص وجوه الشبه بين عقيدة يوحنا وعقيدة العارفين بالله فيما يلى : يعبر عن المسيح والذى أرسله فالمسيح عند يوحنا «رسول» شأن يوحنا فى هذا شأن النصوص المنسوبة إلى العارفين بالله لذلك تخلو هذه النصوص من عبارات الإجلال والتقدير مثل (ابن الله) ويكتفى بذكر (ابن) أو (ابن الإنسان) فهى تستخدم للاشارة إلى من جاء ، لا الى من سيأتى وعوضا عن الأمثلة والحكم الواردة فى الأناجيل الثلاثة نجد هنا فى يوحنا عبارات أخرى وصورا مغايرة هى عادية فى نصوص العارفين بالله وغيرها من النصوص المتأثرة بها مثل التعبير «أنا» و «كلمة» و «راعى» و «كرم» و «باب» و «طريق» .

كذلك يتجلى «الله» فى نصوص العارفين بالله وغيرها من النصوص المتأثرة بها كالمانوية أو المندعية لرسوله كشخص غريب عن العالم الأرضى

(١) ص ١ ى ١ — ٣ وص ١٧ ى ٥ و ٢٤

فلا يعرفه العالم ولا يقدره وهكذا نفهم سوء الفهم والإدراك الذى يذكره يوحنا[١]. حيث نجد خلافا بين البشر وتلاميذ المسيح وأعدائه من ناحية وبين الوحى الذى هو من عالم آخر وسيعود إليه وعبثا يبحث عنه الإنسان . من ناحية أخرى .

ومن المسائل الجديرة بالاعتبار أيضاً أن إنجيل يوحنا يفرض على القارىء أن يؤمن بأن المسيح بالرغم من أنه من أصل سماوى يتمتع بكل القوى الآلهية إلا أنه لايزال يشعر بالحاجة الملحة إلى قوة الله ومساعدته وهو يرى أن المسيح يجب أن يعظم ويمجد ويقدس[٢]. « ولأجلهم أقدس أنا ذاتى ليكونوا هم لى أيضاً مقدسين فى الحق » فهذا السمو الذى يهتم به يوحنا أكثر من إهتمامه بصلب المسيح يدلنا ولا شك على محاولة تعزيز فكرة المخلص وتعليلها[٣]. لكن فكرة السمو هذه تشير فى نفس الوقت إلى النكبة التى ستحل بالوجود[٤]. كما تؤيد فكرة « خلاص المؤمنين »[٥]. فهذه الفكرة أعنى خلاص المخلص تعتمد فى الواقع على أسطورة قديمة عرفت فى إيران وهى تتصل بالإنسان الأول كما نجدها فى الأساطير البابلية أعنى الميلاد والصلب ولا أدل على حمل هذه الأسطورة على المسيح من ورودها فى أشعار سليمان . كذلك أغنية اللؤلؤة الواردة فى أعمال توماس فهذه الأسطورة تعنى بروح الإنسان وتصورها تصويراً جميلا يدور حول مصيرها وهذه تعلل لنا من ناحية أخرى طريقة العرض التى يصور بها يوحنا العلاقة بين المسيح والأب من ناحية والعلاقة بين المؤمنين والمسيح والله من ناحية أخرى .

---

(١) فى الحوار الوارد فى ص ٢ ى ٢٠ وص ٣ ى ٤ وص ٤ ى ١١ وص ٧ ى ٣٥ وص ١١ ى ٣٦ .

(٢) ص ١٧ ى ١٩

(٣) ص ٨ ى ٢٨ وص ١٦ ى ١٠

(٤) ص ١٢ ى ٣١ وص ١٤ ى ٣٠ وص ١٦ ى ١١ وص ٦ ى ٦٢

(٥) ص ١٢ ى ٣٢ وص ١٧ ى ٢٤

ويصف يوحنا المسيح كيف يخاطب تلاميذه بلفظ أصدقاء أو أخوة[١].
ثم يذهب يوحنا بعيداً فيذكر كيف أن المسيح يقول أن أتباعه يستطيعون الاتصال بالله مباشرة دون واسطته[٢].

وإذا علمنا أن رسالة المسيح هى البشارة كان أهم عمل له هو الحديث عن هذه البشارة والحديث عنها فى أسلوب المتكلم ، وهذه الصيغة إذا استثنينا متى[٣] غريبة جداً على الأناجيل الثلاثة بينما هى عادية فى النصوص المتدعية أعنى نصوص العارفين بالله وهنا نجد يوحنا يعبر عن رسالة المسيح بأسلوب بيئته التى نشأ فيها ويستخدم يوحنا كذلك المقابلة الزوجية مثل « صدق وكذب » و «نور وحياة» فهذه الاصطلاحات كثيراً ماترد للإشارة إلى العالم العلوى بينما الاصطلاح « حياة » تطور معناه تطورا آخر فى البيئة التى يستخدم فيها .

هذا هو عرض موجز لإنجيل يوحنا أما المؤلف فقد تعددت حوله الآراء فهناك مثلا (ايرنيوس) الذى ينسب هذا الانجيل إلى يوحنا الحوارى ابن زبديوس وهو الذى جاء ذكره فى الانجيل كتلميذ محظوظ وهو الذى خاصم فى (أفسس) العالم (سرينت) واستمرت هذه الخصومة حتى عصر (تراجان) وقد أخذت الكنيسة بهذا الرأى واعتبرت هذا الانجيل من وضع يوحنا الأفسسى التلميذ المحبوب وابن زبديوس .

ورأى ثان يقول به (ببياس) معتمداً على نص ورد فى تاريخ الكنيسة لاويزيب . ومن هذا النص يفهم أنه إلى جانب الحوارى يوحنا الذى توفى يوجد يوحنا آخر لا من الحواريين بل شخصية أخرى ويطلق عليه أيضاً « تلميذ السيد » . ويرجح أنه هو يوحنا الأفسسى الذى يقال عنه أنه عمر

---

(١) ص ١٥ ى ١٤ وص ٢٠ ى ١٧ وص ١٩ ى ٢٦
(٢) ص ١٤ ى ٢٣ وص ١٦ ى ٣٧
(٣) ص ١١ ى ٢٥ وما بعدها وص ٢٨ ى ١٨ وماتليها

طويلا . لكن يرجح أن بلاد آسيا الصغرى لم تعرف شخصيتين كبيرتين بهذا الاسم إلا أنه ظهرت فى عصور متأخرة أقوال تقول أن قبرين لرجلين عظيمين يسميان بهذا الاسم تعرفهما آسيا الصغرى لذلك قد يعتقد بأن يوحنا الحوارى غير يوحنا الأفسسى والذى حدث أن (أيرنيوس) خلط بين الاثنين . ومثل هذا الخلط كثير الوقوع فى المسيحية كما يتبين لنا ذلك من وثائق أخرى متأخرة .

ويلوح أن يوحنا الحوارى بن زبديوس قتله اليهود فى فلسطين قبل ظهور يوحنا الأفسى بزمن طويل وذلك بدليل كلمة المسيح الواردة فى إنجيل مرقس ص ١٠ ى ٣٩ حيث جاء موجها الكلام إلى يعقوب ويوحنا ابنى زبدى « فقال لهما يسوع أما الكأس التى أشربها أنا فتشربانها وبالصبغة التى اصطبغ بها أنا تصطبغان » . فبعيد جداً أن يذكر إنجيل مرقس هذه العبارة أن لم يكن هذا الخبر قد تحقق فعلا . وعلاوة على هذا فقد ذكر كاتبان أنه جاء فى وثيقة (ببياس) ما يفهم منه أن يوحنا اللاهوتى وأخاه يعقوب قتلهما اليهود . كذلك تحدثنا الوثائق السريانية معتمدة على روايات قديمة ترجع إلى ٢٧ديسمبر ٤١١ م أن الحواريين يوحنا ويعقوب شهيدان .

وإلى جانب هذه الأدلة تقوم أخرى تؤيد أن يوحنا الأفسسى هو مؤلف الانجيل لا يوحنا الحوارى ، لا يوحنا الشهيد كما أنه أصبح من المرجح الآن أن هذا الانجيل وضع فى آسيا الصغرى ولو أن رأيا حديثا يميل إلى الاعتقاد بأن وطن هذا الأنجيل يجب أن يكون سوريا ذلك بسبب هذا الأسلوب السامى من ناحية والصلة القوية بين الانجيل وعقائد العارفين بالله والسخرية من اليهود والتشنيع عليهم من جهة أخرى . لكن هذه الأدلة لا تقوم حجة لترجيح كفة سوريا .

أما زمن تأليف هذا الانجيل فيكفى أن نقرره من الأناجيل الثلاثة الأخرى التى كانت معروفة ، والمؤلف هو يوحنا وقد عاش حتى عصر (تراجان) كما يقرر ذلك (أيرنيوس) لذلك يرجح أن الانجيل قد تم وضعه فى الزمن الممتد بين عامى ١٠٠ و ١٧٠ م .

تاريخ الرسل

أو كما تقول الكنيسة القديمة «أعمال الرسل» اهتم كثيرا ببطرس وبولس وأشار أحياناً إلى يوحنا وآخرين ليسوا من الرسل أمثال أسطفان وفيلبوس وبرنابا فالعنوان إذن لا يطابق تماما محتويات الكتاب ويظهر أن المؤلف قصد قيام الكنيسة المسيحية وانتشارها وكذلك سير رجالها الأولين .

وفى الإصحاح الأول نقرأ وصفا لصعود المسيح إلى السماء و فى الإصحاح الثانى حلول روح القدس كما نقرأ فى سائر الإصحاحات من ١ - ٥ وصفا لحياة الجماعة المسيحية الأولى ووصفا لمعجزات وأعمال الرسل أمام المجلس الأعلى . ومن الإصحاحات ٦ - ١٢ نجد خبر انتقال المسيحية إلى الوثنيين كما نقرأ فى الاصحاحات ١٣ - ٢٨ شيئا عن أعمال التبشير وأسر بولس وارساله إلى روما . والواقع أن الحوداث التى يمكن أن تستخلص من هذه الاصحاحات لا يمكن أن تعد تاريخية من ناحية العرض والتحليل إذ معالجتها للحوادث لا تتفق والأسلوب التاريخى الحقيقى .

وفيما يتصل بتطور الجماعة المسيحية سواء من الناحيتين المادية أو الروحية فلا نعرف عنها إلا القليل وما جاءنا فيساق عرضا مثلا الاصحاح الثانى آيات ٤٢ وما تليها واصحاح ٤ الآيات ٣٢ وماتليها . أما الوصف المفصل الشامل لحياة بولس أو بطرس فلا نجد له هنا أثرا وذلك لأن المؤلف كان يقصد إلى كتابة قصص متفرقة لا إلى رسم صورة كاملة ، ومن هنا نستطيع تعليل عدم صقل أسلوب الكتاب وتناسقه .

وكما نلاحظ هذا عن الأسلوب كذلك يمكن القول عن محتوياته فهو ليس تاريخاً بل قصصاً وأن كان المؤلف قد حاول فى النصف الثانى أن يتوسع فى تاريخ بولس فيعنى بالمعجزات والرؤى وغيرها من الأخبار التى تلفت

نظر القارىء وتسترعى اهتمامه[١] وقد يذكر المؤلف أحيانا قصصا متشابهة فتحدث مثلا مرتين عن قصة الأعرج ومعجزته وشفائه[٢] وذكر ثلاث قصص تتصل بالخروج من السجن[٣] ثم قصتين خاصتين بالقبض على بطرس ويوحنا بسبب معجزة شفاء الكسيح الذى كان جالسا عند باب هيكل الجميل[٤] ثم تكرر الحديث عن رؤية واحدة مرتين[٥] كذلك يلاحظ الأطناب فى الخطب الخاصة الملقاة أمام القضاة حيث تتكرر المواضيع[٦]

والملاحظة الجديرة بالاعتبار أننا نجد فى أعمال الرسل بعض العناصر الهللينية مثل العاصفة البحرية فى ص ٢٧ فهى واردة عند (لوقيان) .

أما الخلاف الذى يلاحظ هنا عند عرض المسألة الواحدة فمصدره ولا شك اختلاف المصادر ولو أن طابع المؤلف قوى جدا أقوى من طابع واضعى الأناجيل ، إذا استثنينا لوقا وذلك قد يعلل لنا أيضا كيف أن بعض المصادر التى أخذ عنها المؤلف ناقصة حينا كاملة حينا آخر فمثلا من القصص الكاملة تلك الواردة فى ص ٦ - ٨ والخاصة بتاريخ اسطفان ، فقد جاءت هذه القصة كاملة حتى أننا نستطيع إخراجها من السفر دون أن تتأثر . وعلى النقيض منها تلك الواردة فى ص ١٩ ى ١٣-١٧ فعناصرها متعددة وليست واحدة والشىء الجدير بالملاحظة أن شخصية المؤلف تظهر واضحة فى الخطب التى يذكرها، ويرجح أن المواضع التى يستخدم فيها المؤلف ضمير المتكلمين مستمدة من مصادر قوية يكاد يجمع على صحتها[٧]

---

(١) ص ١٩ ى ١٣-١٧

(٢) ص ٣ وص ١٤ ى ٨ وما يليها

(٣) ص ٥ ى ١٩ وما يليها وص ١٢ ى ٦ وما يليها وص ١٢ ى ٦ وما يليها وص ١٦ ى ٢٤ وما يليها

(٤) ص ٣ وص ١٦ ى ١٩ وما يليها

(٥) ص ٩ ى ١٠ وما يليها وص ١٠

(٦) ص ٩ وص ٢٢ وص ٢٦ ى ٩ وما بعدها

(٧) ص ١٦ ى ١٠-١٧ وص ٢٠ ى ٥-١٦ وص ٢١ ى ١-١٨

وقد يعلل استخدام ضمير المتكلمين أن المتحدث هنا شاهد عيان أو أن المؤلف نقله عن شاهد عيان . ويلاحظ أن الأخبار الواردة فى ص٢٠ ى ٥ وما بعدها وص ٢١ عبارةعن تقارير عن رحلة عرفت عن طريق الرواية .

أما فيما يتعلق بالقيمة التاريخية لهذا السفر فليست كبيرة وتختلف باختلاف المواضيع الواردة كما يلاحظ أن كثيراً من الأخبار الواردة فى أعمال الرسل لا تتفق وتلك التى ذكرها بولس والتى يعتمد عليها ويجب ألا يتبادر إلى الأذهان أن هذا السفر لا يمكن الاعتماد عليه كلية إذ أن كل الذى جاءنا فيه خاصا ببولس وبعثته مصدر هام بالرغم من نقصه . ولهذا السفر أهميته أيضا لأنه يعطينا صورة للجماعة المسيحية فى أول تكوينها أعنى فى الجيلين الأول والثالث وأنها لصورة جميلة حقا وان كانت ناقصة أحيانا وبخاصة عندما تهمل النزاع بين القديم والجديد أى بين الوثنية وبين التعاليم الجديدة وموقف هؤلاء المسيحيين من التعاليم القديمة ويتضح لنا هذا من قصة بطرس بعد اعتناق كورنليوس المسيحية (ص ١٠) وكذلك الحال مع يعقوب (ص ١٥) كذلك بولس فقد كان يلجأ أولا إلى اليهود قبل أن يتجه إلى الوثنيين ويبشر بينهم ، ومن هنا أصبح عدم إيمان اليهود وسيلة للتبشير بين الوثنيين (ص ١٣) .

وتحدثنا بعض الوثائق القديمة أن مؤلف تاريخ الرسل هو الطبيب لوقا رفيق بولس فى أسفاره وتلميذه (كولوسى ص ٤ ى١٤)و(فيلمون ص٢٤) والرسالة الثانية تيموثاوس ص ٤ ى ١١ويأخذ بهذا الرأى كثيرون من العلماء ويرفضه آخرون وذلك لأن محتويات هذا السفر تصور لنا حياة المسيحيين فى القرنين الثانى والثالث وهم الذين بعد العهد بينهم وبين العصور الأولى القديمة التى كانت يجب أن تظهر وتتجلى لو كان المؤلف هو لوقا أحد أبناء الجيل المسيحى الأول والذى عاشر بولس ورافقه واطلع على آرائه وسمع أقواله .

ونحن إذا رفضنا هذا الرأى المسيحى القديم الذى ينسب هذا السفر إلى لوقا لازمتنا الحيرة إذا ما حاولنا البحث عن مؤلف آخر والذى يرجع أنه أحد أبناء انطاكية وذلك لأن السفر يحدثنا عنها حديث الثقة . على كل حال فالمؤلف شخص مثقف يكره اليهود ويبغض اليهودية لأنه مؤمن باضطهاد اليهودية للمسيح والمسيحية وبلغ كرهه لليهود أنه يفضل عليهم الوثنيين حتى أنه أهدى كتابه إلى ثيوفيلوس الوثنى مما يؤيد أن الكتاب لم يكتب للمسيحيين. ومن الثابت أيضاً أن هناك علاقة قوية بين تاريخ الرسل والأنجيل الثالث اذ يتفق معه فى المقدمة وفى الأسلوب والنظر للحياة وإلى جانب هذا فلتاريخ الرسل خواصه كما أن للانجيل الثالث مميزاته .

ويرجح أن تاريخ الرسل لم يتم تأليفه قبل نهاية القرن الأول الميلادى وذلك بدليل استعانته بكتاب يوسيفوس •

ومشكلة أخرى يجب أن نعرض لها هنا وهى أن نص هذا السفر كما حفظته لنا المخطوطات الأوربية يخالف كثيرا التراجم اللاتينية القديمة وأول من تنبه إلى هذه المخالفات العالم اللغوى (بلاس) واللاهوتى (ت. زان) الذى جمع هذا المواضع وبين وجوه الفرق بينها ويقال أن لوقا كتب النص الأصلى مرتين ومن هنا نشأ الخلاف بين المخطوطات الغربية وبين النص السكندرى لكن ليست هذه الخلافات قاصرة على القراءة فقط بل المعنى أيضا مما يؤيد أنها جميعها ترجع إلى مؤلف واحد. وعلى كل ففيما يتعلق بأعمال الرسل فالمخطوطات الاسكندرية أحسن اعتمادا وادق لفظا ومعنى بخلاف الحال فى المخطوطات الغربية التى تفاوتت فيما بينها لتعدد كتابها الذى تفنن كل منهم فى مخطوطته فاضاف وحذف وتصرف .

الرسائل

من بين أسفار العهد الجديد البالغ عددها نحو سبع وعشرين رسالة نجد واحدة وعشرين منها خطابات حقيقية أما البقية فقد جاءتنا فى أسلوب الخطابات فقط فالخطاب الحقيقى هو هذه الرسالة التى يضعها واحد أو أكثر ويوجهها إلى شخص أو جماعة خاصة ، وذلك لظرف خاص وغاية خاصة وتفهم هذه الرسائل عادة وعلى حقيقتها إذا ما احطنا بظروف المرسل والمرسل اليه أو إليهم .

ورسائل العهد الجديد التى يتطبق عليها مثل هذا الوصف هى رسائل بولس والرسالتان الثانية والثالثة ليوحنا . وقد اكتسبت هذه الرسائل فى العصور القديمة أسلوبا خاصا لازمها وتقيدت به كما راعى كاتب الرسالة هذا الأسلوب وراعاه قديما وحديثا فللرسالة طريقتها الخاصة عند البدء والختام : وإن كان الكاتب حرا فى أسلوب وتصنيف محتويات الرسالة ومن أوراق البردى التى عثر عليها الباحثون يتبين لنا أنها تبدأ عادة بمقدمة (غير العنوان الذى كان يكتب فى الخارج) وهذه المقدمة عبارة عن تحية يذكر فيها اسم كل من المرسل والمرسل اليه وكانت فى اليونانية عادة (خيرين) واستخدم بولس عبارة السلام ورحمة وبركة ، وبعدها تأتى عادة عبارة شكر موجهة إلى الله أو الالهة بمناسبة حسن حال المرسل اليه (بولس يشكر لحسن فهم وادراك) وهذه العبارة مرتبطة عادة (كما هو الحال عند بولس) بتأكيد التذكر والعفو وتختم الرسالة بعبارات التحيات وأحسن الأمانى .

وبولس كغيره من كتاب الرسائل كان يستخدم نفس الطريقة وأن كان يطنب حينا ويوجز حينا آخر ، كان يطنب ويؤكد مركزه كرسول فى

مطلع رسالته كما يختمها بعبارة تحيه تعبر عن مبادىء الأنجيل والدين الذى يبشر به ، وهذا الأسلوب مشاهد فى رسالته إلى أهل غلاطية . أما فى رسالته إلى أهل رومية فهو يستغل المدخل ليؤكد أنه الرسول الحقيقى الذى أرسل للأجانب . وفى هذه الرسالة نجد بولس لا يكتب كإنسان عادى بل كرسول ، ولا يوجه رسالته لفرد بل لجماعه فهى من هذه الناحية منشورات رسمية أكثر منها رسالة . وفيها يعالج مسائل عامة تتصل بالعقيدة والحياة . أما أسلوبها فأسلوب يشبه أسلوب العظات المتأثر بالأسلوب اليونانى والذى تأثرت به اليهودية فى ذلك العصر وهو الأسلوب التعليمى الذى كان يعتمد على بعض عناصر الحوار والبلاغة . ونحن نجد هذا الأسلوب فى الآداب الدينية والفلسفة الرواقية . وإلى جانبه نجد أسلوب بولس متأثرا لحد كبير بأسلوب العهد القديم كما أن علاجه للمسائل الدينية يتفق وأسلوب ربانى اليهود .

وهذه الميزة التى تمتاز بها رسائل بولس هى التى نجدها أيضا فى الرسائل الحقيقة والرسائل الأدبية . وتقرب من رسائل بولس الرسائل الأخرى الواردة فى العهد الجديد ولو أنها لا تعبر عن رأى خاص لكاتبها يوجهه إلى شخص بعينه أو جماعة بعينها بل هى عبارة عن رسائل تعالج مسألة رأى خاص لكاتبها يوجهه إلى شخص بعينه أو جماعة بعينها بل هى عبارة عن رسائل تعالج مسألة خاصة تهم العالم المسيحى قاطبة مثل رسالة بولس إلى أهل كولوسى أو أفسس الثانية وتسالونيكى الأولى والثانية ورسالة بطرس ورسالة يهوذا فهذه فى الواقع عبارة عن خطابات مفتوحة أو مطبوعات صغيرة من العصر وللعصر وهى تعالج مسائل خاصة تهم الرأى العام . وهذه الرسائل تختلف فيما بينها فمنها رسائل تهدف إلى البناء والوعيد مثل رسالة يعقوب ويوحنا الأولى ورسالة العبرانيين . ومنها رسائل الوعاظ التى كانت

تهتم بمواصلة الكفاح ضد الملحدين وهى تخالف الرسائل الحقيقية لذلك يطلق عليها الخطابات وهى تلك التى هاجمها أمثال (ابيقور) و (سنيكا) و (بلينيوس) . أما الخطابات المسيحية فمتأثرة جداً أولا بأسلوب الرسائل وثانيا بأسلوب بولس وذلك لأن الرسائل كانت قد جمعت واستخدمت فى الكنائس والصلوات وكان ينظر إلى هذا النوع منها كما لو أنها من وضع بولس (راجع تسالونيكى الثانية وكولوسى وأفسس ورسائل الوعاظ) وقد أدت شهرة بولس ككاتب رسائل إلى اعتبار كثير من الكتابات الأخرى ولمؤلفين آخرين رسائل كما حدث بالنسبة للرسالة الأولى والثانية لبطرس ويعقوب والأولى ليوحنا ويهوذا .

ونجد أسلوب الرسائل هذا أيضا فى القسم الأول من رؤيا يوحنا[1] فهى سبع رسائل موجهة إلى سبع جماعات فى آسيا الصغرى . وهذه الرسائل لم تكن أصلا رسائل إلا أنها ألفت فى أسلوب نبوى وتشتمل على تهديدات ووعود وقد نشرت مجتمعة ووضعت لها مقدمة كأسلوب بولس فى رسائله فمثل هذه الخطابات أثرت بأسلوبها على أسلوب الرسائل الحقيقية مثل رسائل كليمنس واجناتيوس .

أما رسالة العبرانيين ورسالة برنابا فعبارة عن نمط لاهوتى كما تمتاز رسالة برنابا بأسلوبها الاسكندرى أما الأسلوب الحقيقى للرسائل فغير ملاحظ فى الرسالتين الا إذا استثنينا الخاتمة ويرجع أنها أقحمت فيما بعد . وتلاحظ على الرسالتين العناصر الخطابية مما يؤيد استخدامهما قراءة وهما قريبتان جداً من رسائل المواعظ التى تشتمل على بعض عبارات التهديد والوعيد ونحن نلحظ هذه الظاهرة فى بعض رسائل بولس وبخاصة فى الرسالة الثانية لتسالونيكى وكولوسى وافسس فالرسائل الثلاثة ترجع إلى عصر خاص . فى

---

(١) ص ١ ى ٤ إلى ص ٣ ى ٢٢ .

الرسالة الثانية لتسالونيكى نقرا عن عودة المسيح وفى كولوسى المسيحية عامة وفى أفسس مساواة اليهود بالوثنيين فى المسيحية .

رسالة الرومانيين

وضعها بولس عام ٥٧ م فى مدينة كورنثوس إلى أهل روما وفيها يتنبأ بانتشار المسيحية وأنها سترث اليهودية وتصير ديانة العالم .

وتقسم هذه الرسالة عادة إلى قسمين رئيسيين الأول وهو عبارة عن الأصحاحات ١ — ١١ وفيه نلمس تعاليم بولس وروحه القوية . أما القسم الثانى ص ١٢ — ١٦ فيحذر فيه بولس الجماعة من طاعة الرؤساء إذا ما حادوا عن جادة الطريق وتعارضت رغباتهم أو أوامرهم مع العـــدالة الاجتماعية . وأشار بولس فى هذا القسم أيضا إلى حتمية عودة المسيح وإلى الإيمان القوى ووجوب التمسك به كما تحدث عن رغبته فى الرحيل إلى روما وأسبانيا .

ولم يسلم هذا الخطاب من معارضة بعض المعارضين أمثال (مركيون) الذى حذف منه الأصحاحات ٤ و ١٥ — ١٦ وكثيرا من الآيات الواردة فيما بين ص ٩ — ١١ اعتقادا منه أنها دخيلة على الخطاب .

ثم جاء (بور) وقرر متـــأثرا باراء (مركيون) أن الأصحاحين الخامس عشر والسادس عشر وضعا فى القرن الثانى الميلادى كما أنهما لمؤلف آخر غير بولس . ويعتقد آخرون حديثون أن الأصحاح السادس عشر دخيل على الخطاب ليس منه وهو موجه إلى جماعة أخرى غير سكان روما ويرجح هؤلاء العلماء أنه كتب لأهل أفسس بدليل كثرة عبارات التحية والمجاملات التى لا يمكن أن تصدر عن بولس إلى جماعة لا يعرفها معرفة وثيقة من ناحية ولتكرار الخاتمة الواردة فى ص ١٥ ى ٣٣

وص ١٦ ى ٢٠ ولكثرة التحذيرات الواردة فى ص١٦ ى ١٧ — ٢٠ والتى لا يمكن أن تصدر عن بولس الا لجماعة يثق فيها وفى طاعتها وانقيادها له من ناحية أخرى .

رسالة كورنثوس

الرسالة الأولى

فى خريف عام ٥٠ م نجح بولس فى تكوين جماعة مسيحية جديدة فى كورنثوس بعد مجهود دام سنة ونصف السنة (أعمال الرسل ص ١٨ ى ١١) وذلك عند عودته من عودته مقدونيا وأثينا عقب رحلته التبشيرية التى قام بها فى بلاد اليونان .

وهذه الرسالة التى يرجح أنها أرسلت فيما بين عامى ٥٤ — ٥٧ م ليست الأولى من نوعها التى أرسلها بولس لهـــذه الجماعة إذا أننا نقرأ فى رسالته الأولى هذه ص ٥ ى ٩ — ١١ ما يفيد أنه كان قد سبق له وأرسل إليها خطابا من قبل . ولعل سبب كثرة إرسال الرسائل إلى هذه الجماعة اليونانية تمسكها بتقاليدها القديمة وميلها إلى تعدد الأحزاب وكثرة انتشار الفحش والزناء بين أهلها (ص ٥ — ٦) .

الرسالة الثانية

لعل السبب فى ابلاغ أهل كورنثوس الرسالة الثانية فشل الأولى فى تحقيق الأغراض التى قصد اليها فاردفها بأخرى بعدأن أرسل إلىهذه الجماعة (تيموثاوس) ص ٤ ى ١٧ و ص ١٦ ى ١٠ فلم يكن أحسن توفيقا من رسائل بولس لذلك عاود بولس مجهوده وأرسل إليهم رسالته الثانية هذه التى يهاجم فيها أهل كورنثوس ويقذفهم بأقسى السباب ويرميهم بأحط النقائص (ص ١٢ ى ٢١) .

وتقسم رسالته هذه عادة إلى ثلاثة أقسام الأول من ص ١ — ٧ والثانى من ص ٨ — ٩ والثالث من ص ١٠ — ١٣ . وفى القسم الأول يتحدث عن الخطر الذى كان يهدد حياته وعن التقائه بتيطس فى مقدونيا كما يعلن شيئا من السرور لخضوع الجماعة له وطاعتها لنصائحه . والقسم الثانى يعنى بالكلام عن جمع المال لأورشليم كما يبين لنا القسم الثالث شيئا من النزاع بين بولس وخصومه .

ومن الرسالة الأولى ص ٥ ى ٩ والثانية ص ٢ ى ٣ — ٤ و ص ٧ يتبين لنا أن هناك رسائل أخرى لبولس قد فقدت .

رسالة غلاطية

غلاطية إقليم بآسيا الصغرى نزلته فى أوائل القرن الثالث ق.م . قبائل كلتية وأقامت به إلى جوار السكان الآخرين . وفى عام ٢٥ ق .م . تمكنت روما من إخضاع هذا الاقليم وجعله ولاية رومانية عينت لها حاكما اتخذ من أنقرة إحدى مدن غلاطية مقراً له .

وحدث أن اعتنقت إحدى قبائل تلك المنطقة الديانة المسيحية إلا أن اليهود أثروا فى أولئك المسيحيين ونجحوا فى كسبهم لليهودية (ص ١ ى ٧ و ص ٣ و ص ٤ ى ١٠ و ص ٥) .

وتحدثنا هذه الرسالة التى يرجح أن بولس أرسلها عام ٤٩ أو ٥٤ م إلى غلاطية كثيراً عن هذه الجماعة المسيحية وعن حيل اليهود وأعمالهم ، كما أنه لا يعرف بالضبط إلى أى فريق من سكان غلاطية وجهت هذه الرسالة .

رسالة أفسس

كانت أفسس من كبريات المدن التجارية فى آسيا الصغرى وقديما كانت

تقع على البحر وسكانها خليط من اليونانيين وبعض الشعوب الشرقية وقد اتخذها الرومان عاصمة لولاية آسيا . وأقام بولس بها ما يقرب من ثلاثة أعوام (حوالى ٥٣ — ٥٥) واتخذها مركزاً من مراكزه التبشيرية .

ويشك بعض العلماء فى صحة توجيه هذه الرسالة إلى أهل أفسس ويسوق بعضهم أدلة كثيرة لتأييد هذا الرأى منها ما جاء فى ص ١ ى ١٥ وص ٣ ى ٢، ففى هذين الموضعين يخاطب بولس أهل أفسس كما لو أنه لا يعرفهم ولا تجمعه بهم صـــلة علما بأنه هو مؤسس هذه الجماعة المسيحية هناك ومتعهدها ، لذلك اعتقد (مركيون) أن هذه الرسالة كانت موجهة إلى أهالى اللاذقية ومن ثم فقدت وقد جاء ذكرها فى رسالة كولوسى ص ٤ ى ١٦

وتنقسم هذه الرسالة إلى قسمين رئيسيين أولهما من ص ١ ى ٣ إلى ص ٣ وهو يعنى بالحديث عن الجماعة وهو يمدحها ويشكرها بينما يهتم القسم الثانى من ص ٤ — ٦ بالتحذير والتبكيت ويدعو الجماعة إلى الاتحاد ومحاربة الضلالة .

والشىء الجدير بالذكر هو الشبه القوى بين هذه الرسالة ورسالة كولوسى (قارن أفسس ص ٥ وكولوسى ص ٣) وينكر بعض العلماء نسبة رسائله أفسس إلى بولس لاختلاف أسلوبها عن أسلوب بولس كما نعرفه من رسائله الأخرى (قارن أفسس ص ٤ ى ١٦ مع كولوسى ص ٢ ى ١٠ و ١٩) — خاصا بلفظ (جسد) والمعانى المختلفة التى استعمل فيها — وكذلك (أفسس ص ١ ى ٩ و ص ٣ مع كولوسى ص ١) خاصا بلفظ — سر —

رسالة فيـــلبى

أسس بولس حوالى عام ٥٠ أول جماعة مسيحية أوربية بفيلبى بمقدونيا (أعمال الرسل ص ١٦) ويبدأ بولس رسالته هذه بشكر الجماعة ووصف

حالته وحالة الانجيل كما يذكر أنه فى الاسر ويأمل أن يظل على قيد الحياة (ص ١) وبعد ذلك انتقل إلى مطالبة الجماعة بالتعاون والحب والطاعة ويسوق بولس جميع هذه الآيات فى عبارات رصينة قوية خاصة ما يتصل منها بالتحذير من اليهود خصومه وخصوم المسيحيين (ص ٣) . ثم ينتقل إلى الاصحاح الرابع حيث يشكر الجماعة للمبالغ الطائلة التى قدمت له .

ويرجح أن هذه الرسالة كتبت فيما بين عامى ٥٤ و ٥٧ وهى ليست الوحيدة من نوعها التى أرسلها بولس إلى أهل فيلبي كما أنها تنتمى إلى هذا النوع من الرسائل التى كتبها المؤلف فى فترة الأسر وقد ذكرها (بوليكار) فى رسالته ص ٣ ى ٢ والتى يذكر فيها أيضاً قائمة سريانية بأسماء الكتب الشرعية وترجع هذه الرسالة إلى حوالى عام ٤٠٠ م كما ذكر رسالتين لأهل فيلبي بينما لانعرف أبان حياة (مركيون) إلارسالة واحدة .

رسالة كولوسى

إذا جردنا هذه الرسالة من مقدمتها ص ١ ى ١ — ٢ وخاتمتها ص ٤ ى ٧ — ١٨ والتى تشتمل على بعض الشئون الخاصة استطعنا أن نقسمها إلى قسمين رئيسيين الأول نظرى (ص ١ ى ٣ إلى ص ٢) والثانى إنذارى تهديدى (ص ٣ إلى ص ٤ ى ٦) . وفى القسم الأول يكتب بولس إلى جماعة غير معروفة له وهو يتحدث إليها فى مواضيع نظرية عامة مع بعض الملاحظات الشخصية التى تحاول عادة أن توفق بين الكاتب وقرائه وهو فى كل ذلك لا ينسى المسيحية والدعاية لها .

أما القسم الثانى فهو تحذير وإنذار كما نقرأ فيه شيئا كثيرا خاصا بالأسرة والحياة العائلية . ويلاحظ على الرسالة عامة أن فكرة الله هى المسيطرة عليها كما يرجح أنها وضعت فى روما .

تســـالونيكى

الرسالة الأولى

نجح بولس وسلوانس وتيموثاوس عام ٤٩ فى تأسيس هذه الجمـــاعة المسيحية فى تسالونيكى كما كتبوا لها كما يتبين لنا من الإصحاح الأول الرسالة الأولى (أعمال الرسل ص ١٧ ى ١ — ١٠) وكذلك تسالونيكى الأولى ص ١ — ٣ ى ٦ . وتبدأ هذه الرسالة بشكر الجماعة لحسن سلوكها وتمسكها بالتعاليم المسيحية ومبادئها . وفى ص ٣ ى ١١ — ١٣ يختم بولس الجزء الأول من الرسالة بصلاة .

أما القسم الثانى فيبدأ (ص ٤) بتحذيرات خاصة بسبب انتشار فساد الأخلاق خاصة الزناء وبعد ذلك نقرأ بعض المواعظ . وفى ص ٥ ى ٢٥ — ٢٨ نجد خاتمة هذه الرسالة .

أما سبب كتابة هذه الرسالة فيلخص فى أن اليهود الذين هناك نجحوا فى إثارة الغوغاء ضد بولس حتى اضطر إلى الرحيل إلى أثينا وكورنثوس (أعمال الرسل ص ١٧ ى ١٠ — ١٥ وص ١٨) . لكن ما كاد بولس يترك الجماعة حتى شعر بحنين إليها يتجلى لنا فى الإصحاح الثانى من هذه الرسالة ولما رأى أن عودته إلى جماعته مستحيلة أقام هو فى أثينا وأرسل تيموثاوس إليها ليأتيه ببعض الأخبار التى قد تطمئنه عليها وقد كان ذلك . إذ عاد تيموثاوس إلى بولس وقص عليه من الأخبار ما شرح صدره ودفعه إلى كتابة هذه الرسالة إلى الجماعة وقد كانت الأولى إليها .

الرسالة الثانية

يستهلها بولس يشكر الجماعة على محافظتها على شعائرها الدينية وطقوسها المسيحية وبعد حديث عن الايمان والرجاء يختمها فى ص ٣ ى ١٧ — ١٨ .

ومن العلماء أمثال (جروتيوس) من يعتقد أن الرسالة الثانية سابقة للأولى ويستدل هؤلاء العلماء على صحة رأيهم بأدلة كثيرة تلخص فى أن ما جاء فى الرسالة الأولى ص ٥ ى ١١ — ١٣ يفترض سبق حدوث ما جاء فى الاصحاح الثانى من الرسالة الثانية . كذلك الحال مع ما جاء فى الرسالة الأولى ص ٤ ى ١٠ — ١٢ والاصحاح الثالث من الرسالة الثانية كذلك توقيع بولس بيده فى الرسالة الثانية ص ٣ ى ١٧ تزداد قيمته إذا ماجاء فى الرسالة الأولى .

لكن هذا الرأى لقى معارضين كثيرين أمثال (هرناك) الذى قال أن الرسالتين كتبتا فى وقت واحد كما قال غيره أن الثانية كتبت مباشرة بعد الأولى أعنى حوالى عام ٥٠ م وهذا هو أرجح الآراء .

تيموثاوس

الرسالة الأولى

هو أحد مريدى بولس ومن المخلصين له أبوه يونانى وامه يهودية مؤمنة لذلك ختنه بولس (أعمال الرسل ص ١٦ ى ١ — ٣) وقد أرسله بولس مع سلوانس فى رحلات تبشيرية متعددة كما انابه عنه لرعاية جماعة افسس واشركه معه فى وضع بعض رسائله .

ويستهل بولس رسالته هذه بتحياته ويرجوه العناية بجماعة أفسس مدة غيابه هو بمقدونيا (ص ١) وفى الاصحاح الثانى نجده يتحدث عن العبادة ووجوب المحافظة عليها كما يفاضل بين الرجل والمراة (آدم لم يغو لكن المرأة أغويت) . وفى الاصحاح الثالث يحث النساء على عدم التبرج والعناية بالاسرة وفى بقية الرسالة نقرا كثيرا من الوصايا الخاصة بحسن معاملة الناس وطريقة معاشرتهم ويختم هذه الرسالة بقوله « ياتيموثاوس احفظ الوديعة معرضا عن

الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الـكاذب الاسم الذى إذ تظاهر به قوم زاغوا من جهة الايمان . النعمة معك . آمين » .

الرسالة الثانية

يتحدث بولس فى ص ١ — ٢ عن اشتياقه إليه وعن اعجابه بايمانه جدته وامه كما يذكره برسالته المسيحية ووجوب العمل لها وتحقيقها . وفى ص ٣ يتنبا بمستقبل الانسانية المظلم وفساد الاخلاق وانحطاط القيم الخلقية كما يحذره بولس من العناية بهؤلاء المنحطين والاهتمام بهم . وفى ص ٤ يدعوه إلى المبادرة بالحضور اليه ويرجوه أن يقضى له بعض حاجاته كاحضار ثوبه وبعض كتبه معه .

تيطس

يونانى المولد وكان أحد مرفقى بولس إلى اورشليم (غلاطيه ص ٢) واحد من عاونه فى رحلاته التبشيرية لاسيما إلى كورنثوس (رساله كورنثوس الثانية ص ٢ ى ١٣ وص ٧ ى ٦ — ٧ وى ١٣ — ١٤ وص ٨ وص ١٢ ى ١٨) .

وتبدأ رسالة بولس اليه باعلان ثقته فيه هذه الثقة التى جعلته يأتمنه على الجماعة المسيحية بجزيرة كريت ليواصل العمل الذى بدأه بولس وهو تنظيم الجماعة المسيحية بتعيين شيوخ فى كل مدينة كما رسم له صورة الرجال الذين يصلحون للاسقفية وذلك لأن بولس كان يعتقد أن الـكريتيين كذابون وهم وحوش كاسرة .

وبعد أن عرض لاخلاق سكان الجزيرة والطريقة التى يجب أن يعاملهم بها انتقل بولس فى الاصحاح الثانى الى تيطس ونصحه بالعناية بالجماعة اجتماعيا .

وفى الاصحاح الثالث خاطبه على أن يحرص لتعليم الجماعة الخضوع للرؤساء والقيام بكل عمل صالح كما نهاها عن المناقشات والمجادلات التى لا طائل تحتها والتفاخر بالأنساب وختم رسالته بعبارة « يسلم عليك الذين معى جميعا سلم على الذين يحبوننا فى الايمان النعمة من جميعكم . أمين .

رسالة فليمون

كتبها بولس توصية للعبد (أونيسيموس) لدى سيده فليمون الذى يرجح أنه كان صاحب ضياع فى كولوسى . ويظهر من هذه الرسالة أن هذا العبد كان قد تسبب فى بعض الخسائر لسيده لذلك هرب من وجهه . فانتهز بولس هذه الفرصة وأدخله فى المسيحية وطلب منه أن يعود إلى سيده وزوده بولس بهذه الرسالة ليشفع له بها عند سيده ويقبله كأخ له فى المسيحية .

ويرجح أن هذه الرسالة التى كتبت فى روما أرسلت فى نفس الوقت الذى أرسلت فيه رسالة كولوسى وذلك أن بولس أرسل العبد (أونيسيموس) مع (تيشيكوس) الذى حمل رسالة كولوسى (كولوسى ص ٤ ى ٧ — ٩) .

إلى العبرانيين

وهذا سفر خاص وجهه المؤلف إلى طبقة خاصة لا نعرف أين وطنها وإن كنا نرجح أن أفرادها يهود تنصروا[١] . وفى هذا السفر أيضاً تتجلى صفة الوعظ والإرشاد حيث نطلع على طريقة جميلة لعرض الأفكار وتسلسلها مع ذكر الأدلة والاحتجاج بالبرهان وإن كان المؤلف قد أخطأ ختمها[٢] بعبارات تشبه تلك التى عهدناها فى رسائل بولس مع الفارق العظيم هذين النوعين من الأدب .

---

(١) ص ٥ ى ١١ حتى ص ٦ ى ١٢ وص ١٠ ى ٣٢ — ٣٤

(٢) ص ١٣ ى ١٨ — ٢٥

أما المؤلف فإننا نجهل اسمه ولانعرف عنه كثيراً لكن يظهر من أثره الأدبى أنه رجل قوى الخلق شديد الإرادة كما أنه كان على إتصال شخصى بأحد تلاميذ بولس إلا وهو (تيموثاوس)[١] . كما يظهر أيضاً أنه كان من اليهود الذين اعتنقوا النصرانية .

ويرجح أن هذا السفر كتب قبل عام ٧٠ م بدليل هذا التحدى الظاهر الذى يطالب به المؤلف الجماعة المسيحية لليهود الذين كانت لهم مدينة قائمة[٢] وهذه المدينة هى أورشليم فالسفر وضع قبل أن يحل بها خراب تيطس عام ٧٠ م .

ويمتاز هذا السفر عن سائر رسائل العهد الجديد بعمقه اللاهوتى وإهتمامه بالتعاليم المسيحية وحياة المسيح لذلك فهو يرى أن المسيحية فى خطر لأن إيمان أصحابها تنقصه الحيوية كما تنقص أولئك المسيحيين الوسائل المختلفة للتغلب على الخطيئة .

رسالة يعقوب

وهو يعقوب أخو المسيح وزعيم الجماعة المسيحية الأولى فى أورشليم[٣] وكان يلقب بالعادل ولم يؤمن كغيره من أقارب المسيح برسالته أبان حياة المسيح لكنه اعتنق المسيحية بعد وفاته . وفى عام ٦٢ أمر كبير الكهنة (أنانوس) برجمه فرجم حتى توفى ويروى لنا خطاب كورنثوس الأول ص ٩ ى ٥ أن يعقوب هذا كان متزوجا .

أما خطابه المعروف باسمه فيحتوى على كثير من عبارات التحذير كما أن ذكر المسيح لم يرد فيه إلا فى ص ١ ى ١ و ص ٢ ى ١ . ومن العلماء من

(١) ص ١٣ ى ٢٣

(٢) ص ١٣ ى ١٣ — ١٤

(٣) غلاطية ص ١ ى ١٩ وص ٢ وأعمال الرسل ص ١٢ ى ١٧ وص ١٥ ى ١٣ وص ٢١ ى ١٨

يعتقد أن المؤلف ليس هو أخا المسيح بل أنه يهودى وقد راجعه عليه فيما بعد مسيحى إلا أن هذه المراجعة كانت سطحية . ويسوق هؤلاء العلماء أدلة كثيرة لتأييد عدم صحة نسبة هذه الرسالة ليعقوب منها أن يعقوب كما جاء فى غلاطية ص ٢ ى ١٢ كان معارضا لقوانين الطقوس الدينية . وفى هذه الرسالة نجد[١] ما ينقض ذلك . وعلاوة على هذا فالرسالة مؤلفة فى لغة يونانية فصحى فيها الشيء الكثير من اللعب بالألفاظ مما يجعل نسبتها إلى يعقوب الذى كان لسانه كلسان أخيه المسيح أراميا بعيدة التصديق . أما تأليفها فيرجح أنه حدث فى الفترة الواقعة فيما بين عامى ٨٠ و ١٣٠ م .

بطـــــرس

وهو الذى يدعى أحيانا شمعون[٢] و(صفا)[٣] وكذلك سمعان بطرس[٤] هو ابن يونا حسب رواية متى ص ١٦ ى ١٧ أو يوناس كما يذكر يوحنا ص ٢١ ى ١٥ — ١٧ وهو من مواليد الجليل كما يقول مرقس ص ١٤ ى ٧٠ أو بيت صيدا كما يذكر يوحنا ص ١ ى ٤٤ .

وبطرس الذى ترك وأخوه اندرياس مهنة الصيد وهجرا عائلتهما وتبعا المسيح يعتبران من أوائل الحواريين وأقطابهم[٥] كما يقرر بولس أن بطرس هو أول من ظهر له المسيح بعد قيامه[٦] وبطرس هذا من دعائم الأسرة المسيحية فى أورشليم[٧] وخارجها وهو الذى كافح فى سبيل انتشار المسيحية ونصرتها[٨]

(١) ص ١ ى ٢٥ وى ٢٧ وص ٢ ى ١٠ وى ١٢
(٢) أعمال الرسل ص ١٥ ى ١٤ و طرس الثانية ص ١ ى ١
(٣) يوحنا ص ١ ى ٤٢
(٤) متى ص ١٦ ى ١٦
(٥) مرقس ص ١ وص ٣ ى ١٦ وص ١٠ ى ٢٨ ومتى ص ١٠ ى ٢ ولوقا ص ٦ ى ١٤ وأعمال الرسل ص ١ ى ١٣
(٦) رسالة كورنثوس الاولى ص ١٥ ى ٥ (قارن مرقس ص ١٦ ى ٧ ولوقا ص ٢٤ ى ٣٤ ويوحنا ص ٢١ ولوقا ص ٥
(٧) غلاطية ص ٢ ى ٩
(٨) أعمال الرسل ص ١ ى ١٥ — ٢٦ وص ٢ ى ١٤ — ٤١ وص ٣ — ٤ ى ٢٢ وص ٥ ى ١ — ١٦ وص ٨ ى ١٤ — ٢٥ وص ٩ ى ٣٢ — ٤٣ وص ١٠ — ١١ ى ١٨ وص ١٢ ى ١ — ٤

لكن بطرس هذا الذى عاش متزوجا فى كفر ناحوم[١] والذى كان يحترف مع أخيه اندرياس صيد السمك[٢] مات فيما يعتقد مصلوبا فى روما(٣) بعد أن ترك أثراً قويا فى العالم المسيحى حتى نسبت إليه فيما بعد مؤلفات كثيرة منها :

الرسالة الأولى

ومن أهم ما يلاحظ عليها عدم تسلسل موضوعاتها واضطراب حبل تأليفها وإن كانت فى مجموعها ملأى بعبارات التحذير والنصائح الموجهة للرجال والنساء كما نقرأ فى آخر الاصحاح الخامس ما يفيد أنها كتبت بيد سلوانس .

وهذه الرسالة التى وجهت لمسيحى آسيا الصغرى هى فى الواقع من تأليف شخص آخر غير بطرس وذلك بدليل فصاحة اللغة اليونانية التى كتبت بها واستعانة المؤلف بالنسخة اليونانية للعهد القديم كذلك إلمامه برسالة بولس . أما المؤلف الحقيقى فقد وضعها حوالى عام ٨٠ م وذلك فى عصر متأخر عن بطرس .

الرسالة الثانية

لا علاقة بين الرسالتين بخلاف الصلة القوية التى تربط بين الرسالة الثانية ورسالة يهوذا ففى رسالة بطرس الثانية والتى وضعت فى عصر متأخر عن رسالة يهوذا نجد الاقتباسات كثيرة من يهوذا فالآية ١١ من الإصحاح الثانى من

---

(١) مرقس ١ ى ٣٠ (قارن رسالة كورنثوس الاولى ص ٩ ى ٥

(٢) مرقس ص ١ ى ١٦

(٣) يوحنا ص ٢١ ى ٨ـ٩ ورسالة بطرس الثانية ص ١ ى ١٤

بطرس لايمكن فهمها إلا بقراءة الآية التاسعة من يهوذا . كذلك الجملة التحذيرية الواردة فى بطرس الثانى مأخوذة من يهوذا ى ١٣ وسائر العبارات التكميلية . وكما أثبت العلماء عدم صحة نسبة الرسالة الأولى لبطرس كذلك موقفهم من الرسالة الثانية خاصة بعد أن جاء فى الآية الأولى من الإصحاح الثالث ما معناه « هذه أكتبها الآن إليكم رسالة ثانية أيها الأحباء لأنهض بهذا واذكر ذهنكم الزكى » فهنا يفترض المؤلف صحة الرسالة الأولى وهذا خطأ .

أما لغتها فاليونانية الفصحى والأثر الهلليني واضح فيها كما أن صاحبها كانت تحت يديه مجموعة من رسائل بولس التى يشير إليها فى ص ٣ ى ١٦ .

وفى عام ١٨٩٢ نشر المستشرق (بوريانت U,Bouriant) جزءا من مخطوط عثر عليه فى شتاء ١٨٨٦/١٨٨٧ فى قبرمسيحى فى صعيد مصر وهذا المخطوط هو إنجيل بطرس الذى يرجح أنه وضع فيما بين عامى ١٣٠-١٨٠م أما الجزء الذى نشر بوريانت فيشتمل على الآم المسيح وبعثه . وقد عرف هذا الإنجيل قديماً كثيرون من كتاب الكنيسة التقدميين أمثال (أورجينيس Origencs) و (أويزبيوس Eusebius) .

ومن الرسائل الأخرى التى تنسب لبطرس الرسالة المعروفه باسم (كيرجما Kerygma)وهى رسالة مسيحية قديمة اقتبس منها (كليمانس) الاسكندرى و (أورجينيس) الشيء الكثير . وقد عالج المؤلف فى هذه الرسالة الفروق القائمة بين عبادة المسيحيين وعبادة اليونانيين واليهود كذلك الوثائق المعروفة برسائل بطرس التى ذكرها أويزبيوس والتى تعنى بتاريخ حياة بطرس وقد وصلتنا فى اللغة اللاتينية Actus Vercellenses Actus Petri cum simone مترجمة عن اليونانية وهى تعالج علاوة على ذلك الكفاح الذى دار بين بطرس وشمعون مجوس simon magos) فى روما ويرجح أن هذه الوثائق كتبت فى

---

(١) ص ٢ ى ١٧

وفى أوائل القرن الثالث الميلادى وإلى جانبهما نجد وثائق أخرى تعرف باسم وثائق بطرس وبولس وهى تتحدث عن الوثائق السابقة والتى تعالج نفس المواضيع التى عالجها سفر أعمال الرسل خاصة جهاد بطرس وبولس معاً فى روما حيث التقيا بشمعون مجوس وانتصرا ومن ثم استشهدا .

وغير تلك الكتابات السابقة تنسب لبطرس كذلك رؤية مشهورة لم نعرف عنها شيئاً حتى عام ١٨٩٢ اللهم إلا هذه الاقتباسات التى ذكرها كتاب الكنيسة منذ كليمانس. الاسكندرى ويظهر أن هذه الرؤية كانت مهمة جداً خاصة فى مصر التى ضمتها لزمن طويل للكتاب المقدس. ومن حسن الحظ أن نفس المخطوطة التى عثر على جزء منها (بوريانت) فى الصعيد تشتمل إلى جانب هذه الصفحات من إنجيل بطرس على جزء خاص من رؤياه أيضاً ومقارنتها بالعبارات التى استشهد بها كليمانس ظهرت صحتها .

ومع مرور الزمن أخذت معلوماتنا الخاصه بهذه الرؤية تتسع وتزداد منذ عام ١٩١٠ م إذ عثر على ترجمة حبشية لها ، ولعل ما يلفت النظر فيها وصف جهنم الذى تتجلى فيه أثار الديانات الشرقية القديمة وخاصة المصرية. وقد أثر هذا العرض لجهنم فى العقلية المسيحية تأثيراً بالغاً انتهى إلى هذه الصورة التى تنقلها الكوميديا الآلهية لدانتى .

رسائل يوحنـــا(١)

ثلاث ثانيتهما خاصة بالسيدة المختارة وثالثتهما تنصرف إلى (جايوس

---

(١) عثر أخيراً على جزء كبيراً من الوثائق المنسوبة إلى يوحنا وهى تتحدث كثيراً عنه أبان أواخر حياته ، كما تنسب إليه كثيراً من المعجزات التى أتى بها أبان حياته . ومما جاء فيها ايضا ان يوحنا كان يعتقد ان جسد المسيح كان صوريا غير حقيقى فهو لا يترك اثراً فى الرمال ولا يلمس اذا حاول إنسان لمسه لذلك كان صلبه صورياً فقط .

وقد ذكر (أويزيوس) وأباء الكنيسة هذه الوثائق ضمن كتابات الهرطقة ، كما قرر (فوطيوس Photius) فى القرن التاسع أن رحلات الرسل التى دونت فيها أعمال بطرس ويوحنا وأندرياس وتوما وبولس من تأليف (لويكيوس خارينوس Leucius Charinos).

Gaius) واختلفت الأولى عن الأثنتين فى طريقة عرضها وعدم اشتمالها على خصائص الرسائل فهى عبارة عن مواعظ وإرشادات . وتتفق الرسائل الثلاث فى اللغة والأسلوب وإن لاقت الأولى قديماً تقديراً عظيما من رجال الكنيسة حتى ضموها إلى كتبهم الشرعية . وفى هذه الرسالة أيضاً تتجلى رغبة المؤلف فى محاربة جماعة خاصة ناوأت المسيحية وفرقت بين يسوع والمسيح واعتبر ظهور هذه الجماعة من دلائل قيام الساعة .

أما مؤلفها فيشك فى أنه يوحنا بن زبداى صاحب الإنجيل الرابع وإن قالت الكنيسة بذلك كما اعترفت له بأنه صاحب الرسالتين الثانية والثالثة ويخشى العلماء أن رجال الكنيسة خلطوا بين يوحنا بن زبداى وبين غيره من المؤلفين الذين كانوا يسمون بهذا الاسم خاصة فى القرن الثانى الميلادى . أما الحجة التى يسوقها القائلون بأن هذه الرسالة ليوحنا بن زبداى فالشبه بين الإنجيل وبين الرسائل ويدفع الخصوم هذه الحجة بقولهم أن هذا الاتفاق فى الأسلوب قد يعلل بالبيئة والعصر والثقافة إذ عاش فى تلك الفترة جماعة من الكتاب تلقوا نوعاً من الثقافة يكاد يكون واحداً .

أما عصر تأليف الرسالة فيكاد يقع فى أوائل القرن الثانى الميلادى .

والموقف من الرسالتين الثانية والثالثة لا يختلف عن الموقف من الرسالة الأولى فالشبه قوى بين الثانية والثالثة كما أن الأخيرة تشير إلى أن المؤلف أرسل خطاباً إلى جماعة إلا أن شخصاً معيناً يدعى (ديوتروفس Diotrophes) خاصم المؤلف وناصبه العداء ورفض رسالته وقاوم نشرها ويظهر أن هذا الخطاب الذى أشير إليه فى الرسالة الثالثة هو الرسالة الثانية وذلك لأن عبارة ـ السيدة المختارة ـ الواردة فى الرسالة الثانية ترمز فى الحقيقة إلى جماعة مسيحية كما يفهم ذلك من الآيتين الثالثة والرابعة من نفس

الرسالة والرسالة تأمر بالحب وتنهى عن الكفر والالحاد وكما أنه من الصعب الاهتداء إلى مؤلف الرسالة الأولى كذلك الحال مع مؤلف الرسالتين الثانية والثالثة .

يهوذا

من نص الآية الأولى - يهوذا عبد يسوع وأخو يعقوب . . . يريد المؤلف أن يقرر أنه احد أخوة المسيح الذين ورد ذكرهم فى مرقس [1] والواقع أن هذه الرسالة التى يرجح أنها وضعت فى منتصف القرن الثانى ليست ليهوذا بدليل حديثها عن طبقة من المهرطقين لم تعرفهم المسيحية أبان حياة يهوذا كما وردت فى الآيات ٣ و ٢٠١٧ وهذا يفيد أن الرسالة وضعت بعد عصر الحواريين .

رؤية يوحنا

وفى يوم من أيام الآحاد ظهر المسيح فى جزيرة بطمس ليوحنا وأملى عليه سبع رسائل لسبع جماعات مسيحية كانت تقيم فى أفسس وأزمير وبرجاموس (برجاس) أو ثياتيرا وساردس وفيلادلفيا واللاذيقية الواقعة فى غرب آسيا الصغرى . وهذه الرسائل بمدائحها وهجائها ووعدها ووعيدها تكون الجزء الأول من هذا السفر بينما تكون الرؤى الجزء الثانى . وليس معنى هذا أن هذا الكتاب كتب دفعة واحدة أو أن الرؤى تجلت لشخص بعينه فنقاد العهد الجديد أثبتوا أن ما ينسب ليوحنا من رؤى عبارة عن خلاصة كتب أنبياء العهد القديم أمثال حزقيال وأشعيا وزكريا ودنيال وعزرا إلى جانب التراث العقلى اليهودى وبعض الآيات والفصول الأخرى التى أقحمت على الكتاب فى عصور متأخرة . ويفرق أيضاً بين رؤى رئيسية كتلك التى عرضت للمسيح والخطابات السبعة والأختام السبعة والتى تكون

(١) ص ٦ ى ٣ ومتى ص ١٣ ى ٥٥

فيما بينهما وحدة رئيسية وأخرى فرعية متأخرة تتحدث عن المصائب وهى من وضع مؤلف آخر غير صاحب الرؤى السابقة .

أما هذا السفر فقد وضع فى عصر من العصور المسيحية الحرجة التى تعرضت فيها للزوال واستهدف أتباعها للاضطهاد . ولاشك أيضاً فى أن واضع هذا السفر أصاب هدفين عظيمين أولهما أنه أعطى الجماعات المسيحية المختلفة التى كانت مستوطنة غرب آسيا الصغرى فكرة عن المسيحية الحقيقية وتعاليمها الصحيحة مع شيء من الترغيب فى التضحية والتفانى فى سبيلها كما هدد فى نفس الوقت المخالفين وتوعدهم . وثانى الهدفين الإفصاح عن نهاية العالم وتصويره للمسيحيين الذين كانت نفوسهم متعطشة إلى معرفة هدف الحياة وغاية الوجود .

وقد تحققت الغاية وأنقذت الجماعات من كارثتين عظيمتين احداهما دينية والأخرى سياسية أما الأولى فتلخص فى ظهور حركة الجماعة المعروفة بالنقولية نسبه الى نقولا فى افسس وبرجمون وتياتيرا وكانت هذه الجماعة تنادى بمبادىء تتعارض والمسيحية كما ان نقولا هذا كان يوالى إرسال أتباعه الذين أطلق عليهم حواريين إلى مختلف الجهات لنشر مبادئه ومكافحة المسيحية . ويذكر الإصحاح الثانى من هذا السفر أن أمر هذه الجماعة قد ازداد خطراً وظهرت فى ثياتيرا امرأة متنبأة تدعى إيزابلا وكانت تؤمن بالشيطان .

والكارثة السياسية تلخص فى حركة الاضطهاد الواسعة النطاق التى شنها خصوم المسيحية على أبنائها[1] والتى اضطرت كل كاتب رسالة أن يختمها بعبارة يفهم منها أنه قريب من يوم الاستشهاد لذلك اهتم هذا السفر بتقوية روح الإيمان وتحبيب الاستشهاد الى نفوس المسيحيين فى سبيل عقيدتهم .

(١) ص ٢ ى ١٣ وص ٦ ى ١١

ولعل أبلغ جزء فى السفر أدى الغاية المرجوة منه هو ذلك الجزء الثانى الذى اهتم بالرؤى خاصة ففيه نجد وصفاً شيقاً لليوم الآخر وظهور الشيطان والأختام السبعة (ص ٥) والأبواق السبعة أيضاً (ص ٨) والمصائب السبعة (ص ١٥). أما رؤية الأختام فعبارة عن اجتماع لأهل السماء حول عرش الله وعلى يمينه كتاب ختم بسبعة أختام وفيه حوادث المستقبل. ثم نقرأ بعد ذلك كيف تفض هذه الأختام حتى يأتى دور الخاتم السابع وقبل أن يفض يظهر جيشان عظيمان مؤمنان ويفض الختم ويظهر سبعة ملائكة معهم سبعة أبواق. ولما بوّق الأول حدث برد ونار مزيجهما دم ثم سقط البرد والنار أرضاً فاحترق ثلث الأشجار وكل عشب أخضر. ثم بوّق الثانى فالثالث حتى السابع وفى كل مرة تحل بالعالم كارثة فادحة (ص ٨ - ٩) وبعد هذه الرؤى وتلك المصائب نقرأ فى السفر قصصاً تنبين للقارىء وكأنها دخيلة ومنها هذه النبوءة الخاصة بالمعبد ووجوب المحافظة عليه[١]. وبعدها مباشرة يستمر تسلسل الرؤى فيظهر الملاك السابع ويبوق معلناً نصر المسيحية وهنا يسدل الستار ويظهر نوع جديد من الصور يقدم لنا مناظر متعددة لتبين - رمز الشيطان - وللمسيح ونجاته[٢] ثم يأتى الملاك ميكائيل ويحارب التنين حتى ينتصر عليه ويخرجه من السماء ويقذفه أرضاً[٣] وهنا نرى التنين يقتفى أثر المرأة ونسلها[٤].

ويختفى هذا المنظر ويظهر وحشان يحكمان العالم أحدهما خرج من البحر وفوضه التنين أمر الكون ومنحه سلطاناً عظيماً أما الآخر فقد خرج من الأرض وتولى الإشراف على تنفيذ شرائع الوحش الأول وأوامره[٥].

(١) ص ١١ ى ١ـ١٤
(٢) ص ١٢ ى ١ـ٦
(٣) ص ١٢ ى ٧ـ١٢
(٤) ص ١٢ ى ١٣ـ١٧
(٥) ص ١٣ ى ١ـ١٨

هذا عرض موجز للسفر ومحتوياته ، ومن الجدير بالذكر أيضاً أن نعرض لموقف بعض رجال الدين منه، فقد حاول كثيرون منهم تحميل هذه الرؤى فوق طاقتها فأولوها تأويلات كثيرةوالواقع أن أمرهذا السفرأهون من كل هذا فالأمر يدور حول جماعة مسيحية مضطهدة مغلوبة على أمرها تنكل بها إمبراطورية قوية تملك جميع وسائل التعذيب والتشريد الكفيلة بالقضاء عليها . فرؤيةالتنين الواردة فى ص ١٣ ماهىإلاإشارةإلى الاضطهاد الذى ينتظر المسيحيين كما أن الوحش الأول رمز الإمبراطورية الرومانية والوحش الثانى تقديس القيصر أما بابل الزانية فهى روما والملوك[١] قياصرتها . لكن الرؤية الخاصة بالوحش والزانية (ص١٣) أو الواردة فى ص ١٧ فمن الأساطير القديمة كذلك الحال مع العدد ٦٦٦ (ص ١٣ ى ١٨) .

والآن نتساءل من هومؤلف هذا السفر، هذا هو موضوع الجدال حتى اليوم بالرغم من أن السفر يقرر صراحة أنه من وضع يوحنا لكن الأفراد الذين تسموا بهذا الاسم كثيرون ، ثم هل هو يوحنا صاحب الإنجيل الرابع أو يوحنا صاحب الرسائل أم يوحنا آخر ؟ الكنيسة تقول انه يوحنا ابن زبداى الحوارى لكن موقف الرؤية من المسيح وتاريخه يجعلنا نشك فى نسبة السفر إلى يوحنا الحوارى خاصة بعد الاضطلاع على ص ١٨ ى ٢٠ أو ص ٢١ ى ١٤ إذ فى هذين الموضعين يتبين لنا صراحة أنه ليس ضمن هؤلاء الحواريين الذين كما تقول الرؤية صراحة استشهدوا جميعهم . لذلك يرجح أن صاحب هذه الرؤية هو غير يوحنا صاحب الإنجيل الرابع أو مؤلف الرسائل . ومما يؤيد هذا أن يونانية الإنجيل بالرغم من تأثرها بالآرامية تخالف لغة الرؤى غير أن مؤلفها نجح فى المحافظة على استعمال القواعد اللغوية الصحيحة بخلاف صاحب الرؤية. وإلى جانب هذا الفروق اللاهوتية بين الإنجيل والرؤية والرسالتين الأولى والثانية . والواقع أن مؤلف الإنجيل غير مؤلف الرؤية ولا نعرف عن الأخير أكثر مما نعرفه عنه من السفر المنسوب إليه .

(١) ص ١٧ ى ١٠ — ١١

ويقينا أن سفر الرؤية لمؤلف آخر نسبه ليوحنا ؛ وذلك ليس بالجديد في الكتاب المقدس فسائر الرؤى التي وصلتنا من دنيال إلى بطرس ألفت فيما بعد واسندت إلى من أسندت إليهم .

أما زمن تأليف رؤية يوحنا فمختلف فيه فبعض هذا الرؤى وضعت ولاشك قبل خراب أورشليم أعنى قبل عام ٧٠ م بينما الكتاب لم يكمل قبل عام ٩٠ م وهذا الكتاب يهودى مسيحى ومن هنا نجد العلاقة قوية بينه وبين العهد القديم والرؤى اليهودية من ناحية ومحاولة تنصير العناصر الغريبة فيه من ناحية أخرى .

الأبوكريفا

رأينا عند عرض الابوكريفا فى العهد القديم المراحل المختلفة التى مر بها هذا اللفظ ، كما أدركنا نوع وعدد الأسفار التى تتكون منها لكن الأمر ليس كذلك عندما نعرض لهذا النوع من الكتابات غير الشرعية فى العهد الجديد فعدد الأناجيل والرسائل والرؤى والوثائق غير ثابت وقابل للزيادة لاختلاف وجهات نظر العلماء من ناحية وللبحث المتواصل عن آثار المسيحية القديمة من ناحية أخرى . وقد وفق الباحثون أخيراً إلى العثور على كثير من الآثار اللاهوتية التى أضافت إلى الابوكريفا الشيء الكثير كما وضعت بين يدى عالم تاريخ الأديان مجموعة من المصادر القيمة التى لاغنى عنها عند فهم تاريخ المسيحية ونستطيع أن نقسم محتويات الابوكريفا إلى أربعة أقسام : -

أناجيل
رسائل
رؤى
وثائق

أما الأناجيل فأشهرها :

١ - أنجيل العبريين

أنجيل يهودى مسيحى وضع فى منتصف القرن الثانى وفى اللغة اليونانية حسب ارجح الآراء وقد اختلف العلماء حول محتوياته والصلة التى تجمع بينه وبين الأناجيل الشرعية فمثلا (كليمنس) الاسكندرى و (أوريجينيس يقرران عن طريق الاقتباسات التى ذكراها أن هذا الإنجيل يختلف اختلافا كبيراً عن الأناجيل الشرعية بينما يخلط (ابيفانيوس Epiphanius) بينه

وبين أنجيل الأبيونيم أو الفقراء كما يعتقد (ا . شميدتكه A.Schmidtke) أن (نيكفوروس Nikephoros) و (هيرونيموس Hieronjmus خلطا بين هذا الأنجيل وأنجيل فرقة الناصريين

ب — انجيل المصريين

يرجح أنه وضع فى مصر وفى أوائل القرن الثانى ويمتاز بتعاليمه الشديدة التى حرمت النكاح وأكل اللحوم . وقد أشار كثيرون من العلماء المسيحيين أمثال (أوريجينيت) و (هيبوليت) اليه، كما استشهد كليمنت الأسكندرى كثيرا بعباراته .

ج — انجيل بطرس

راجع رسالتى بطرس ملاحظة رقم ١

د — أناجيل الطفولة

تمتاز هذه الأناجيل التى ، كما يدل عليها اسمها تعالج حياة المسيح وليدا ويافعاً وشاباً عن انجيلى متى ولوقا اللذين عرضا لنفس الموضوع بالاهتمام بالمسيح كفرد لا علاقة له بالمجتمع بينما متى ولوقا يعنيان بحياة المسيح متصلة بالحياة الاجتماعية . وحياة المسيح كما هى مدونة فى أناجيل الطفولة متأثرة كثيرا بالقصص الشرقى القديم الخاص بالآلهة وأبنائهم والمعجزات والعجائب والأرواح . ومن هذه الأناجيل انجيل خاص بمريم وميلادها ، وهو يرجع إلى منتصف القرن الثانى الميلادى كما ألف باليونانية وترجم إلى اللاتينية والسريانية والقبطيه ولغات أخرى وهو يبدأ بالحديث عن مريم وانحدارها من أبوين عظيمين ثريين وهما يواقيم وحنه ، وكانت فتاة على جانب عظيم من الصلاح والتقوى حتى أنها أهديت للمعبد وهذا هو السبب الذى دفعها

إلى مديدها للكهل يوسف الذى توفيت زوجه وتركت له أطفالا منهم يعقوب

ويلى هذا الإنجيل القصة المعروفة بقصة الطفولة لتوما وهى فى الواقع اختصار وتحوير لانجيل توما الذى أشار اليه كثيرون أمثال (هيبوليت) و(أوريجينيس) و(أويزبيوس) . وقد وصلتنا هذه القصة فى تراجم يونانية ولاتينية وسريانية وصقلبية وهى تحدثنا خاصة عن المسيح فيما بين الخامسة والثانية عشرة . وفى العصور المتأخرة أضيفت إلى هده الأناجيل مجموعة أخرى من الأناجيل أخص ما تمتاز به اهتمامها بيوسف النجار .

ه — انجيل الإبيونيم أو الفقراء

أطلق هذا اللفظ أول ما أطلق على اليهود الذين تنصروا ومن ثم قصر على طوائف خاصة منهم ويقول (ابيفانس) عن هدا الأنجيل أنه تحريف لإنجيل متى وإن كان المؤلف قد قدم الحواريين كمحدثين عن حياة المسيح

و — أنجيل الناصريين

ناصرى أو نصرانى نسبة إلى ناصرة الجليل التى ينتسب اليها المسيح . وقد أطلق لفظ ناصرى قديماً على المسيح ومن ثم عمم فأطلق على أنصاره ثم خصص باليهود الذين دخلوا فى المسيحية . وقد خالفوا سائر المسيحيين فى اعتقادهم الخاص بولادة المسيح والعذراء وفى الشريعة وأمور أخرى تفرق بينهم وبين الوثنيين الذين تنصروا ويذكر ابيفانوس أن الناصريين كانوا جماعة يهودية قبل المسيحية وقد اختلفت هذه الجماعة عن سائر اليهود فى الختان وتقديس السبت كما رفضت القربان و أكل اللحوم كما قالت بتحريف الشريعة لذلك اتخذت لها انجيلا خاصا كثيرا ما حدثنا عنه (هيرونيموس) إلا أن (اشميدتكه) يعتقد أنه انجيل العبريين ومأخوذ من انجيل متى مع بعض التغييرات .

ومن أشهر رسائل الابوكريفا رسالتا كليمنس وروما نوس ثالث خليفتى بطرس فى قائمة اسقافة روما وقد استشهد أيام تراجان .

أما أولى رسالتيه فقد ألفت فى اليونانية من الجماعة المسيحية الرومانية إلى مسيحى كورنثوس وجاء فيها حديث عن اضطهاد نيرون للمسيحيين وبالرغم من أنه لم يعترف بها كرسالة شرعية الا أنها وإرادة ضمن مخطوطات الكتاب المقدس . وقد وصلتنا هذه الرسالة التى يرجح أنها كتبت حوالى عام ٩٥ / ٩٦ م فى لغات مختلفة كالسريانية واللاتينية والقبطية ولعل الدافع إلى وضعها حركة الاضطهاد التى قامت بها جماعة كورنثوس ضد بعض الرؤساء المسيحيين هناك . هذا الاضطهاد الذى أضطر كليمنس رومانوس أن يكتب باسم جماعته المسيحية منددا بأعمال مسيحى كورنثوس ومهددا أياهم .

وتمتاز الرسالة الثانيه التى ألفت باليونانية أيضا وكتبت فى القرن الثانى باشتمالها على موعظة تعتبر من أقدم ما وصلنا من المواعظ المسيحية التى تحث على وجوب التمسك بالتعاليم المسيحية والتوبة ، وقد استخدم المؤلف بعض العبارات التى نسبها إلى المسيح وهى تغاير تلك التى روتها لنا الاناجيل الشرعية .

وغير الأناجيل والرسائل تشتمل الابوكريفا على رؤى أشهرها تلك المنسوبة إلى بطرس وقد سبق لنا أن تحدثنا عنها لما عرضنا لرسالتيه . كذلك رؤية بولس وهى شديدة الشبه برؤية بطرس ولو أنها أحدث منها عهدا إذ يرجح أنها وضعت حـــوالى عام ٤٠٠ م والرؤية تتناول وصف للحياة الأخرى وذلك بأرشاد ملاك شاهد أيضا الفرق بين أرواح الصالحين وأرواح الطالحين فى أرض الميعاد أولا وفى الجحيم والجنة ثانيا .

أما الوثائق فأهمها وثائق بطرس ، وقد سبق الحديث عنها مع رسالتيه ، ووثائق بولس وقد ذكرها أوريجينيس وأهتم لها هيبوليت واعتبرها مصدرا

تاريخيا هاما لأعمال بولس فى أماكن مختلفة . وقد كتبت هذه الوثائق فى آسيا الصغرى حوالى عام ١٨٠ م ووثائق يوحنا وقد تحدثنا عنها عندما عرضنا لرسائله ووثائق أندريا الرسول الذى سبق أن ذكر فى مرقس ص ١ ويوحنا ص ١ مع أخيه سمعان (شمعون) بطرس . وقد كان تلميذا ليوحنا المعمدان (يوحنا ص ١) كما أنه أخو المسيح وذكر فى يوحنا ص ٦ و ١ مع فلبس .

أما وثائقه فقد ذكرها (أويزبيوس) ومنها نعلم أن نشاطه كان فى بلاد القرم بروسيا لذلك اتخذه الروس المسيحيون حاميا لهم .



الحاخام الاكبر حاييم ناحوم يؤم المصلين ويرى المؤلف فى الآخر يمينا وقد ارتدى الطليت ووضع طاقية بيضاء على رأسه امام الهيكل



التوراة فى الهيكل



التوراة يطوف بها حاملها بين المصلين يلتمسون عن طريق لمسها البركة



مجموعة من الاطفال الذين بلغوا سن الرشد وقد وضع كل منهم الطاليت (شال) على كتفيه وطاقية على رأسه والتفليم حول ذراعه ورأسه كما نتبينه على ذراع ورأس هذا اليهودى الواقف إلى جوار آخر يتأبط التوراة.



فتى بلغ سن الرشد يضع الطليت

محتويات الكتاب

ملحوظة :

ص = اصحاح

ى = آية